The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Osool Edin
Master of Islamic Belief & Modern Doctrines

الجامعـــــــة الإســـلاميـة بغـــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــة أصـــول الـــديـــن
ماجستير العقيدة والمذاهب المعاصرة

جهود الخلفاء الراشدين الأربعة في تقرير العقيدة والدفاع عنـها

Efforts of the Four Righteous Caliphs for Enabling and defending the Islamic Belief

إِعدَادُ البَاحِثِ
بدر الدين حمدي سعيد مدوخ

إِشرَافُ
الأستاذ الدُّكتُور
نسيم شحدة ياسين

قُدمَت هَذه الرسالة إِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

شوال/1439هـ – يوليو/2018م

إقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

جهود الخلفاء الراشدين الأربعة في تقرير العقيدة والدفاع عنها

Efforts of the four Righteous Caliphs for enabling and defending the Islamic Belief

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	بدر الدين حمدي مدوخ	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	2018/07/02م	التاريخ:



الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza



عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

ج س غ/35/
الرقم: 2018/07/03م Ref:
التاريخ: Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **بدرالدين حمدي سعيد مدوخ** لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم العقيدة الإسلامية وموضوعها:

جهود الخلفاء الراشدين الأربعة في تقرير العقيدة والدفاع عنها.

Efforts of the four Righteous Caliphs for Enabling and Defending the Islamic Belief

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الثلاثاء 19 شوال 1439**هـ الموافق **2018/07/03**م، الساعة العاشرة والنصف صباحاً، في قاعة مبنى **القدس**، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. تسنيم شحده ياسين	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. خالد حسين حمدان	**مناقشاً داخلياً**	....
د. يوسف عواد الشرافي	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم العقيدة الإسلامية**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها **توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة** دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

ع	اللغة	3106698	الرقم العام للنسخة

التاريخ: 29/8/2018

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

الطالب/ عبدالرحمن حمدي سعيد مسلم

رقم جامعي: 120112589 قسم: الحديث كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب **إدارة المكتبة المركزية**

218

ملخص الدراسة

أهداف الدراسة:

1- التعرف على جهود الخلفاء الراشدين في تقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.
2- استكشاف الانحرافات العقدية الدخيلة على المسلمين في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة (رضي الله عنهم)
3- دراسة منهجية الخلفاء الراشدين في التصدي لهذه الانحرافات ومعالجتهم لها.
4- عمل مقارنة بين أساليب الخلفاء الراشدين الأربعة في تقرير العقيدة الصحيحة.
5- وضعُ معالمَ قواعدٍ للمسلمين اليوم (قادة ورعية) لتثبيت العقيدة في نفوس الأمة والتصدي لأي انحراف عقائدي، بحيث تكون مستلهمة من فعل الراشدين (رضي الله عنهم)، بما يحافظ على صحة عقيدة الأمة المسلمة وعلى وحدتها.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، حيث تم توصيف جهود الخلفاء الراشدين الأربعة في تقرير العقيدة الصحيحة وتثبيتها كما ورثها عن رسول الله(ﷺ)، كما تم تسليط الضوء على الوسائل التي استخدموها لتحقيق ذلك وتحليلها.

أهم نتائج الدراسة:

1. أن إبداعات الراشدين الأربعة في حفظ العقيدة الإسلامية أظهرت مدى عظمة الإرشاد النبوي للمسلمين باتباع سنتهم.
2. أنَّ المجتمع في زمن الراشدين أقرب في التغيرات والمُحدثات لواقعنا المعاصر من زمن النبي (ﷺ).
3. أنَّ أسوأ البدع العقائدية تنبع من التأويل الفاسد للقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وتنبع كذلك من الافتراء على النبي (ﷺ).
4. أنَّ معالجة الراشدين لأمور البدع العقائدية المُستحدثة في زمنهم والتصدي لها (ولا سيما بدع البغي والخوارج والتشيع) كانت مؤلمة لهم، وكلفتهم الكثير، لكنها رحمة للأمة من بعدهم حيث أسسوا لقواعدَ التعامل معهم، لأنها لم تظهر في زمن رسول الله (ﷺ).
5. أنَّ الخلفاء الراشدين الأربعة أنتج اجتهادهم الراشد قواعد كُلية عديدة اتفقوا عليها للحفاظ على عقيدة المسلمين ودينهم.

6. أنَّ كلَّ صاحب ولايةٍ في الأمة (كبيرةٍ كانت أم صغيرة) يجب عليه العمل على المحافظة على عقيدة المسلمين كما تركها لنا رسول الله.
7. أنّ الجهاد في سبيل الله ركنٌ ركين لا مناص منه لحماية عقيدة المسلمين وشريعتهم، ولتثبيتهم على الطريق القويم، وكذلك لردع أهل الأهواء والبدع والشرك.
8. أن تكاتف المسلمين وتوحدهم على إمامٍ واحد (الخليفة) هو مِن صُلب العقيدة لأنه بدون ذلك تبقى الأمة المسلمة مهددة في عقيدتها ودينها ووحدتها.

أهم توصيات الدراسة:

1. الإكثار من الاستشهاد بتصرفات الخلفاء الراشدين في كتب العلم والخطب والمواعظ، لترسخ مكانتهم في نفوس المسلمين على كافة مستوياتهم.
2. التركيز على القواسم الكلية المشتركة للخلفاء الراشدين لما فيها من إجماع.
3. إنشاء موسوعة عقائدية خاصة بحقبة الخلفاء الراشدين، تُظهِرُ تقريراتهم العقائدية.
4. توجيه العلماء والخطباء والوعاظ وولاة الأمر لمراعاة حالة الضعف الإيمانية والعقائدية للمسلمين اليوم، والتأسي بالخلفاء الراشدين بتذليل الصعوبات وتجاوز العوائق التي تحول بين الناس والقيام بالعبادات وخاصة الأركان.
5. زيادة استنباط السُنن الجامعة للخلفاء الراشدين من خلال البحث العلمي وتقعيدها للاسترشاد بها في مختلف التخصصات الشرعية وغيرها.

كلمات مفتاحية:

(عقيدة الخلفاء الراشدين، محاربة البدع، سُنن الخلفاء الراشدين، وسائل تثبيت العقيدة، دور ولي الأمر في تثبيت العقيدة)

Abstract

Objectives of the study

1. Identifying the efforts of the four righteous Caliphs in effecting the accurate Islamic Doctrine.
2. Exploring the intrusive doctrine deviations at the time of the four righteous Caliphs.
3. Studying the methodology of four righteous Caliphs in confronting and treating the doctrine deviations.
4. Comparing the methodologies of the four righteous Caliphs in effecting the accurate Islamic doctrine.
5. Setting up main rules (piety rules) for the Muslims today to fortify their belief against any doctrine deviations. These rules are inspired from the action of the four righteous Caliphs.

Research methodology

This study uses the descriptive analytic approach and the comparative method. The efforts of the four righteous Caliphs were described in effecting the Islamic doctrine as they inherited it from the Prophet (peace be upon him). This is also used to shed light on the methodologies the used to achieve this objective. Then the study used the comparative approach to compare between their different methodologies and drawing lessons from it.

The most important findings of the study

1. The creativity of the four righteous Caliphs in maintaining the Islamic doctrine shows the greatness of the Prophet’s guidance to Muslims.
2. The society at the time of four righteous Caliphs is very closer in its changes to our contemporary society than the time of the Prophet (peace be upon him).
3. The greatest doctrine deviations spring from the wrong interpretation of the Holy Quran and the prophetic Sunna. The second reason that follows is lying on the tongue of the prophet.
4. The treatment of four righteous Caliphs of the doctrine deviations in their time and confronting it, especially the deviation of Albaghji, Alkhawarij and

the Shiite, was painful to them, and costed them a lot, but it was a mercy to the nation after them.

5. The efforts of the four righteous Caliphs resulted in many comprehensive rules they agreed upon to maintain the Islamic doctrine.
6. All persons of curatorship in the nation, whether a little one or a big one, have to maintain the Islamic doctrine as left by the Prophet (peace be upon him).
7. Jihad for the sake of Allah is a cornerstone to protect the Muslims doctrine and sharia and to keep them on the right path and stand against the deviation makers.
8. The Unity of the Muslim nation behind one Caliph is an essential foundation of the Islamic doctrine, or otherwise, the nation will be lost.

The most important recommendations of the study:

1. Increasing the quotation of the saying and actions of the four righteous Caliphs in books and studies to fortify their position in the hearts of Muslims.
2. Focusing on the whole common dominators between the four righteous Caliphs for its unanimity.
3. Making a doctrine encyclopedia relevant to the times of the unanimity that shows their efforts in this concern.
4. Guiding the Muslim scholars, priests, and public speakers to observe the doctrine weak status of the Muslims today and emulate the four righteous Caliphs in overcoming obstacles that stands in front of people to practice the basic pillars of the religion.
5. Increasing the inferences from the four righteous Caliphs deeds through research, and effecting it as rules to guide different majors of religious sciences.

Keywords:

(Doctrine of four righteous Caliphs, confronting deviations, the deeds of four righteous Caliphs, methods of fortifying the doctrine, the role of Muslim leaders in fortifying the Islamic doctrine)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم
بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾

[الأنعام :153]

شُكرٌ وتقدير

انطلاقاً من قول رسول الله (ﷺ): (لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ)[1]، ومن قوله (ﷺ): (مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ)[2].

فإني أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير والامتنان **لفضيلة الدكتور نسيم شحدة ياسين** على تفضله بالإشراف على هذه الرسالة، وكذلك **لفضيلة الأستاذ الدكتور يوسف الشرافي والأستاذ الدكتور خالد حمدان** على تفضلهما بمناقشة هذه الرسالة.

كما أشكر أخي الشقيق **الدكتور نصر الدين حمدي مدوخ** على تكرمه بمراجعة الرسالة لغوياً ونحوياً.

وأشكر – كذلك – زوجتي وأولادي على مساندتهم لي وتحملهم تبعات فترة الدراسة وكتابة هذه الرسالة.

والشكر موصول لإخوتي وأخواتي وأصدقائي ولكل من ساندني وشرفني بالحضور ودعا لي.

لكل هؤلاء أقول: **(جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا).**

(1) أحمد: مسندأحمد، مسند المكثرين من الصحابة/ مسند أبي هريرة (ﷺ)، (ج322/13): رقم الحديث (7939)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(2) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب البر والصلة/ بابباب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه، (ج380/4): رقم الحديث (2035)، قال: هذا حديث حسن جيد غريب، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

الإهداء

إلى المُربين والشهداء الذين تذاكرتُ معهم كتاب الله وسنة رسوله وأحوال السلف،
ووقفنا سوياً في المحراب، وتلونا سوياً آياتٍ من القرآن ...
إلى مَن سكنوا القلب، وأذرفوا الدمع، واحتلوا الوجدان،
ومَن ننتظر لُقياهم إن شاء الله في الجنان....

الشهيـد القائـد: إبـراهيـم المقـادمـة (رحمه الله)

المربي الفاضل: يحيى عبد الرحمن غزال (رحمه الله)

الشهيد القسامي: حسّان هشـام السقـا (رحمه الله)

الشهيد المُسعف: موسى جبر أبو حسنين (رحمه الله)

قائمة المحتويات

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى الخلفاء الراشدين والصحابة أجمعين، وبعد:

تعيش الأمة الإسلامية حالة من التراجع الكبير في سلوكها وأخلاقها، وكذلك في موقعها بين الأمم، وهذا التراجع ليس وليد لحظة، بل وليد تراكمات عديدة عبر التاريخ الإسلامي، والسبب الجوهري في ذلك ما دخل على الأمة الإسلامية من بِدعٍ في عقيدتها، وهو ما انعكس سلباً على خُلُقِها وسلوكِها ومكانتها، ويضاف إليه عدم معالجة الأمة – في بعض حقبها – لهذه البدع بشكل جذري يقضي عليها، وخاصة بعد حكم الخلفاء الراشدين الأربعة (ﷺ).

ولقد مرت الأمة الإسلامية – ومنذ نشأتها – بالعديد من الانحرافات العقدية وفي صورٍ شتى، منها ما هو عبادي محض ومنها ما هو سلوكي وغير ذلك...، ولقد بدأت بوادر بعض الانحرافات في زمن النبي (ﷺ)، وما قصة الثلاثة[1] الذين تقالُّوا عملَ رسول الله نفسه (ﷺ) إلا أحد هذه الانحرافات، بل إن الردة بدأت وظهرت في آخر عهد النبي (ﷺ)، وبذور فكر الخوارج كانت من نسل ذي الخويصرة[2] ... وفي جميع تلك الحالات كانت المعالجة النبوية لها ظاهرة المعالم وواضحة.

---

(1) عن أنس بن مالك (ﷺ)، قال: جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي (ﷺ) يسألون عن عبادة النبي (ﷺ)، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي (ﷺ)؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله (ﷺ)، فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني))، (رواه البخاري: رقم (5063)، ومسلم: رقم(1401))

(2) عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (ﷺ) قَالَ: " بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ ، فَقَالَ : (وَيْلَكَ ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ)، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ : (دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ (أي تضطرب) وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ)، (رواه البخاري: رقم (3610)، ومسلم: رقم(1064))،

وفي رواية أخرى: قَالَ رسول الله: ((إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ – أي نسله – هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ))، (رواه البخاري: رقم (4351)، ومسلم: رقم (1064)).

ثم توالت صور أخرى للانحرافات في جوهر الدين وهو العقيدة في زمن الخلفاء الراشدين، فوقفوا لها بالمرصاد المتوج بالحكمة، حيث عالجوا كل انحراف بأسلوب يناسب ظروف الأمة والخلافة في ذلك الوقت، حيث ((كان الخلفاء الراشدون بعد وفاة رسول الله (ﷺ) يشعرون بعظم الواجب الملقى عليهم في حفظ الدين على أصوله الصحيحة التي نزلت على رسول الله (ﷺ)، وكانوا يعملون جاهدين للقضاء على البدع ورد كيد من يحاولون الدس على هذا الدين))(1)، لكنَّ هذه الانحرافات وإن كانت قد انتهت – في معظمها– كظاهرة في عصورهم إلا أنها بقيت كجذور لأفكار متوارثة تبرز حيناً وتخفت أو تختفي حيناً آخر.

وأمةُ المسلمين اليوم غزاها العديد من الانحرافات العقدية التي كانت لها جذور في زمن الخلفاء الراشدين، ولعل أبرزها: تقديس أشياء وأماكن والانشغال بالرأي والكلام، والتشيُّع وفكر الخوارج ؛ ولأننا مأمورون بالأخذ بسنة الخلفاء الراشدين(2)، وخصوصاً أننا نرى اختلافاً شديداً كما أخبر النبي (ﷺ)، فإننا نود النظر في الجهود التي بذلها الخلفاء الراشدون لتثبيت العقيدة الصحيحة في نفوس الأمة، والتعرف على مناهجهم ووسائلهم في ذلك مع قدرتهم – في معظم الأحيان– على المحافظة على وحدة المسلمين كأمة مسلمة واحدة وككيان مسلمٍ واحد، أملاً في الوصول لمحددات راشدة تُعيد المسار للمسلمين في التصدي لهذه الانحرافات ولتوحيد صف المسلمين، وتوحيد جهودهم في ذلك.

إننا اليوم – كأمة مسلمة – بحاجة لإيجاد نقاط التقاطع المشتركة بين مكونات الأمة جميعها، بدلاً من البحث في نقاط خلافها وتوسيع الهوة بينها، وكذلك البحث في وسائل تحقيق ذلك مستلهمين هذين الأمرين من أفعال الخلفاء الراشدين، وصدق الله القائل : ﴿**وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ**﴾[المؤمنون :52].

لذلك قمت بكتابة هذا البحث الموسوم بعنوان: **"جهود الخلفاء الراشدين الأربعة في تقرير العقيدة والدفاع عنها"**

---

(1) الصلابي، تيسير المنان (ص258)، بتصرف.

(2) قال العرباض بن سارية (رضي الله عنه): صلى بنا رسول اللهِ (ﷺ) ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول اللهِ! كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" (أنظر: تخريج الحديث، الصفحة التالية).

حيث قمتُ بالتجول في دوحتهم (ﷺ)، أبحث في أزهارها، وأستظل بظلال أشجارها الوارفة، فوجدت في هذه الدوحة ما لا يوصفُ من رأفةٍ ورحمةٍ وكرمٍ وشجاعةٍ وعلمٍ وفطنةٍ وحكمةٍ وذكاء، ولا عجب! فهذه الدوحة أسسها الوحي ورعاها وهذبها محمد (ﷺ)، وكلما انتابتني الدهشة طرقَ أُذنيَّ قولُ المعصوم (ﷺ): ((عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاء المهديِّين الراشِدين، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجِذ))[1] ، فقلت صدق ربُّنا القائل في حق رسوله الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: 3-4].

ولكي نخرج بفكرة عملية واضحة ذات نقاطٍ قابلة للتنفيذ، فإنه تم إفراد (الفصل الخامس) من خطة البحث (وهو الفصل الأخير) لعمل دراسة مقارنة بين أساليب الخلفاء الأربعة في تقرير العقيدة في نفوس المسلمين والتصدي للبدع العقدية، ومدى استفادتنا منها في وقتنا الحاضر، داعياً اللهَ تعالى التوفيق للخروج بقواعد ثابتة وعملية للتصدي للانحرافات مع المحافظة على وحدة الأمة.

أولاً : أهمية البحث: -

تكمن أهمية البحث في:

1- كونه يعالج أمراً تحتاجه الأمة الإسلامية اليوم، حيث تعددت المرجعيات العقدية، وتعددت المدارس الفكرية، ومن حيث إنه يعتمد على سلوك شخصيات حكم الله ورسوله برشدها بل أمرنا باتباع سننها.

2- أنه يتعامل مع حقبة من الزمن عمرها ثلاثون عاماً، هي أقرب في طبيعتها لحالنا اليوم من طبيعة المجتمع المؤمن في عهد رسول الله، وهي - كما أخبر النبي (ﷺ) - أنها حقبة راشدة، فكانت استمراراً لمنهاج النبوة في قيادة أمة التوحيد، حيث شهدت تغيراتٍ قوية في تركيبة المجتمع المسلم، وتبعاتٍ لهذا التغير على الأصعدة كلها، وحدثت فيها أمورٌ لم تحدث في عهد رسول الله (ﷺ)، فكان سلوك الراشدين الأربعة إنقاذاً للأمة فيما بعد مما قد يصيبها من انحرافات إلى يوم الدين.

(1) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب العلم / باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، (ج44/5): رقم الحديث (2676)، وقال: حسنٌ صحيح، و أخرجه أبو داود (4607)، وابن ماجه (42)، وأحمد (17184)، من حديث العِرباض بن ساريةَ (رضي الله عنه).

3- وفي كونه محاولة للخروج بمعالمَ وأسس لمنهجية راشدة منبعثة من سلوك سادتنا الراشدين لتضع للأمة منهجاً لتسلكه لتخرج مما هي فيه من تخبط عقائدي نتج عنه تيه حضاري وانحلال أخلاقي وتشرذم سياسي.

ثانياً: أهداف البحث: -

يقوم البحث على تحقيق الأهداف التالية:

1- التعرف على جهود الخلفاء الراشدين في تقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.

2- استكشاف الانحرافات العقدية الدخيلة على المسلمين في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة (ﷺ)

3- دراسة منهجية الخلفاء الراشدين في التصدي لهذه الانحرافات ومعالجتهم لها.

4- عمل مقارنة بين أساليب الخلفاء الراشدين الأربعة في تقرير العقيدة الصحيحة.

5- وضعُ قواعدَ للمسلمين اليوم (قادة ورعية) لتثبيت العقيدة في نفوس الأمة والتصدي لأي انحراف عقائدي، بحيث تكون مستلهمة من فعل الراشدين (ﷺ)، بما يحافظ على صحة عقيدة الأمة المسلمة وعلى وحدتها.

ثالثاً: أسباب اختيار موضوع البحث: -

تم التنويه لها في المقدمة وفي النقطتين السابقتين، وسأحددها هنا في نقاط:

1- سُنّةُ الخلفاء الراشدين واجبة الاتباع، وفترة الخلافة الراشدة كانت على منهاج النبوة، لذا فسنتهم بابٌ مهم من أبواب الارشاد والتوجيه لأمة الإسلام.

2- أن معالجة الخلفاء الراشدين للقضايا المستحدثة في عصرهم ولبعض الانحرافات ولا سيما العقدية منها، تُعتبر نبراساً للمسلمين في كل وقت وحين.

3- الضعف العام الذي ينتشر اليوم في أمة الإسلام في معظم جوانبها، ولا سيما العقدي منها، مما يوجب البحث في جذور سبب ذلك، وكيفية معالجته.

4- حاجة الأمة المسلمة لإيجاد نقاط التقاطع المشتركة بين مكوناتها جميعها، بدلاً من البحث في نقاط خلافها وتوسيع الهوة بينها، وكذلك البحث في وسائل تحقيق ذلك مستلهمين هذين الأمرين من أفعال الخلفاء الراشدين.

رابعاً: الدراسات السابقة: –

لم يجد الباحث دراسةً سابقة – حسب جهده واطلاعه عبر آلات (ماكينات) البحث الموجودة في الشبكة العنكبوتية الدولية (الإنترنت) وعبر المكتبة الالكترونية للجامعة الإسلامية بغزة – تُفرد الخلفاء الراشدين الأربعة بتوضيح جهودهم في تقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة، لكن توجد دراسات وأبحاث أظهرت جهودهم (ﷺ) في تقرير العقيدة ضمن جهود الصحابة أو السلف الصالح، ومن هذه الجهود:

1- رسالة دكتوراه بعنوان: جهود الصحابة (ﷺ) في تقرير العقيدة والدفاع عنها للباحثة الدكتورة (ولولوه بنت محمد المطرودي)، وذلك من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

2- خمس رسائل دكتوراه كل واحدةٍ منها تبحث في جهود علماء السلف في تقرير العقيدة وذلك في قرن من القرون الهجرية الأولى، وذلك في القرون: الثاني والثالث والرابع والخامس والسابع الهجري.

3- رسائل دكتوراه عديدة توضح جهود بعض علماء السلف بعد القرون السبعة الأولى في تقرير العقيدة الإسلامية، حيث تم التطرق فيها لبعض جهود الصحابة ومنهم الخلفاء الراشدين.

إلى جانب ذلك، يوجد مراجع عن تاريخ الخلفاء الأربعة (ﷺ)، وعن بعض مناقبهم وسياساتهم وفقههم، وهو ما استفاد الباحث منه بحمد الله، وأخص بالذكر سلسلة الخلفاء الراشدين للدكتور عليّ الصلابي (حفظه الله تعالى).

وعلماء المسلمين على مر العصور كانوا يستندون في فتواهم في الكثير من الأحيان على فِعلِ الخلفاء الراشدين الأربعة، وهذا ما استفاد منه الباحث، وذلك بالرجوع لبعض المراجع الفقهية كمجموع الفتاوى لابن تيمية (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، والمسودة في أصول الفقه لآل تيمية(1)، وغيرها من كتب أهل العلم والفضل.

---

(1) بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت 652هـ)، وأضاف إليها الأب: عبد الحليم بن تيمية (ت 682هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (ت 728هـ).

خامساً: منهج البحث: -

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، حيث إنه:

تم توصيف جهود الخلفاء الأربعة في تقرير وتثبيت العقيدة الصحيحة كما ورثها عن رسول الله (ﷺ)، كما تم تسليط الضوء على الوسائل التي استخدموها لتحقيق ذلك وتحليلها.

ثم تم المقارنة بين أساليبهم (رضي الله عنهم)، واستخلاص العبر منها.

سادساً: طريقة البحث: -

1. عزو الآيات القرآنية المُستشهد بها إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في متن الدراسة.
2. استخدام المنهجية المذكورة في النقطة السابقة عند الاستدلال بالأحاديث والأخبار والآثار.
3. الاستدلال بالروايات المقبولة والثابتة، وخاصة فيما يتعلق بتأسيس قواعد عقائدية.
4. إذا ثبتت الرواية عند أيٍ من أهل التخريج المعتمدين، فهي رواية يمكن الاستدلال بها.
5. التنويه في الحاشية لبعض الروايات التي تم الأخذ بها مع أنها لم تصل لدرجة القبول، وذلك لأنها منتشرة في العديد من كتب التاريخ والآثار والحديث.
6. تم الاكتفاء ببعض النصوص والأمثلة في كل مسألة خشية الإطالة والملل بشرط ألاّ يخدش في قوة الاستدلال.
7. تم توثيق المصادر والمراجع في الدراسة بذكر اسم عائلة المؤلف أو الشهرة، وعنوان الكتاب، ورقم الجزء (إن كان يحتوي على أكثر من جزء) والصفحة، مع بيان تفصيلات الكتاب في فهرس المراجع.
8. إعداد الفهارس اللازمة للآيات، والأحاديث، وغيرها، للوصول إلى المعلومات بطريقة سلسة وسهلة.

سابعاً: حدود البحث: -

أ. **الحدود الموضوعية:** اقتصر البحث على الجانب العقائدي من العلوم الشرعية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن تقسيمهم للعلوم الشرعية لم يكن على ما هو عليه الآن[1] ، والاستعانة بالجوانب الشرعية الأخرى حين الحاجة لذلك.

---

(1) انظر: الفصل الأول / التمهيد (ص 36).

ب. **الحدود الزمانية:** اقتصر البحث على جهود كل واحدٍ من الأربعة (ﷺ) في فترة إمامته للمسلمين وخلافته فقط، حيث إنها جزء من فترة الخلافة الراشدة التي امتدت ثلاثون عاماً من بعد وفاة رسول الله (ﷺ).

ثامناً: خطة البحث: -

احتوت خطةُ البحث على مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، وفهارس.

وبيان ذلك كما يلي:

المقدمة: ذكرتُ فيها أهمية موضوع البحث، وأهداف البحث، والجهود والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وطريقته ومنهجه وخطته.

التمهيد:

الخلفاء الراشدون ومكانتهم

اولاً: التعريف بالخلفاء الراشدين وبيان فضلهم.

ثانياً: معتقد أهل السنة والجماعة بمكانة الخلفاء الراشدين.

الفصل الأول:

جهود أبي بكر الصديق (ﷺ) في تقرير العقيدة الصحيحة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المحافظة على العقيدة التي رسخها النبي (ﷺ)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معالم حفظه للعقيدة من خلال خطبه ورسائله.

المطلب الثاني: إنفاذ أوامر رسول الله قبيل موته واتباع أوامره (ﷺ).

المطلب الثالث: تقريره بوجوب اختيار إمامٍ للمسلمين.

المبحث الثاني: منهج أبي بكر الصديق (ﷺ) في تقرير العقيدة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحوار والنقاش بالاستناد لنصوص الوحي بشقيه (القرآن والسنة).

المطلب الثاني: محافظته على مصدري العقيدة القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة.

المطلب الثالث: الجهاد في سبيل الله.

المطلب الرابع: التصدي للمسائل المستحدثة في العقيدة.

الفصل الثاني:

جهود عمر بن الخطاب (ﷺ) في تقرير العقيدة الصحيحة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المحافظة على العقيدة التي رسخها رسول الله (ﷺ) وأبو بكر (ﷺ)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حفظه للعقيدة من خلال خطبه ورسائله ووصاياه.

المطلب الثاني: إنفاذ أوامر رسول الله وأمر أبي بكر.

المطلب الثالث: تقريره لحدوث كرامات للمؤمنين الصادقين.

المطلب الرابع: تقريره لوجوب الإمامة في الإسلام وتحريم الفُرقة.

المبحث الثاني: منهج عمر بن الخطاب (ﷺ) في تقرير العقيدة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: محافظته على مصادر العقيدة.

المطلب الثاني: الحوار والمناقشة.

المطلب الثالث: التصدي للبدع.

المطلب الرابع: تصويب الانحرافات العقائدية الناشئة.

المطلب الخامس: الجهاد في سبيل الله.

الفصل الثالث:

جهود عثمان بن عفان (ﷺ) في تقرير العقيدة الصحيحة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المحافظة على العقيدة التي رسخها النبي(ﷺ) وأبو بكر وعمر (رضي الله عنهما)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حفظه للعقيدة من خلال خطبه ورسائله ووصاياه.

المطلب الثاني: اتباع منهج النبي (ﷺ) وأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما).

المطلب الثالث: تقريره لمكانة الإمامة في الإسلام، ووجوب بقاء الأمة الإسلامية موحدة.

المبحث الثاني: منهج عثمان بن عقان (ﷺ) في تقرير العقيدة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: محافظته على مصادر العقيدة.

المطلب الثاني: الحوار والمناقشة.

المطلب الثالث: التصدي للبدع.

المطلب الرابع: تصويب الانحرافات العقائدية الناشئة.

المطلب الخامس: الجهاد في سبيل الله.

المطلب السادس: استخدام الشعر والوصايا.

الفصل الرابع:

جهود عليّ بن أبي طالب (ﷺ) في تقرير العقيدة الصحيحة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المحافظة على العقيدة التي رسخها النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدون الثلاثة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حفظه للعقيدة من خلال خطبه ورسائله ووصاياه.

المطلب الثاني: اتباع منهج النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين الثلاثة.

المطلب الثالث: تقريره لمكانة الإمامة في الإسلام، ووجوب بقاء الأمة الإسلامية موحدة.

المبحث الثاني: منهج علي بن أبي طالب (ﷺ) في تقرير العقيدة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: المحافظة على مصادر العقيدة.

المطلب الثاني: الحوار والمناقشة.

المطلب الثالث: التصدي للبدع وقتال الخوارج.

المطلب الرابع: تصويب الانحرافات العقائدية الناشئة.

المطلب الخامس: الجهاد في سبيل الله.

المطلب السادس: استخدام الشعر والوصايا.

الفصل الخامس:

دراسة مقارنة بين طرق الخلفاء الراشدين الأربعة في تقرير العقيدة الصحيحة ومدى استفادتنا منها في وقتنا الحاضر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القواسم المشتركة بين مناهج الخلفاء الراشدين في تقرير العقيدة الصحيحة.

المبحث الثاني: وجوه التباين بين مناهج الخلفاء الراشدين في تقرير العقيدة الصحيحة.

المبحث الثالث: مناهج الخلفاء الراشدين (ﷺ) في تقرير العقيدة الصحيحة وواقعنا المعاصر.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

عاشراً: الفهارس العامة

التمهيد

الخلفاء الراشدون ومكانتهم

المبحث الأول:

التعريف بالخلفاء الراشدين وبيان فضلهم

المطلب الأول: الخليفة الراشد الأول: أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)

- **اسمه ولقبه:** هو عبد الله بن عثمان – أبي قحافة – بن عامر بن عمرو القرشي التميمي، جده السادس اسمه مرَّة بن كعب، وهو الجد الذي يلتقي فيه الصديق مع رسول الله (ﷺ)، وكنيته أبو بكر[1]، وبَكر (بفتح الباء) من البَكر وهو: ((الفتيُّ من الإبل))[2] .
- **مولده ووفاته:** وُلد بعد عام الفيل بسنتين وأشهر، وعام الفيل هو العام الذي وُلد فيه رسول الله (ﷺ) وذلك في مكة، وتُوفي وله ثلاث وستون سنة [3].
- **ألقابه:** لُقبَ ألقاباً عديدة، أشهرها الصِدّيق، وهذا اللقب أجمعت الأمة على تسميته به، لأنه لم تقع منه هناة ما في الإسلام، وكان سريع تصديق رسول الله في كل شيء؛ ولُقب بالعتيق حيث بشره النبي بالعتق من النار[4]؛ كما لُقب بالصاحب لصحبته لرسول الله في الهجرة ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[التوبة:40]، ولُقّب بالمعطاء التقي لوصف الله له ذلك في كتابه: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ**﴾ [الليل: 5-7]، وآخر الألقاب الأوّاه نظراً لرأفته ورحمته[5] ؛ كما أنه أخذ لقب الخليفة الراشد الأول.
- **زوجاته:** له أربع زوجاتٍ، وهُنّ: قتيلة بنت عبد العزى وطلقها أبو بكر في الجاهلية؛ وأم رومان عامر بن عويمر وأسلمت مبكرًا، وبايعت، وهاجرت إلى المدينة، وأسماء بنت

---

(1) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص25).

(2) الفيومي المقريء، المصباح المنير (ص 41).

(3) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص25).

(4) عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ(رضي الله عنه)، دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ: (أَنْتَ عَتِيقُ اللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ عَتِيقًا)، (رواه الترمذي: رقم (36479)، وقال: حديث غريب، وصححه الألباني).

(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/ 127).

عُميس وكانت تحت جعفر قبل استشهاده بمؤتة؛ والرابعة هي: حبيبة بنت خارجة وهي أنصارية خزرجية[1] .

- **أولاده:** كان لأبي بكر ثلاثة من الذكور وثلاث من الإناث، هم: عبد الرحمن وعائشة وأمهما أم رومان، وعبد الله وأسماء وأمهما قتيلة بنت الحارث، ومحمد وأمه أسماء بنت عُميس، وأم كلثوم وأمها حبيبة بنت خارجة ووُلدت بعد موته (ﷺ)[2].
- **إسلامه:** أسلم فور عرض النبي (ﷺ) عليه الإسلام، ويُعتبر أول من أسلم من الناس بعد رهط أسلموا من بيت رسول الله ومنهم السيدة خديجة ومولاه زيد، وزوجة زيد أم أيمن وعليّ وورقة[3].
- **مكانته في قريش قبل إسلامه:** كان حميد السيرة في قريش قبل الإسلام ((... وقد شهد له أهل مكة بتقدمه على غيره في عالم الأخلاق والقيم والمثل، ولم يُعلم أحدٌ من قريش عاب أبا بكر بعيب ولا نقصه ولا استرذله...))[4] .
- **فضائله:** أما عن فضائله فلا يمكن حصرها في هذا المقام، ويكفيه أن الله مدحه في آيات عديدة كقوله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الأتقى * الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يتزكى**﴾ [الليل : 17-18]، كما أنه رافق الرسول من بداية البعثة وحتى وفاته (ﷺ)، وخاض جميع المعارك معه، وهو الذي قال عنه الرسول : ((... قلت: أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً، فقلتم: كذبت، وقال أبوبكر: صدقت))[5]، وكان شجاعاً في مكة قبل الهجرة يذب عن رسول الله، وفي المدينة يقاتل ويجاهد عنه، وكان أرجح عقول الصحابة كما ظهر في نقاش سقيفة بني ساعدة، وأقرأهم لكتاب الله (أي أفقههم)؛ لذلك قدمه رسول الله لإمامة المسلمين، وكان أعلم الناس بأنساب العرب، وكان عليماً بتأويل الرؤى، وكان خطيباً فصيحاً، وكان أحب الناس إلى

(1) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج282/2،287)، وابن كثير، البداية والنهاية (ج346/6). واللالكائي، كرامات الأولياء (ص 123).

(2) انظر: ابن حجر، الإصابة (ج391/8، 466)، والذهبي، سير أعلام النبلاء (ج282/2،287، 139، 145)، الزبيري، نسب قريش (ص 277-278).

(3) انظر: تاريخ الخلفاء، السيوطي (ص30)، بتصرف.

(4) ابن تيمية، منهاج السنة (ج288/4-289).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب من فضائل اصحاب النبي (ﷺ)/ باب فضل أبي بكر بعد النبي (ﷺ)، (ج5/5): رقم الحديث (3661).

قلب رسول الله، وكان أشبه الخلفاء الراشدين حُكماً في خلافته برسول الله[1]، كما أنه روى عن رسول الله مائة واثنين وأربعين حديثاً[2].

- **أبرز مناقب الصديق بعد إسلامه (في العهد المكي):** تميز (رضي الله عنه) بشجاعته وسرعة دفاعه عن رسول الله (ﷺ): فها هو يتصدى لعقبة بن أبي معيط حين أراد أن ينال من رسول الله، ((فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي (ﷺ)، ثم قال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [غافر: 28]))[3] ، وتميز بإنفاقه الأموال لتحرير المعذبين ممن أسلم من الضعفاء والعبيد فيشتريهم ويعتقهم لله، وعلى رأسهم: ((بلال بن رباح، ومنهم: عامر بن فهيرة وأم عبيس، وزنيرة والنهدية وبنتها وجارية بني مؤمَّل))[4] . كما تميز ((باستثمار معرفته بالعرب وأنسابهم بتقديمه رسول الله (ﷺ) للقبائل ليدعوهم للإسلام))[5] .

ويكفيه مكانةً وشرفاً أن الله اختاره ليرافق رسول الله (ﷺ) في هجرته من مكة إلى المدينة، ويخلده القرآن الكريم، ويعطيه لقب ثاني اثنين وصاحب رسول الله، وأكرمه الله بأن أنزل السكينة على قلبه : ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة : 40].

- **أبرز مناقب الصديق بعد إسلامه (في العهد المدني):** وصوله بصحبة رسول الله للمدينة مهاجراً، وشهد جميع المشاهد (الغزوات) مع رسول الله ولم يتخلف عن أي منها[6]، وكان بجانب رسول الله في جميع معاركه حتى في أشد الظروف كيوم أحد وحُنين، وكان الوحيد

(1) انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص ص31–58).

(2) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص69)، نقله السيوطي عن الإمام النووي، ثم عقب النووي على قلة روايته بالرغم من تقدم صحبته للنبي (ﷺ): أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها.

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب ما لقي النبي (ﷺ) وأصحابه من المشركين في مكة، (ج46/5): رقم الحديث (3856).

(4) ابن هشام، السيرة النبوية (ج1/ 393)، بتصرف.

(5) قاسم، أبو بكر الصديق (ص92)، بتصرف.

(6) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة (318/3).

من الصحابة الذي لم يعترض على صلح الحديبية، فكان جوابه على مَن احتج على الصلح كجواب رسول الله، وقال لعمر حينها: ((الزم غرزه –أي غرز النبي))[1]، وجاء بغزوة تبوك بكل ماله وحين سأله رسول الله ما أبقيت لأهلك؟ قال: ((أبقيت لهم الله ورسوله))[2]، وأمّره رسول الله على الحج في العام التاسع للهجرة حيث نزلت سورة براءة، وقرأها علي بن أبي طالب على الناس بأمر رسول الله، كما أنه تفرد عن الصحابة بعدم سماح رسول الله لأحد من النيل منه فخاطب عمر بن الخطاب وأصحابه قائلاً عن أبي بكر : ((فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟))[3].

- **أبرز المحطات في خلافته:** إنفاذ جيش أسامة تنفيذاً لأمر رسول الله (ﷺ)، وقتال أهل الردة، وقتال مانعي الزكاة، وجمع القرآن، واتخذ بيتاً للمال للدولة، واستخلف عمر بن الخطاب من بعده بعد مشورة العديد من الصحابة في المدينة[4] .

المطلب الثاني: الخليفة الراشد الثاني: عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

- **اسمه ولقبه:** ((عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي))[5] ، وهو: أول من لُقب بأمير المؤمنين، ولُقب بالفاروق، ويُكنى أبا حفص، وأمه هي حنتمة بنت هاشم ابنة عم أبي جهل بن هشام وذلك على أصح الروايات[6].
- **مولده ووفاته :** ((وُلد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة))[7]، واستُشهد ((يوم الأربعاء على يد أبي لؤلؤة المجوسي))[8]، لأربع أو ثلاث بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، أي ((قد بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة على أصح الأقوال))[9].

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية (ج3/ 202).

(2) الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داوود، (ج2/1): رقم الحديث (1678). قال: حديثٌ حسن.

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب من فضائل أصحاب النبي (ﷺ)/ باب فضل أبي بكر بعد النبي (ﷺ)، (ج5/5): رقم الحديث (3661).

(4) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 59–62).

(5) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 86).

(6) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة (ج 4/ 137– 138).

(7) المرجع السابق (ص 105).

(8) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 86).

(9) الصالحي الحنبلي، محض الصواب (ج840/3)، بتصرف.

- **زوجاته:** ((مَجْمُوعُ نِسَائِهِ اللَّاتِي تَزَوَّجَهُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ مِمَّنْ طَلَّقَهُنَّ أَوْ مَاتَ عَنْهُنَّ سَبْعٌ))[1] ، ولعل أشهرهن ((أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب بنت فاطمة بنت رسول الله حيث تزوجها ليبقى له ذرية ونسب من رسول الله))[2].
- **أولاده:** كان له تسعة من الذكور وأربعٌ من الإناث أي كان مجموع أولاده ثلاثة عشر ولداً، ولعل أشهر أولاده عبد الله وحفصة (زوج النبي) وهما من زوجته زينب بنت مظعون، وزيدٌ ورقية وهما من أم كلثوم بنت علي بن ابي طالب[3] .
- **إسلامه:** لقد دعا رسول الله (ﷺ) فقال ((اللهم أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب))[4] وكان عمر أحبهما لقلب رسول الله[5] ، وهناك روايات عديدة عن إسلامه لكنها لا تخلو من ضعف في أسانيدها، ولعل أشهرها وأقواها: ((حين أراد عمر قتل النبي فلقيه نُعيم بن عبد الله النحام فحول وجهة عمر بحنكة حيث أعلمه أن أخته وزوجها ابن عمه قد أسلما، فذهب إليهما وأدمى وجه أخته ثم اغتسل وقرأ ما عندهم من القرآن، وشرح الله صدره حينها لدينه ثم ذهب؛ ليُسلم بين يدي رسول الله في دار الأرقم))[6].
- **مكانته في قريش قبل إسلامه:** كان له مكانة عالية في قريش حيث ضمته قريش إلى مجلس شيوخها في دار الندوة وهوما زال شاباً حيث أسلم وعمره سبع وعشرون سنة، حيث عمل وهو صغير في الرعي لأبيه وبالاحتطاب لخالاته من بني مخزوم[7]، ثم مارس التجارة بين مكة والشام واليمن فأصبح من أغنياء قريش، وعمل كقاضٍ بين العرب في خصوماتهم قبل الإسلام، وعينته قريشٌ سفيراً لها وقت السلم ووقت الحرب؛ لأنه عُرف عنه

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج196/10).

(2) البخاري، الكامل في التاريخ (ج212/2)، بتصرف.

(3) البخاري، الكامل في التاريخ (ج212/2)، وابن كثير، البداية والنهاية (ج144/7).

(4) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب المناقب/ مناقب أبي حفص، (ج617/5): رقم الحديث (3682)، قال: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (2907).

(5) المصدر السابق، نفس رقم الحديث.

(6) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج4/ 197–200)، ثم قال ابن كثير: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَهَذَا حَدِيثُ الرُّوَاةِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، عَنْ إِسْلَامِ عُمَرَ حِينَ أَسْلَمَ (ﷺ)، وانظر: أحمد، فضائل الصحابة (ج279/1): رقم (371).

(7) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج222/3).

شدة حرصه على قريش وعاداتها وتقاليدها، وكان حكيماً وبليغاً صاحبَ حجةٍ وبيان واضح[1].

- **فضائله:** لعل من أشهر وأعظم فضائله ما يُعرف بموافقاته للقرآن الكريم، ولقد تتبع الإمام السيوطي (رحمه الله) هذه الموافقات فأوصلها إلى أكثر من عشرين[2] ؛ من أشهرها: الطلب في اتخاذ مقام إبراهيم مصلى، ونزول آية الحجاب ووعظه لنساء رسول الله، موافقته في ترك الصلاة على المنافقين، وموافقته في أسرى بدر، وفي الاستئذان عند النوم، ودعائه في تحريم الخمر، وهو الذي يهابه الشيطان، وهو ملهم الأمة، وهو سيد في الحكم والعدل، غيرته الشديدة على نسائه، وهو أحد المبشرين العشرة في الجنة[3] .

- **أبرز مناقب الفاروق بعد إسلامه (في العهد المكي)** : من أبرز مناقبه في هذه الحقبة أنه ما إن أسلم حتى طلب من رسول الله (ﷺ) أن يجهر بالدعوة، فخرج الرسول حينها بصفين من المؤمنين في أحدهما عمر وفي الآخر حمزة، ودخلوا المسجد الحرام وصلوا فيه، فكان يوماً كئيباً على قريش، وحينها سماه الرسول بالفاروق[4].

- **أبرز مناقب الفاروق بعد إسلامه (في العهد المدني):** شهد جميع المشاهد مع رسول الله[5]، ثبت ممن ثبت مع رسول الله يوم حُنين[6]، وجاء في غزوة تبوك بنصف ماله[7]، روى عن رسول الله خمسمائة وسبعة وثلاثين حديثاً[8].

•**أبرز المحطات في خلافته:** فتح الله للمسلمين ((دمشق، وحمص، وبعلبك، والبصرة، والأُبلَّةُ، والأردن، والأهواز، والمدائن، وبيت المقدس، وقنسرين، وحلب، وإنطاكية، ومنبج، ومصر، ونهاوند، وأذربيجان، وغيرها، وبذلك قضى على دولتي الفرس والروم. وزاد في

---

(1) ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر (ص11).

(2) انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص ص95–98).

(3) إنّ كل ما سبق ذكره من مناقب لعمر دلت عليها أحاديث صحيحة عند الإمام البخاري، وهي بالترتيب: حديث رقم (4483) و(3683) و(3689) و(3682) و(6620) و(4358).

(4) الأصفهاني، حلية الأولياء (ج1/ 40).

(5) ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ص 89).

(6) ابن هشام، السيرة النبوية (ج289/2).

(7) انظر: الترمذي، سنن الترمذي، أبواب المناقب/ مناقب أبي بكر الصديق، (ج614/5): رقم الحديث (3675)، قال: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(8) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص86) .

المسجد النبوي وقام باعتماد التاريخ الهجري بعد مشورة عليّ بن أبي طالب (ﷺ)، وجمع الناس على صلاة التراويح، وقد استسقى للناس بالعباس في عام الرمادة. وقام بإجلاء اليهود عن خيبر ونجران))[1].

المطلب الثالث: الخليفة الراشد الثالث: عثمان بن عفان (رضي الله عنه):

- **اسمه ولقبه:** ((عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي ابن كلاب بن مرّة بن غالب، القرشي الأموي، وأمه: أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد الشمس، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم، وهي توأمة أبي (والد) رسول الله، فأم عثمان بنت عمة النبي، ويُكنى بأبي عمرو، ويقال أبو عبد الله، وأبو ليلى))[2] . أما لقبه فهو: ذو النورين وذلك لزواجه من بنتيّ رسول الله (ﷺ) رقية ثم أم كلثوم حيث لم يجمع أحدٌ بنتي نبي في التزويج واحدة بعد الأخرى من لدن آدم عليه السلام إلا هو (ﷺ) [3].
- **مولده ووفاته:** وُلدَ في مكة في العام السادس بعد عام الفيل، وتوفي شهيداً على يد البغاة الذين حاصروا بيته، وكان قد بلغ من العمر اثنين وثمانين سنة، وكان ذلك في العام الخامس والثلاثين من الهجرة[4] .
- **زوجاته وأولاده:** ((تزوج ثماني زوجات كلهن بعد الإسلام، حيث كان على رأسهنّ رقية بنت رسول الله، ثم حينما توفيت في المدينة والمسلمون في غزوة بدر زوجه رسول الله بنته الأخرى أم كلثوم))[5] ، ((وكان له من الأبناء تسعة من الذكور وسبع من الإناث، حيث رُزق من رُقية: عبدُ الله، وتوفي بعد الهجرة بأربع سنوات وهو في السادسة من عمره))[6] .

---

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 102–106)، بتصرف.
(2) المرجع السابق (ص ص 116–117)، بتصرف.
(3) انظر: الآجري، كتاب الشريعة (ص 1747).
(4) انظر: المرجع السابق (ص14)، (ص 399).
(5) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص16)، بتصرف، وانظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج441/5).
(6) ابن عبد البر، الاستيعاب (ج4/ 1840).

- **إسلامه:** أسلم وهو ((في الرابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر للإسلام فاستجاب دون تلكؤ، وهو رابع ثلاثة رجال في القدم في الإسلام بعد أبي بكر وعلي وزيد بن حارثة))(1).
- **مكانته في قريش قبل إسلامه:** كان عثمان (ﷺ) قبل الإسلام مهاباً في قريش لغناه ولخُلُقه القويم، ((حيث لم يشرب الخمر ولم يرتكب الفاحشة، ولم يكن يلهو حيث يلهو الشباب، ولا يسمع للقانيات، وكان يعرف أنساب العرب والأمثال وأخبار البلدان، حيث كان كثير السياحة في الأرض بسبب تجارته))(2) .
- **فضائله:**((...ولا يُعرف أحدٌ تزوج بنتيّ نبيّ غيره، ولذلك سُمي ذا النورين، فهو من السابقين الأولين، وأول المهاجرين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله وهو عنهم راضٍ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن... رويَ له عن رسول الله مائةٌ وستة وأربعون حديثاً))(3).
- **أبرز مناقبه بعد إسلامه (في العهد المكي):** صبر على أذى عمه (الحكم بن العاص) له ليثنيه عن دينه فثبت فتركه عمه، وهاجر للحبشة مرتين ومعه زوجته رقية بنت رسول الله بعدما طلقها عتبة بن أبي لهب، وطلق أختها أم كلثوم أخوه عتيبة بن أبي لهب نكايةً برسول الله ودعوته(4) .
- **أبرز مناقبه بعد إسلامه (في العهد المدني):** ولاّه رسول الله المدينة حين خرج لغزوتيّ غطفان وذات الرقاع، وأرسله -كذلك- إلى قريش حين خرج لمكة للصلاة وأداء المناسك لا للحرب وذلك في الحديبية، وشاع أن قريشاً قتلت عثمان فبايع الصحابة الرسول (ﷺ) تحت الشجرة بيعة الموت أو بيعة الرضوان، وبايع رسول الله نيابة عنه(5)، وجهز جيش تبوك (جيش العسرة) فقال رسول الله: ((ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم))(6)، واشترى بئر

---

(1) الوكيل، جولة تاريخية (ص ص 301 – 302)، بتصرف.

(2) أنظر: الترمذي: سنن الترمذي، كتاب الفتن/ باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، (ج30/4): رقم الحديث (2158)، قال: حديث حسن، وانظر: الأصبهاني، حلية الأولياء (ج60/1–61).

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 116).

(4) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج322/1–323).

(5) الواقدي، المغازي (ج600/2).

(6) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب المناقب/ باب في مناقب عثمان بن عفان، (ج626/5): رقم الحديث (3701)، قال: الحديث حسنٌ غريب، وحسنه الألباني.

(رومة) وجعلها للمسلمين مقابل عين في الجنة، واشترى بقعة بجانب مسجد النبي (ﷺ) لتوسعته بخير منها في الجنة[1] .

- **أبرز المحطات في خلافته:** في ولايته فتح الله على المسلمين بلاداً عظيمة، منها: الرَيّ وإفريقيا بأسرها، وفتح جيش معاوية قبرص بحراً، وفتحت أرض خراسان ونيسابور وطوس وسرخس ومرو وبيهق وغيرهم، ووسع الخليفة الثالث المسجد الحرام والمسجد النبوي، وجمع المصحف الشريف على حرف واحد[2] .

المطلب الرابع: الخليفة الراشد الرابع: علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

- **اسمه ولقبه:** هو ((علي بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب (شيبة أو شيبة الحمد) بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن عدنان))[3]. وهو ((ابن عم رسول الله، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً، وأسلمت وهاجرت))[4].

ويكنى بأبي الحسن وبأبي تراب، ((وكان أبو تراب أحبّ الأسماء إليه لتسمية رسول الله له ذلك))[5]، وبأبي السبطين، ويلقب بأمير المؤمنين لأنه كان رابع الخلفاء الراشدين[6].

- **مولده ووفاته:** ولد قبل البعثة بعشر سنوات على أصح الروايات، وولد في جوف الكعبة، وتوفي شهيداً في يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة على إثر

---

(1) انظر: الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب / باب في مناقب عثمان بن عفان، (ج8/203): رقم الحديث (3703)، قال: هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه عن عثمان، وحسنه الألباني في الإرواء (1594).

(2) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص120-128).

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء(ص130)، بتصرف.

(4) المصدر السابق (ص130).

(5) البخاري: الأدب المفرد، باب مَن كنى رجلاً بشيء هو فيه (ص296): رقم الحديث (852)، صححه الألباني.

(6) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة (ج4/87).

ضربة سيف ضربه إياه عبد الرحمن بن ملجم وهو من الخوارج، ولا يوجد رواية صحيحة يُعتد بها توضح مكان دفنه ولا موضع قبره[1].

- **زوجاته وأولاده:** ((تزوج ثمانية من النسوة (إضافة للعديد من أمهات الأولاد) على رأسهن فاطمة بنت رسول الله، وأنجب منها أربعة: الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى. ومجموع ذريته أربعة عشر ذكراً وتسع عشرة امرأة. ولم يجمع أي إمرأة مع فاطمة (رضي الله عنها) في حياتها حيث كره رسول الله ذلك))[2] .
- **إسلامه:** ((على أغلب الروايات أن الوحي نزل على رسول رسول الله وعليّ عمره عشر سنوات، وأنه أسلم بعد يوم واحد من البعثة حيث سبقه فقط أمُّنا خديجة (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا)))[3]، وهذا يعني أنه (ﷺ) لم يعش لحظة واحدةً على غير الإسلام وهو في سن التكليف، وذلك شرف عظيمٌ له.
- **أبرز مناقبه بعد إسلامه (في العهد المكي)** : كان (ﷺ) بمثابة أخ شقيق لرسول الله (ﷺ)، حيث إنه عاش في كنفه (ﷺ) لأن أبا طالب كان كثير العيال، فعاش عليٌّ عند النبي (ﷺ) وجعفر عند عمه العباس، وعليه فكان عليّ لصيقاً برسول الله، وكانت أم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم بمثابة أم ثانية لرسول الله، حيث كان يلازم النبي (ﷺ) في طوافه على القبائل ليعرض عليهم الإسلام، وكان عيناً لرسول الله على كل من يأتي للبيت الحرام من خارج مكة، وقَبِلَ أن يكون فداءً لرسول الله حين نام في فراشه ليلة هجرة النبي وصاحبه أبي بكر إلى المدينة، ثم قام على مدار ثلاثة أيام متتالية يوزع الأمانات التي كان القريشيون قد أودعوها عند رسول الله (ﷺ)، ثم هاجر للمدينة، يكمن نهاراً ويسير ليلاً لاحقاً برسول الله والمسلمين، وهو أول من صلى جماعة مع رسول الله (ﷺ)[4] .
- **أبرز مناقبه بعد إسلامه (في العهد المدني):** شهد مع رسول الله كل المشاهد إلا تبوك، لأن النبي استخلفه (ﷺ) على المدينة، وأعطاه اللواء في مواطن عديدة، وأصيب يوم أحد بست عشرة ضربة، وأعطاه رسول الله الراية يوم خيبر، وتزوج بنت رسول الله فاطمة

---

(1) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص ص130، 137)، وانظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ج172/5-177).

(2) انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس/باب ما ذكر من درع النبي (ﷺ)، (ج83/4): رقم الحديث (3110).

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء(ص130)، بتصرف.

(4) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج26/3-28)، وانظر: الوكيل، جولة تاريخية (ص ص417-418)،

(رضي الله عنها) سيدة نساء العالمين، وهو الذي أرسله رسول الله ليبلغ الناس سورة براءة حين حج أبو بكر في المسلمين في العام التاسع للهجرة، وروي له عن رسول الله خمسمائة وستة وثمانون حديثاً[1].

- **أبرز المحطات في خلافته:** نقل عاصمة الخلافة من المدينة المنورة للكوفة ليجنب المدينة المنورة الحروب الداخلية، خوضه معركة الجمل، ومن ثم صفين ضد معاوية بن أبي سفيان وجنده ثم قبوله بالتحكيم، ثم خوضه معركة النهروان ضد الخوارج وكان من آثارها أن قتله أحد الغلاة من الخوارج، وفي خلافته ظهر أيضاً بذور ما يعرف بالتشيع والغلو فيه[2].

(1) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص131)، وانظر: الوكيل، جولة تاريخية (ص ص419–432).
(2) انظر: الوكيل، جولة تاريخية (ص ص419–432).

المبحث الثاني:
معتقد أهل السنة والجماعة بمكانة الخلفاء الراشدين

قبل الحديث عند معتقد أهل السنة والجماعة بمكانة الخلفاء الراشدين (ﷺ)، أود ذِكرَ تعريف الصحابي والخليفة والخلفاء الراشدون، بإجمال ودون إسهاب.

فالصحابيُّ هو: ((مَن لقي النبي (ﷺ) مؤمنًا به، ومات على الإسلام))(1).

والخليفة هو: مَن يخلف النبي (ﷺ) في قيادة المسلمين ورئاستهم لحراسة الدين وسياسة الدنيا، يقول أبو الحسن الماوردي: ((الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا))(2)، وعليه ((فالْخلَافَة، والإمامة الْعُظْمَى، وإمارة الْمُؤمنِينَ، ثَلَاث كَلِمَات مَعْنَاهَا وَاحِد، وَهُوَ رئاسة الْحُكُومَة الإسلامية الجامعة لمصَالح الدّين وَالدُّنْيَا))(3).

أما فترة الخلفاء الراشدين فقد وضحتها العديد من أحاديث رسول الله (ﷺ)، منها:

أ. حديث سَفِينَة (ﷺ)، حيث قال: قال رسول الله (ﷺ): ((الْخِلاَفَةُ فِي أُمّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمّ قَالَ سَفِينَةُ: امْسِكْ عَلَيْكَ خِلاَفَةَ أَبي بَكْرٍ، ثُمّ قَالَ: وَخِلاَفة عُمَرَ وَخِلاَفَةَ عُثْمانَ، ثُمّ قَالَ لي: امسِكْ خِلاَفَةَ عَلِيّ، قال: فَوَجَدْنَاهَا ثَلاَثِينَ سَنَةً))(4).

---

(1) ابن حجر، الإصابة (ج1/ 2-3)، واعتبر ابن حجر أن هذا التعريف هو أصح ما وقف عليه من تعريفات، ثم فسر كلامه فقال: ((فيدخل ذلك: فيمن لقيه مَنْ طالت مجالسته له أو قصرت، ومَن روى عنه أو لم يرو، ومَن غزا معه أو لم يغز، ومَن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومَن لم يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد الإيمان مَن لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى، ويدخل في قولنا "مؤمنًا به": كل مؤلف من الجن والإنس، وخرج بقولنا "ومات على الإسلام": مَن لقيه مؤمنًا به ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله. وقد وجد من ذلك عدد يسير كعبيد الله بن جحش الذى كان زوج أم حبيبة، وكعبد الله بن خطل الذى قُتلَ وهو مُتعلق بأستار الكعبة))، بتصرف.

(2) الماوردي، الأحكام السلطانية (ص 5).

(3) محمد رشيد رضا، الخلافة (ص17).

(4) أحمد: مسند أحمد، تتمة مسند الأنصار/ حديث أبي عبد الرحمن سفينة، (ج256/36): رقم الحديث (21928)، قال محققو المسند: إسناده حسن.

ب. وقال أيضاً (ﷺ): ((تكونُ النُّبُوَّةُ فيكُم ما شاءَ اللَّهُ أنْ تكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها اللَّهُ إذا شاء أنْ يَرْفَعَها، ثُمَّ تكونُ خِلافَةً عَلى مِنهاج النُّبوَّةِ، فَتَكونُ ما شاءَ اللّهُ أنْ يَكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها اللّهُ إذا شاء أنْ يَرْفَعَها، ثُمَّ تَكونُ مُلْكاً عاضّاً...))[1].

قال ابن حجر: ((أراد بالخلافة خلافة النبوة وأما معاوية ومن بعده فعلى طريقة الملوك ولو سُمُوا خلفاء))[2]، وقال الطحاوي: ((ونثبت الخلافة بعد رسول (ﷺ) أولا لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ثم لعثمان (رضي الله عنه)، ثم لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون))[3].

المطلب الأول: مكانة الصحابة في القرآن الكريم والسنة الثابتة:

لقد منَّ الله على المؤمنين أن رفع قدر صحابة رسول الله (رضي الله عنهم) في كتابه وعلى لسان رسوله (ﷺ)، لأنهم هم الأُمناء على دين الله بعد وفاة رسول الله (ﷺ)، وبهم ارتفع شأن الإسلام حيث بذلوا دمائهم وأرواحهم وأموالهم من أجل دين الله ومن أجل رسول الله (ﷺ)، فنقلوا لنا الإسلام كما أخذوه عن رسول الله (ﷺ) دون تبديلٍ ولا تغيير.

أولاً : مكانة الصحابة في القرآن الكريم :-

لقد تحدث القرآن الكريم في العديد من الآيات عن الصحابة (رضي الله عنهم)، وعن فضلهم وتمجيده لهم وتجاوز رب العالمين عن أخطائهم وزلاتهم؛ فبعض الآيات يتحدث عن عموم صحابة رسول الله، مثل قوله تعالى: ﴿**لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ [التوبة: 88]؛ ثم منها مَن خص أكبر فئتين من الصحابة وهما المهاجرون والأنصار، فوصف المهاجرين بالصادقين والأنصار بالمفلحين: ﴿**لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ**﴾ [الحشر: 8].

(1) أحمد: مسند أحمد، مسند الكوفيين/ حديث النعمان بن بشير، (ج355/30): رقم الحديث (18406)، قال محققو المسند: إسناده حسن.

(2) ابن حجر، فتح الباري (ج409/12).

(3) الألباني، تخريج العقيدة الطحاوية (ص 81).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9]، وهناك آيات جاءت لتخص بعض الصحابة لا سيما أبو بكر الصديق (ﷺ)، وهذا ما سيُتعرضُ له عند الحديث عن مكانة الخلفاء الراشدين الأربعة في القرآن الكريم إن شاء الله تعالى.

ثانياً: مكانة الصحابة في السنة النبوية الثابتة :-

تحدث النبي (ﷺ) في العديد من الأحاديث عن فضل صحابته عامة، حيث تحدث عن خيرية قرنهم فقال (عليه الصلاة والسلام) : ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))(1)، ثم تحدث عن فضل أصحابه بالعموم : فقال : ((لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه))(2)، بل إن رسول الله (ﷺ) جعل أصحابه أمَنةً لأمته، قال عليه الصلاة والسلام : ((النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنةٌ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون))(3)، قال الإمام النووي (رحمه الله) في شرحه لقوله (ﷺ): (وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) : ((معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك مكة والمدينة وغير ذلك، وهذه من معجزاته (ﷺ)))(4). وخصّ بعض أصحابه بأحاديث أخرى، منها ما خص بها الخلفاء الراشدين (ﷺ)، وهذا ما سيوضحه البحث عند الحديث عن مكانة الخلفاء الراشدين في السنة النبوية إن شاء الله تعالى.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات/باب ألا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد، (ج171/3): رقم الحديث (2652).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (ﷺ)/ باب لو كنت متخذاً خليلاً، (ج8/5): رقم الحديث (3673).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة / باب أن بقاء النبي (ﷺ) أمنة لأصحابه، (ج1961/4): رقم الحديث (2531).

(4) النووي، المنهاج (شرح النووي على صحيح مسلم)، (ج83/15).

المطلب الثاني: مكانة الخلفاء الراشدين في القرآن الكريم والسنة النبوية

أولاً: مكانة أبي بكر الصديق (ﷺ): -

لقد جاءت العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة عن رسول الله مادحةً لأبي بكر ومبيِّنةً فضله[1] ، منها:

1. قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل : 17-21]، يقول ابن كثير (رحمه الله): ((... وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق (ﷺ)، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك،...))[2].

2. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:22]، فقد قال الله تعالى عنه أنه أولو فضلٍ وسَعة، ثم أشار الله لغفرانه له، ((... وهذه الآية نزلت في الصديق (ﷺ) حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال؛ ... وكان الصديق (ﷺ) معروفاً بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ الآية، ... فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنا نحب ـ يا ربنا ـ أن تغفر لنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً))[3] .

3. قال رسول الله (ﷺ): ((لو كنتُ متخذًا خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي))[4]، وقال أيضاً : ((لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سُدت إلا خوخة أبي بكر، إنّ أَمَنّ الناس عليَّ في صحبته وذات يده أبا بكر))[5]، يقول ابن تيمية معقباً على هذا الحديث: ((وهذا الحديث

---

(1) لن يتم سرد جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا المقام، بل بعضاً منها.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/ ص 672-673).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/ ص368-369).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل أبي بكر، (ج83/15): رقم الحديث (2383).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة/ باب الخوخة والمحراب في المسجد، (ج100/1): رقم الحديث (466).

فيه ثلاث خصائص لم يشرك أبا بكر فيها غيره...حيث بين فيه أنه ليس لأحد من الصحابة عليه من حق في صحبته وماله مثل أبي بكر (ﷺ)...وتخصيصه ببقاء خوخته مفتوحة على المسجد... ثم نص أنه لا أحد من البشر يستحق الخلة لو كانت ممكنة إلا أبو بكر، ولو كان غيره أفضل منه، لكان أحق بالخلة لو كانت واقعة))[1].

ثانياً: مكانة عمر بن الخطاب (ﷺ): -

ظهرت مكانة الفاروق من خلال العديد من الأحداث والنصوص، منها:

1. موافقة القرآن الكريم للعديد من آرائه، ولقد تتبع الإمام السيوطي (رحمه الله) هذه الموافقات فأوصلها إلى أكثر من عشرين[2] .
2. عن أبي هريرة (ﷺ) قال بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) إذ قال: ((بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبراً" فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله))[3] .
3. عن حمزة بن أسيد الأنصاري عن أبيه أن رسول الله (ﷺ) قال: ((بينا أنا نائم شربت – يعني اللبن – حتى أنظر إلى الري يجري في ظفري أو أظفاري، ثم ناولت عمر" فقالوا: فما أولته قال: العلم))[4] .
4. عن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): ((لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يكُ في أمتي أحد فإنه عمر))[5].

ثالثاً: مكانة عثمان بن عفان (ﷺ): -

لقد كانت لعثمان (ﷺ) مكانةً عظيمة عند رسول الله (ﷺ) حيث زوجه بنتيه (رُقية ثم أم كلثوم)، وقال له رسول الله(ﷺ) بعد وفاة أم كلثوم: ((لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان))**[6]**.

---

(1) ابن تيمية، الخلفاء الراشدون (ص ص 30-31)، بتصرف.

(2) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص ص95-98).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب ما جاء في صفة الخلق/ باب ما جاء في صفة الجنة، (ج171/4): رقم الحديث (3242).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (ﷺ)/ باب مناقب عمر بن الخطاب، (ج10/5): رقم الحديث (3682).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (ﷺ)/ باب مناقب عمر بن الخطاب، (ج12/5): رقم الحديث (3689).

(6) ابن كثير، البداية والنهاية (ج350/10).

ومن النصوص التي جاءت في فضله: -

1. فقد نقل ابن كثير عن ابن عمر أن قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:9]، نزلت في عثمان بن عفان (ﷺ)، ثم علل ذلك بقوله: ((وإنما قال ابن عمر (رضي الله عنهما) ذلك؛ لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان (ﷺ) بالليل وقراءته، حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة؛ كما روى ذلك أبو عبيدة عنه (ﷺ)، وقال الشاعر :

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوانُ السُّجودِ **** يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وقُرْآنا))(1).

2. وبيّن القرآن أن عثمان يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم، فقد نقل ابن كثير قول يعلى ابن أمية عن ابن عباس في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[النحل:75] قال: ((نزلت في رجل من قريش وعبده، يعني: قوله: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ الآية، وفي قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[النحل:76] قال: هو عثمان بن عفان: قال: والأبكم الذي أينما يوجهه لا يأت بخير، قال: هو مولى لعثمان بن عفان، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما))(2).

3. وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله والملائكة يستحيون من عثمان (ﷺ): ((فعن عائشة، قالت : كان رسول الله (ﷺ) مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله (ﷺ)، وسوى ثيابه – قال محمد : ولا أقول ذلك في يوم واحد – فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال :"ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة))(3).

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/ 62).

(2) الطبري، جامع البيان (ج264/17).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل عثمان بن عفان، (ج1886/4): رقم الحديث (3689).

4. وروى الترمذي في سننه عن عبد الرحمن بن سمرة قال: ((جاء عثمان إلى النبي (ﷺ) بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة، فينثرها في حجره، قال عبد الرحمن: فرأيت النبي (ﷺ) يقلبها في حجره، و يقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم؛ مرتين))[1].

رابعاً: مكانة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه):

لقد كانت مكانة أبي الحسن عظيمة في الإسلام، فزواجه من فاطمة بنت رسول الله وإنجابه منها سيدا شباب أهل الجنة (الحسن والحسين) يشهدان على ذلك، ومن النصوص التي دلت على فضله:

1. حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَن رَسُولَ اللهِ (ﷺ) خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فَقَالَ: ((أَتخَلفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ قَال: أَلاَ تَرْضى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارونَ مِنْ موسى إلاَّ أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي))[2].

2. قَالَتْ عَائِشَةُ: ((خَرَجَ النَّبِيُّ (ﷺ) غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ[3]، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: " ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: 33] "))[4] .

3. وعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: ((غَزَوْتُ مَعَ عَلِيٍّ الْيَمَنَ فَرَأَيْتُ مِنْهُ جَفْوَةً، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ) ذَكَرْتُ عَلِيًّا فَتَنَقَّصْتُهُ، فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) يَتَغَيَّرُ فَقَالَ: يَا بُرَيْدَةُ أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ "قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: " مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ))[5] .

---

(1) سبق تخريجه (ص 20).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي / باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، (ج3/6): رقم الحديث (4416).

(3) يقول الألباني (رحمه الله): المِرْطٌ: كساء يكون تارة من صوف وتارة من شعر أو كتان أو خز، والمُرَحَّلٌ: أي عليه صورة رحال الإبل، انظر: المنذري: مختصر صحيح مسلم، كتاب اللباس/ باب في لبس المرط المرحل، (ج361/2): رقم الحديث (1350).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل أهل بيت النبي (ﷺ)، (ج1883/4): رقم الحديث (2424).

(5) أحمد: مسند الإمام أحمد، تتمة مسند الأنصار/ حديث بريدة الأسلمي، (ج32/38): رقم الحديث (22945)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

المطلب الثالث: مكانة الخلفاء الراشدين عند الصحابة وعلماء السنة والجماعة

لا يخفى على أي مسلمٍ صحيح الإيمان مكانة الخلفاء الراشدين فيما بينهم أنفسهم وما بين الصحابة (ﷺ)، وكذلك مكانتهم بين علماء الأمة (رحمهم الله).

أولاً: مكانة الخلفاء الراشدين فيما بينهم وفيما بين الصحابة:

لقد عرف الصحابة مكانتهم فيما بينهم حيث كانوا يقدمون أبا بكر (ﷺ) على أنفسهم بعد رسول الله (ﷺ)، ثم الفاروق ثم عثمان ثم عليّ (ﷺ)، بل إن الخلفاء الراشدين الأربعة كانوا يعرفون مقاماتهم فيما بينهم، فعن محمد ابن الحنفية، قال: ((قلت لأبيّ أي الناس خير بعد رسول الله (ﷺ)؟ قال: «أبو بكر»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر»، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين))[1]، ولقد أشار ابن تيمية (رحمه الله) إلى مثل ذلك حيث قال عن عليّ بن أبي طالب (ﷺ): ((تواتر عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، روي هذا عنه من أكثر من ثمانين وجهاً، ورواه البخاري وغيره، ولهذا كانت الشيعة المتقدمون كلهم متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) كما ذكر ذلك غير واحد))[2].

وبلغ عليّ بن أبي طالب أن ابن السوداء[3] تَنقّص أبا بكر وعمر، فدعا به وبالسيف فهمّ بقتله، فكُلِمَ فيه، فقال: ((لا يساكني بلداً أنا فيه فنفاه إلى الشام))[4].

وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، قال: ((كنا نخير بين الناس في زمن النبي (ﷺ) فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان (ﷺ)))[5] ، وقد ثبت عن ابن عباس: ((أنه كان يفتي من كتاب الله. فإن لم يجد فبسنه رسول الله (ﷺ)، فإن لم يجد أفتى بقول

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (ﷺ)/ باب لو اتخذت أحداً خليلاً، (ج7/5): رقم الحديث (3671).

(2) ابن تيمية، منهاج السنة (ج308/1).

(3) هو عبد الله بن سبأ، أصله من صنعاء من اليمن، وكانت أمه سوداء لذا يُطلق عليه ابن السوداء كذلك، وكان يهودياً وأظهر الإسلام، وإليه تنسب السبئية (انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج340/4)، وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ج3/29)

(4) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج1336/4).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (ﷺ)/ باب فضل أبي بكر بعد النبي (ﷺ)، (ج4/5): رقم الحديث (3655).

أبي بكر وعمر؛ ولم يكن يفعل ذلك بعثمان وعليّ))[1] ، وها هو الصحابي الجليل أنس بن مالك (ﷺ) يروي ((أن النبي (ﷺ): صَعَد أُحُدَا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال: اثبت أحد فإنما عليك نبي، وصِدّيقٌ، وشهيدان))[2] .

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي، قال: ((قلت لأبي ذر: لو أتيت برجل يسب أبا بكر عليه السلام، ما كنت صانعاً؟ قال اضرب عنقه، قلت: فعمر؟ قال: اضرب عنقه))[3].

مما سبق من نصوص ثابتة وصحيحة ومن غيرها الكثير يتضح لنا أن الصحابة (ﷺ) كانوا لا يعدلون أحداً بأبي بكر بعد رسول الله، ثم عمر بن الخطاب، وكاد أن يكون ذلك إجماعاً بينهم ثم يأتي عثمان ثم عليّ (رضي الله عنهم أجمعين)، وهذا الأمر كان واضحاً بين الخلفاء الراشدين أنفسهم، لذلك لم يكونوا يقدمون رأياً على رأيهم بعد القرآن الكريم السنة النبوية.

ثانيا: مكانة الخلفاء الراشدين عند علماء أهل السنة والجماعة:

لقد أخذ الصحابة بعامة والخلفاء الراشدون بخاصة المكانة والحظوة العُظمى والأولى عند العلماء والتي تلي مقام رسول الله ومكانته في الاقتداء والاهتداء والتشريع والاتباع والحجة، وهذا ما عبر عنه جمهور العلماء حين رأوا أن رأي الصحابي إن اشتهر في عصره ولم يعترض عليه غيره من الصحابة يُصبح حجة، يقول ابن تيمية (رحمه الله): ((وأما أقوال الصحابة فإن انتشرت ولم تُنكر في زمانهم فهي حجة عند جماهير العلماء))[4]، وفصّل الشافعي فيما نقل عنه ابن القيم (رحمهما الله) في ذكر آراء العلماء في تفضيلهم للصحابة: ((وإن لم يخالف الصحابي صحابياً آخر فإما أن يشتهر قوله في الصحابة أو لا يشتهر، فإن اشتهر فالذي عليه جماهير الطوائف من الفقهاء أنه إجماع وحجة، وقالت طائفة منهم: هو حجة وليس بإجماع، وقالت شرذمة من المتكلمين وبعض الفقهاء المتأخرين: لا يكون إجماعاً ولا حجة، وإن لم يشتهر قوله أو لم يعلم هل اشتهر أم لا فاختلف الناس: هل يكون حجة أم لا؟ فالذي عليه جمهور الأمة أنه حجة، هذا قول جمهور الحنفية، صرح به محمد بن الحسن، وذكر عن أبي حنيفة نصاً، وهو مذهب مالك، وأصحابه، وتصرفه في موطئه دليل عليه، وهو قول إسحاق بن راهويه وأبي عبيد،

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج398/4).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (ﷺ)/ باب لو اتخذت أحداً خليلاً، (ج9/5): رقم الحديث (3675).

(3) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج1339/4).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج14/20).

وهو منصوص الإمام أحمد في غير موضع عنه واختيار جمهور أصحابه، وهو منصوص الشافعي في القديم والجديد))[1] .

وكان العلماء يقدمون رأي الخلفاء الراشدين الأربعة واجتهاداتهم ترتيباً حين لا يجدون في كتاب الله وسنة رسوله إجابة لأسئلتهم، فها هو الإمام أحمد (رحمه الله) يقول: ((فاذا وجدت عن رسول الله (ﷺ) لم أعدل إلى غيره فاذا لم أجد عن رسول (ﷺ) فعن الخلفاء الأربعة الراشدين المهديين، فإذا لم أجد عن الخلفاء فعن أصحاب رسول الله (ﷺ) الأكابر فالأكابر فاذا لم أجد فعن التابعين وعن تابعي التابعين وما بلغنى عن رسول الله (ﷺ) حديث بعمل له ثواب إلا عملت به رجاء ذلك الثواب ولو مرة واحدة))[2]، وقال ابن أبي زيد القيرواني: ((وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر، ثم عثمان ثم عليّ (رضي الله عنهم أجمعين))[3]، وأكد على مثله القاضي أبو بكر الباقلاني، حيث قال: ((ويجب أن يُعلم: أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين ومقدم الخلق أجمعين من الأنصار والمهاجرين بعد الأنبياء والمرسلين: أبو بكر الصديق (ﷺ)...، ثم من بعده على هذا أمير المؤمنين عمر (ﷺ) لاستخلافه إياه...وبعده أمير المؤمنين عثمان بن عفان (ﷺ)، وبعده أمير المؤمنين عليَ بن أبي طالب (ﷺ))[4]، وكما قال أبوعمر بن عبد البر: ((الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، وهم أفضل الناس بعد رسول الله (ﷺ))[5]، وقال ابن تيمية: ((اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبوبكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ))[6].

وقام عمر بن عبد العزيز ((يضرب مَن شتم عثمان بن عفان ثلاثين صوتاً، وكذلك عاصم الأحول (وكان محتسباً لخلفاء بني العباس) فقد ضرب مَن شتم عثمان سبعين صوتاً في دفعات))[7].

وذكر شُعيب بن حرب (ت 199 هـ) حديثاً دار بينه وبين أبي عبد الله سفيان الثوري (ت 161 هـ)، يسأله فيه عن العقيدة التي تنجيه يوم القيامة، فكان مما سأله شُعيب لسفيان

---

(1) ابن القيم، إعلام الموقعين (ج92/4).

(2) آل تيمية، المسودة في أصول الفقه (ص336).

(3) القيرواني، عقيدة السلف (ص 61).

(4) الباقلاني، الرسالة مع شرحها المثمر (ص23).

(5) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (ج351/2).

(6) ابن تيمية، الوصية الكبرى (ص33).

(7) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج1337/4).

الثوري: ((يا أبا عبد الله وما موافقة السنة؟ قال: تقدمة الشيخين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، يا شُعيب: لا ينفعك ما كتبت حتى تقدّم عثماناً وعليّاً على مَن بعدهما))[1].

نكتفي بهذا القدر من المنقول، لما فيه من وضوح وكفاية للتأكيد على إجماع علماء المسلمين على مختلف مذاهبهم وفرقهم وأزمانهم (باستثناء الخوارج والغلاة من الشيعة) على أن مكانة الخلفاء الراشدين وبالترتيب تأتي مباشرة بعد مكانة رسول الله في التشريع والاقتداء.

(1) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج172/1).

الفصل الأول

جهود أبي بكر الصديق (ﷺ) في تقرير العقيدة الصحيحة

الفصل الأول

جهود أبي بكر الصديق (ﷺ) في تقرير العقيدة الصحيحة

كان الصحابة في عهد رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدون من بعده يرون أن كل ما أمر الله به ورسوله يجب اتباعه، على أيِّ حالٍ كانوا، بخلاف الكثير من المسلمين اليوم حيث يصف البعض ((أموراً من السنن أو الدين بأنها قشور، ولكن الدين كله لباب لا قشور فيه))[1] ، حيث كان يُطلق على كل علوم الإسلام الفقه[2]، فقد كان ((الفقه عند أهل الصدر الأول فقهاً شاملاً للدين كله، غير مختص بجانبٍ منه، وقد كان الفقيه عندهم يعنى بالأصول قبل الفروع، ويعنى بأعمال القلوب قبل عمل الأبدان))[3] .

ولا أدل على ذلك من موقف عمر بن الخطاب (ﷺ) حين دخل عليه شابٌ وهو مطعون، فبشره الشاب بقولٍ حسن ((فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا عليَّ الغلام، قال: ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك!.))[4] ، يقول الدكتور الأشقر: ((وكم يؤثر في نفسي مشهد عمر مع الشاب حين طُعن، حيث لم يمنعه الموت الذي نزل به من أن يرشد ذلك الرجل إلى أمرٍ يعدُه كثيرٌ من الناس اليوم من القشور، التي لا يجوز أن يُعنى بها))[5].

وإنَّ ما قام به الخليفة الراشد عمر (ﷺ) هو التطبيق الفعلي لمفهوم الصحابة لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا**﴾[الأحزاب :36]، حيث كانوا لا يترددون عن تنفيذ أوامر الله ورسوله دون تمييز، فقد أدركوا أن ((الإيمان له شطران: عقيدة نقية راسخة تستكن في القلب، وعملٌ يظهر على الجوارح، فإذا فُقد أحد الركنين، فإن الإيمان يزول أو يختل؛ إذ

---

(1) الأشقر، العقيدة في الله (ص 21)، بتصرف.

(2) يقول مناع القطان: ((فتدوين العلوم الشرعية بتصنيفات مستقلة عن بعضها البعض كعلم تفسير أو حديث أو سيرة أو عقيدة أو فقه جاء متأخراً حيث بدأ التدوين في منتصف القرن الثاني الهجري ونشط في القرن الثالث الهجري))، (مباحث في علوم القرآن (ص 8)، بتصرف).

(3) الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي (ص12).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي/ باب قصة البيعة، (ج15/5): رقم الحديث (3700).

(5) الأشقر، العقيدة في الله (ص 21)، بتصرف.

الاتصال بين الطرفين وثيق جداً))[(1)]، لذلك فإن ((العقيدة وقضايا الإيمان في حياة أصحاب رسول الله (ﷺ) كانت ملء القلوب والعقول والأسماع والأبصار، بينما هي في الكثيرين الآن قضايا هامشية))[(2)].

فالفقه على سبيل المثال كان ((يشمل في ذلك العهد علم العقيدة وأحكام الفروع، والأخلاق))[(3)]. وعليه فإن ((التعريف الاصطلاحي للتشريع عند أهل الصدر الأول يطابق التشريع الاصطلاحي للفقه عندهم، إذ كلٌ منهما كان يتناول الدين كله بعقائده، وأحكامه، وآدابه))[(4)] .

وما أدل على ذلك هو اسم الكتاب المنسوب لأبي حنيفة والذي هو بعنوان: (الفقه الأكبر والمتضمن لمسائل العقيدة الصحيحة)، واستخدم الإمام الشافعي لعلم العقيدة هذا الاسم ايضاً[(5)]، واعتبر أن الفقه هو الفقه الأصغر، لأن منطلقات الإيمان وأعمدته هي الأصل وما نتج عنها هو فروع، ثم تم إطلاق أسماءٍ عديدةٍ على علم العقيدة عبر العصور، فسُمي الإيمان، والسُنة والتوحيد والشريعة والعقيدة وأصول الدين، وأخيراً التصور الإسلامي وهو يعتبر مصطلحاً حديثاً[(6)]، يقول أبو حامد الغزالي: ((فقد كان الفقه يُطلق في العصر الأول على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق النفوس ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا – بالنسبة للآخرة– وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب، ويدل على هذا المعنى قول الله عز وجل: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾[التوبة :122]، وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا الفقه...قال تعالى: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾[الحشر :13]، فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه "أي معرفة طريق الآخرة والخشية من الله ومعرفة ما يصلح النفس))[(7)]

---

(1) الأشقر، العقيدة في الله (ص 20).

(2) حوى، في آفاق التعاليم (ص67).

(3) الأشقر، تاريخ الفقه الإسلامي (ص12).

(4) المرجع السابق (ص16).

(5) ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة (ص71)، بتصرف.

(6) المصدر السابق، ويوضح الكاتب معنى التصور الإسلامي فيقول: "هو: الفكرة العامة التي جاء بها الإسلام عن الوجود كله "الله، الكون، الحياة، الإنسان" (ص130).

(7) الغزالي، إحياء علوم الدين (ج32/1)، بتصرف

وبالنظر في حديث رسول الله (ﷺ) ((بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ.))[1] نرى الأمر جلياً وواضحاً، حيث إن أول ركن لدين الله هو الشهادتان، وهما لب الإيمان بل تتضمنان الإيمان كله، ومنه تتفرع إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، فهذه الأفعال الأربعة دون الأول لا قيمة لها، في المقابل فإن صحة فعلها وقَبولَ الله لها من العبد دلالة على صحة توحيد العبد لله، بل إن طبيعة أدائها معيارٌ لصحة الإيمان من عدمه، وهذا نستشفه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ)، حيث قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ))[2] .

وعليه فإن أفعال الخلفاء الراشدين وخطبهم ورسائلهم للناس وللوُلاة تأتي ضمن هذا المفهوم الذي ورثوه عن رسول الله وأقرهم عليه (ﷺ)، وورثه معهم كل الصحابة، أي أن ((ميزان قوة العقيدة والإيمان هو حال رسول الله (ﷺ) وأصحابه، كما أن ميزان صحة العقيدة هو ما كان عليه رسول الله (ﷺ) وأصحابه))[3]، فلا ينبغي أن يكون الإيمان لدى المسلم ((مجرد معرفة باردة بإرادة الله، أو معرفة يستعلي صاحبها عن الإقرار بها، أو يرفض أن ينصاع لحكمها، بل هي عقيدة رضي بها قلب صاحبها، وأعلن عنها بلسانه، وارتضى المنهج الذي صاغه الله متصلاً بها))[4].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان / باب دعاؤكم إيمانكم، (ج11/1): رقم الحديث (8).

(2) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الصلاة/ باب ما جاء أنّ أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، (ج269/2): رقم الحديث (413)، قال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني.

(3) حوى، في آفاق التعاليم (ص67).

(4) الأشقر، العقيدة في الله (ص20).

المبحث الأول

المحافظة على العقيدة التي رسخها النبي (ﷺ)

المتفحص في حياة الصدّيق (رضي الله عنه) وتصرفاته منذ وفاة النبي (ﷺ) حتى نهاية خلافته، يعلم أنه – بحق– أقدر المسلمين على حفظ الموروث النبوي في شتى الأمور لا سيما العقائدية منها، بل ويطمئن أن الله حفظ دينه كاملاً بعد وفاة حبيبه (ﷺ) بتولية أبي بكر أمر الخلافة بعده، فقد قال أبو هريرة (رضي الله عنه) ((والذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استُخلف ما عُبد الله))[(1)] ، وقال الإمام عليّ بن المدينيّ (ت 234هـ): ((أيَّد الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة))[(2)] .

لقد رأى الأستاذ العقاد (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) أن الخليفة الراشد الأول قد أسس الدولة الإسلامية من خلال أنه: ((وطدَّ العقيدة وسيَّر البعوث؛ فشرع السنة الصالحة في توطيد العقيدة بين العرب بما صنعه في حرب الردة، وشرع السّنة الصالحة في تأمين الدولة من أعدائها بتسيير البعوث وفتح الفتوح؛ فكان له السبق على خلفاء الإسلام في هذين العملين الجليلين))[(3)] ، إلا أن حصر (العقاد) لحفظ العقيدة بما صنعه في حرب الردة فيه جزءٌ من الحقيقة، حيث إن حربه للمرتدين كانت أحد وسائله المرموقة – وليس كُلُّها – في حفاظه على العقيدة الإسلامية كعقيدة ثابتة صحيحة كما كانت على عهد رسول الله (ﷺ).

وبالولوج في سيرة الخليفة الراشد الأول ودراستها والتمعن فيها تتجلى معالم بارزة كثيرة ومتعددة عمل من خلالها (رضي الله عنه) للمحافظة على العقيدة وتثبيتها، وهذا ما سأبينه في هذا المبحث.

المطلب الأول : معالم حفظه للعقيدة من خلال خطبه ورسائله:

إنه لا أدل على معرفة الإنسان وفهمه للأشياء من دلالة لفظه وكلامه ((لأن الكلام صورة نفسية وقدرة عقلية في وقت واحد. فهو يكشف عن نفس قائله كما يكشف عن قدرة عقله ومبلغ عرفانه بتصوير خلجات قلبه وخطرات ذهنه، فتقديره لكلامه وكلام الناس ميزان صادق

---

(1) البيهقي، الاعتقاد (ص 345)، رواه بسند متصل إلى أبي هريرة (رضي الله عنه).

(2) الخطيب، تاريخ بغداد (ج418/4).

(3) العقاد، عبقرية الصديق (ص81).

لتقدير الرجل في جملة أحواله وأفعاله، وعلامة على الثقافة الروحية والفكرية قلما تضارعها علامة أخرى.))[1] .

وهذه معالمُ حفظه للعقيدة مُستنبطةً من خلال أقواله وخطبه ورسائله وأفعاله:

أ. الموت حق على النبي (ﷺ) كما هو حقٌ على غيره من المخلوقات: –

لقد وقع ((خبر الوفاة –وفاة النبي (ﷺ) – على المخلصين من الصحابة وقعاً شديداً، والكثير منهم غير مصدق أن الرسول (ﷺ) يغادر دنيا الناس، حيث غابت أحلامهم من هول ما سمعوا))[2]، وكان على رأس هؤلاء عمر بن الخطاب حيث قال: ((إِنَّ رِجَالًا مِنْ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَدْ تُوُفِّيَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) مَا مَاتَ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ رَجَعَ إلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ قِيلَ قد مَاتَ، و والله لَيَرْجِعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) كَمَا رَجَعَ مُوسَى، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ زَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) مَاتَ.))[3]، لكنّ الصِدّيق أعلم الصحابة وأفضلهم وأكثرهم فهماً لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله، فحين سمع بخبر وفاة النبي أَقْبَلَ (رضي الله عنه) عَلَى فَرَسِهِ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ ((فَدَخَلَ المَسْجِدَ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ (ﷺ) وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ: «بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لاَ يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا المَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا))[4] ثم خرج (رضي الله عنه) ((وَعُمَرُ (رضي الله عنه) يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: «اجْلِسْ»، فَأَبَى، فَقَالَ: «اجْلِسْ»، فَأَبَى، فَتَشَهَّدَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه)، فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا (ﷺ)، فَإِنَّ مُحَمَّدًا (ﷺ) قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِين**﴾[آل عمران :144]"، قال ابن عباس: وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلاَهَا أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه)، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ، فَمَا يُسْمَعُ

---

(1) العقاد، عبقرية الصديق (ص 119).

(2) شرف الدين، أبو بكر وبنوه (ص44).

(3) ابن هشام، السيرة النبوية (ج210/4).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز/ باب الدخول على الميت إذا أدرج في أكفانه، (ج71/2): رقم الحديث (1241)، يقول د. مصطفى البغا: (السُّنْحِ) مكان بعوالي المدينة. (فتيمم) قصد. (مسجى) مغطى. (ببرد حبرة) ثوب يماني مخطط.

بَشَرٌ إِلَّا يَتْلُوهَا))[1] ، وبذلك رسخ أبوبكر الصديق (ﷺ) أمرين عقديين في نفوس الصحابة والمسلمين من بعدهم، وهما: أن **الرسول بَشَرٌ وأنه لا يُعبَدُ إلا الله**، أي أن الرسول تجري عليه سُنن الله في خلقه من موت وفناء ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ**﴾[آل عمران:186]، وأن التعلق بالأشخاص تعلقٌ بمنهجهم لا بشخوصهم حتى لو كانوا أنبياء: ((فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا (ﷺ)، فَإِنَّ مُحَمَّدًا (ﷺ) قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ))[2]، فبقِيَت هذه الكلمات خالداتٍ حتى يومنا هذا وبقيت حجةً على مَن أنزل الرسول والأنبياء وبعض البشر منزلةً أكبر من المنزلة التي أنزلهم الله إياها.

ب. خيرية البشر لا يعلمها إلا الله (سد باب من أبواب الإضلال للناس): -

جاء في خطاب التولية، أنه قال: ((فإنِّي قد وليتُ عليكم ولست بخيركم))[3] : هنا نجد أن أبا بكر يقرر أمرين، هما: أن الولاية على المؤمنين لا تكون إلا برضىً منهم لا غصباً عنهم، وأنه كبقية المسلمين، لأن معرفة الأفضل من الناس لا يملك أمره إلا الله، وهذا الأمر انقطعت معرفته بانقطاع الوحي وذلك بوفاة رسول الله (ﷺ)، مع علم الصحابة لمكانة الصدّيق عند رسول الله (ﷺ)، وأنه أفضلهم، وأنه الأحق بالخلافة، لكن الصدّيق يريد أن يُغلقَ باباً من أبواب الشرك وهو الحكم على الناس وتصنيفهم بما يخص خيريتهم ومقامهم عند الله، ولقد نهانا الله عن تزكية أنفسنا فقال: ﴿**فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[النجم :32]،ووصف المؤمنين الصادقين بالقول: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾[المؤمنون: 60-61].

وما ذهب إليه أبوبكر هو ما ذهب إليه رسول الله (ﷺ) بنفسه، فقد رفض (ﷺ) أن يعطيه المسلمون مكانة غير الذي أنزله الله إياها[4] ، وسد بهذا النهج طُرقاً عديدةً من طُرق الشرك بالله، فعن أنس (ﷺ) أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز/ باب الدخول على الميت إذا أدرج في أكفانه، (ج71/2): وهو تابع لحديث رقم (1241)، عن أبي سلمة (ﷺ)عن ابن عباس (ﷺ).

(2) المصدر السابق، نفس الحديث.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية (ج415/9)، علق ابن كثير على الرواية بقوله: وهذا إسناده صحيح.

(4) انظر: آل الشيخ، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص ص598-602).

سيدنا! فقال ((يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله))(1) .

وهذا النهج من عدم تزكية الأنفس هو الذي حفظ الصحابة من الانزلاق عن الصراط المستقيم والحيد عنه بعد وفاة رسول الله، فقد أخرج البخاري في الصحيح تعليقاً عن ابن أبي مليكة(2) رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو من كبار التابعين قال: ((أدركت ثلاثين من أصحاب الرسول (ﷺ)، ما منهم أحد يقول إيماني على إيمان جبريل وميكائيل، وما منهم أحد إلا وهو يخاف النفاق على نفسه))(3).

وهذا الأمر انزلق به أقوامٌ سابقون حين جعلوا أشخاصاً في مقامات لم يضعهم الله فيها، فأدى بهم إلى الشرك كما حدث مع قوم نوح، قال الله تعالى : ﴿**وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا**﴾[نوح: 23]، قال ابن عباس في هذه الآية: ((هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم، عُبدت))(4)، وحدث مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى: ﴿**وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ**﴾[التوبة: 30]، بل وحدث في تاريخ المسلمين بعد عقدين من الزمن بعد وفاة رسول الله حين غلت الطوائف الشيعية في تمجيد الأشخاص ورفعتهم مكاناً عالياً، ففريقاً كفروا حين ألّهوا علي بن أبي طالب(5)، ومنهم من ضلّ حين جعلوه هو ومَن

---

(1) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة/ مسند أنس بن مالك، (ج23/20): رقم الحديث (12551)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(2) هو عبد الله بن أبي مليكة، وهو أبو بكر، ويقال: أبو محمد، عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة، واسمه زهير – التيمي، المدني –، وقال المزي: المكي، الأحول، كان قاضياً لعبد الله بن الزبير ومؤذناً له، أدرك ثلاثين من الصحابة، توفي سنة (117هـ)، من الطبقة الثالثة، ثقة، فقيه، ولم يكن له عقب. (الطري، المعجم الصغير (ج336/1)، بتصرف).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان/ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، (ج18/1)، وصله ابن حجر في تغليق التعليق (ج52/1).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب وداً ولا سواعاً ولا يغوث ولا يعوق، (ج160/6): رقم الحديث (4920).

(5) كالسبئية وغيرها، انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم/ باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، (ج15/9): رقم الحديث (6922).

جاء من نسله أئمة معصومين(1)، وهذا الأمر جعل الأمة المسلمة تعيش انقسامات عديدة في حياتها بسبب عقائد فاسدة وضالة، فأراد أبو بكر أن يسد هذا الباب بهذه الكلمات، بل إن الناظر في حياة السلمين آنذاك يرى أن من أسباب ادعاء البعض النبوة في أواخر حياة رسول الله هو ادعائه للخيرية على غيره وأنه ليس أقل من رسول الله (ﷺ).

وكذلك فإن من أسباب صد قريش للدعوة الإسلامية في بداية العهد المكي هي تصنيفها للناس وللأفضلية حسب مقاييس وأهواء جاهليتهم ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾[الزخرف: 31]، وكأن قريشاً سلكت طريق بي إسرائيل في ذلك حين اختار الله لهم طالوت ملكاً، فقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا﴾ والسبب: ﴿وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾[البقرة: 247].

فالحكم على الناس بالخيرية من عدمها لا يملك أمرَ حقيقته إلا الله، ولانقطاع الوحي لا يمكن لأحدٍ أن يجزم بخيرية أحَدٍ على أحَد، وهذا كان من آخر وصايا رسول الله في حجة الوداع، حيث قال (ﷺ): ((لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى))(2)، فالمنهج القويم هو أن نقدم حُسن الظن بالأشخاص على نقيضه، وأن نحكم على الأفعال لا الأشخاص، فنقول: إنما نظن بفلان خيراً لبعض الأفعال الصالحة التي تبدر منه لكن الذي يعلم حقيقة الأمور وصدق النوايا هو الله، والذي يملك الحكم على الناس حقيقةً في دخولهم الجنة والنار هو الله؛ لأن معيار التقوى الحقيقي لا يعلمه إلا الله، ونقول هذا فعلُ كفر، وهذا فعل نفاق وهذا فعل فسوق لأن الله عزوجل بيّن لأمة الإسلام في كتابه العزيز، وكذلك وضح رسوله (ﷺ) الفرق بين الحسن والقبيح من الأفعال والأقوال(3).

وبالرجوع لرواية ابن إسحاق في السيرة نرى وكأن أبا بكر أراد أن يُغلق هذا الباب من أبواب الشيطان الشِركية، لأنّ مَن تكلم به عمر بن الخطاب، وأبو بكر يعلم مكانة عمر العظيمة في نفوس المسلمين، فقد قدم عمرُ أبا بكر للبيعة في المسجد بعد اجتماع السقيفة بيوم، فقال: ((إن

(1) كالشيعة الاثنا عشرية، انظر: بخيت، الفرق القديمة والمعاصرة (ص 53-56)، وانظر: الخميني، الحكومة الإسلامية (ص52).

(2) أحمد: مسند الإمام أحمد، تتمة مسند الأنصار/ باب حديث رجل من أصحاب رسول الله، (ج474/38): رقم الحديث (23489)، قال محققو المسند: إسناده صحيح.

(3) انظر: شرح العقيدة الطحاوية للحنفي (ص ص316-330)، (ص ص369-373).

الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه))[(1)].

ت. إثباته صفتي اليد والعلم لله تعالى:-

صفتا اليد والعلم هما صفتان ذاتيتان لله سبحانه، فصفة اليد صفة ذاتية خبرية، أما صفة العلم فصفة ذاتية عقلية، والصفة الذاتية العقلية، تعني أن ((الاستدلال عليها يحصل بالعقل فيقترن في معرفتها السمع والعقل كصفة الحياة والعلم والقدرة الإرادة والسمع))[(2)]، أما الصفة الذاتية الخبرية، فهي تعني أن ((الاستدلال عليها وإثباتها لا يمكن إلا عن طريق النص كصفة اليدين))[(3)].

ولقد أثبت أبو بكر الصديق (ﷺ) صفتي اليد والعلم لله تعالى، فقد قال الذهبي: ((وقد ثبت عن عبد الرحمن بن سابط قال: قال أبو بكر الصديق (ﷺ): خلق الله الخلق فكانوا في قبضته، فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي))[(4)].

واحتج السجستاني على المريسي بإثبات صفة اليد لله بأحاديث وآثار منها هذا الأثر، ومما رد عليه به، قوله بصيغة الاستنكار ((... أَمْ قَوْلُ أَبِي بكر الصّديق وَرَضي اللَّهُ عَنْهُ: خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَكَانُوا فِي، قَبْضَتِهِ أَيْ نِعْمَتِهِ، قَالَ لِمَنْ فِي نِعْمَتِهِ الْيُمْنَى" "ادْخُلُوا الْجَنَّةَ وَقَالَ لِمَنْ فِي نِعْمَتِهِ الْأُخْرَى: ادْخُلُوا النَّارَ ؟!...))[(5)] .

وفي هذا الأثر إثبات من أبي بكر لوجود الجنة والنار كذلك.

ث. طاعة ولي الأمر من طاعة الله ورسوله: -

ما كان لمؤمنٍ أن ينازع رسول الله في الأمر كنبي ابتداءً وكذلك كرئيسٍ للمسلمين، لأنها من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله، لكن بعد وفاته (ﷺ) فالاختلاف وارد لطبيعة البشر

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، (ج214/4)؛ وانظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء(ص56).

(2) عاشور والسميري، دراسات في توحيد الأسماء والصفات الإلهية (ص37)

(3) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(4) الذهبي، كتاب الأربعين في صفات رب العالمين (ص78): رقم الحديث (71)، والأثر مرسل حيث إن عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من أبي بكر الصديق، لكن استدل به الكثير من أهل العلم، منهم الذهبي والسجستاني واللالكائي والسيوطي وغيرهم، وقال رشيد الألمعي: هناك شواهد عديدة صحيحة تثبت صحة متن الأثر. (النقض على المريسي، (ج269/1)).

(5) السجستاني، نقض المريسي الجهمي (ص 288).

في ذلك، وعليه فقد جعل القرآن الكريم طاعة ولي الأمر من طاعة الله ورسوله، وأمر برد الاختلاف إلى الله ورسوله، وجعل هذه الأمور معايير الإيمان بالله واليوم الآخر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء:59]، ولذلك طاعة ولي الأمر الشرعي أمرٌ يتعلق بضوابط الإيمان، فأراد أبوبكر أن يثبّت ذلك حيث قال للمسلمين في خطبة التولية: ((فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني))(1)، بل قال في أحد خطبه: ((...، فإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم))(2)، ثم حدد ضوابط هذه الطاعة، فقال في نفس الخطبة: ((فإنه من يطع ولي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق))(3)، وجاء في رواية أخرى أنه قال في خطبة التولية: ((...، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي، ... أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ))(4).

مما سبق من النصوص الواردة على لسان الخليفة الراشد الأول يتضح لنا كذلك أنه لا قدسية لرأي شخص ولا لفعله ولا لفهمه مهما بلغ أمره وعلت مكانته بعد الأنبياء، إنما القدسية فقط لنصوص الكتاب والسنة، والخيرية فيما وافقهما، وهذا من أهم العوامل التي جعلت فترة الخلفاء الراشدين وعلى رأسها فترة أبي بكر الصديق هي الأفضل بعد زمن رسول الله بلا منازع، والحمد لله رب العالمين.

ج. لا نبي ولا وحي بعد رسول الله (ﷺ): -

لقد أراد الصدّيق أن يقطع الطريق عما قد وقعت فيه الأمم الخالية من انحرافات عقائدية ذكرها لنا القرآن الكريم، وقد أيقن بانقطاع الوحي بوفاة رسول الله، فسارع بالتأكيد على ذلك للمسلمين، وأنه لا أحد يستطيع أن يكون كرسول الله؛ فقد أخرج ابن سعد عن الحسن البصري قال: ((لما بويع أبو بكر قام خطيباً فقال: أما بعد...ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله لم أقم به، كان رسول الله عبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به، ألا وإنما أنا

(1) ابن هشام، السيرة النبوية (ج214/4).
(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 79).
(3) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(4) ابن كثير، البداية والنهاية (ج415/9)، وقال: هذا إسنادٌ صحيح، قال السيوطي في تاريخ الخلفاء معقباً على هذا النص أن مالك قال: (لا يكون أحدٌ إماماً أبداً إلا على هذا الشرط) (ص 59).

بشر))[1]، وقال في رواية أخرى بعد شهر من ولايته مؤكداً هذا الأمر العقائدي: ((أيها الناس وددت أن هذا كفانيه غيري، ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ما أطيقها، إن كان لمعصوماً من الشيطان، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء))[2].

وأكد على أنه ليس للمسلمين إلا ميراث رسول الله بشقيه القرآن الكريم وسنة رسوله الأمين، وهذا ما سارع بتوضيحه للمسلمين بعد وفاة رسول الله مباشرة، فقد أخرج ابن سعد والخطيب في رواية مالك بن عروة، حيث ذكر حين خطب بعد البيعة العامة في المسجد قوله: ((أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ وَلِيتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ وَلَكِنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَنَّ النَّبِيُّ (ﷺ) السُّنَنَ فَعَلَّمَنَا فَعَلِمْنَا))[3] .

لقد كان الصدّيق ذا نظرة ثاقبة، حيث سد بذلك أخطر الأبواب التي قد ينفد من خلالها الشيطان في غوايته وإضلاله للناس، وبقي الأمر على ذلك حتى خلافة عليّ بن أبي طالب، وظهور فرق الشيعة الذين أنزلوا أئمة أهل البيت منزلة العصمة النبوية، بل رأى مَن هم على شاكلتهم أن هؤلاء الأئمة وصلوا لدرجة لم يصل لها نبي مرسل ولا ملكٌ مقرب[4] !

أراد أبو بكر أن يثبّت أنه بوفاة رسول الله اكتمل الدين وانقطع الوحي، وهو بذلك أراد أن يسُدّ الطريق على أي زيادةٍ أو نقصٍ فيه، وامتاز أبو بكر على معظم الصحابة في هذا الأمر برسوخه وثباته، حتى الفاروق لم يكن بهذا الرسوخ بما يخص ذلك، فها هو الفاروق يريد من الصديق أن يتألف الناس ويرفق بهم بعدما ارتدّ كثيرٌ من الناس، فقد أخرج الإسماعيلي عن عمر (ﷺ) أنه قال: ((لما قُبض رسول الله ارتد مَن ارتد من العرب، وقالوا: نصلي ولا نزكي فأتيت أبا بكر فقلت: يا خليفة رسول الله، تألف الناس، وأرفق بهم، فإنهم بمنزلة الوحش، فقال: رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك جباراً في الجاهلية جوازاً في الإسلام، بماذا عسيت أن أتألفهم؟ بشعرٍ مفتعل أو بسحر مفترى؟ هيهات هيهات مضى النبي وانقطع الوحي، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي...))[5] .

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج212/3).

(2) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند أبي بكر الصديق، (ج242/1): رقم الحديث (82)، قال محققو المسند: إسناده ضعيف، لأن أحد رواته عيسى بن المسيَّب البجلي قاضي الكوفة وهو مختلف فيه، أما الحاكم فقد وثقه وقال لم يُجرح قط، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين.

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج136/3).

(4) انظر: الخميني، الحكومة الإسلامية (ص ص 52–53).

(5) ابن كثير، مسند الفاروق (ج673/2)، قال ابن كثير: هذا إسنادٌ غريب من هذا الوجه، ولكن لهذا شواهد كثيرة من وجوه أُخر.

كما ظهر ذلك من الصديق حين أصر على إنفاذ جيش أسامة، وقال للصحابة وعلى رأسهم الفاروق وقائد الجيش أسامة بن زيد: ((والذي نفس أبي بكر بيده! لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر رسول الله (ﷺ)، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته))[1].

ح. الكتاب والسنة مرجعية كل مسلم: -

يُعتبر أبو بكر الصديق (ﷺ) من المتوسطين[2] ممن روي عنهم من الفتاوي من بين الصحابة، إلا أن المتتبع لكلامه وتصرفاته وتوجيهاته منذ وفاة النبي (ﷺ) وحتى نهاية خلافته يظهر له استناده لآية من كتاب الله أو لسنة من سنن رسول الله، حيث سار ((في سياسة أمور المسلمين، ولا رقيب عليه إلا الدستور القرآني الذي بين يديه، وبرهان من حقائق القانون الذي تكونت أركانه من تشريع الله وسنة نبيه))[3]، لدرجة أنه كان هناك أشياءٌ لا يوجد عن رسول الله شيئاً عنها إلا عنده، وهذا يدل على عِظم إيمان أبي بكر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب:36]، ولذلك فقد اشتُهر عنه قوله ((إنما أنا متبع ولست بمبتدع، ولن أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته))[4]، ومن شواهد ذلك:

1- فصله بأمر وفاة النبي: حيث استند في ذلك على قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[آل عمران: 144][5] .

2- فصله في أن الخلافة في قريش: وذلك حين دار النقاش بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، مستندا لآياتٍ من القرآن الكريم ولأحاديث نبوية شريفة[6] .

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج45/4)، وابن كثير، البداية والنهاية (ج422/9)، وعقب ابن كثير على هذه الرواية قائلاً: "وَقَدْ رُوِيَ هَذَا عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، وَمِنْ حَدِيثِ الْقَاسِمِ وَعَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ".

(2) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج369/1).

(3) شرف الدين، أبو بكر وبنوه (ص60).

(4) ابن عبد البر، الاستيعاب (ج255/2).

(5) انظر: الفقرة (أ) من المطلب الأول لهذا المبحث.

(6) انظر: الفقرة (أ) من المطلب الثاني للمبحث الثاني من الفصل الأول.

3- فصله في مكان دفن النبي عند وفاته: اختلف الصحابة في مكان دفن النبي بعد وفاته، فإنه ((لما قبض رسول (ﷺ) اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر سمعت من رسول الله (ﷺ) شيئا ما نسيته، قال: ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه))[1] لذلك فقد((دُفن (ﷺ) حيث كان فراشه، رُفع الفراش وحُفرَ تحته))[2].

4- فصله في ميراث رسول الله[3]: حيث أجاب العباس عمّ النبي وفاطمة بنته حين طالباه بميراثهما بعد وفاة النبي بقوله لهما: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: "لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا المَالِ"))[4] .

5- فصله في إنفاذ أوامر رسول الله مهما كلف الأمر: فها هو يرد على الصحابة الذين جاءوه ليثنوه عن إنفاذ جيش أسامة الذي أعده النبي قبيل مرضه ليسير إلى بلاد الشام لتأديب قبائل غسان النازلين على مشارفها لجرأتهم على قتل سفير النبي إليهم، فقال: ((وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ ظَنَنْت أَنّ السّبَاعَ تَأْكُلُنِي بِالْمَدِينَةِ لَأَنْفَذْت هَذَا الْبَعْثَ، وَلَا بَدَأْت بِأَوّلَ مِنْهُ، وَرَسُولُ اللهِ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مِنْ السّمَاءِ يَقُولُ: أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ))[5]، ثم برز عِظم تنفيذ أوامر رسول الله في ردة فعل الصديق على طلب الفاروق له –وهو يتحدث نيابة عن الأنصار– بأن يقود الجيش رجلٌ أقدم سناً من أسامة الشاب حديث السن، فوثب الخليفة من جلسته التي كان يجلسها، وأخذ بلحية عمر وقال له: ((ثَكِلَتْكَ أمك وعدمتك يا بن الخطاب! استعمله رسول الله (ﷺ) وَتَأْمُرَنِي أَنْ أَنْزِعَهُ!))[6]، بل إن الصديق أمر ((مناديه أن ينادي: عَزْمَةٌ مِنّي أَلّا يَتَخَلّفَ عَنْ أُسَامَةَ مِنْ بَعْثِهِ مَنْ كَانَ أُنْتُدِبَ مَعَهُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَإِنّي لَنْ أُوتَى بِأَحَدٍ أَبْطَأَ عَنْ الْخُرُوجِ مَعَه إلاّ أَلْحَقْته بِهِ مَاشِيًا))[7].

---

(1) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الجنائز/ باب ما جاء في دفن النبي (ﷺ)، (ج3/329): رقم الحديث (1018)، قال الترمذي: حديثٌ غريب، وصحيحه الألباني (مختصر الشمائل المحمدية (ص 195)).

(2) ابن كثير، البداية والنهاية (ج8/ 139).

(3) انظر: الفصل الأول/ المبحث الثاني/ المطلب الأول/ الفقرة (ب).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفرائض/ باب قول النبي (ﷺ) لا نورث، ما تركناه صدقة، (ج8/149): رقم الحديث (6725، 6726).

(5) الواقدي، المغازي (ج3/1121).

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج3/ 226).

(7) الواقدي، المغازي (ج3/1122).

خ. تقديم أوامر الله وأوامر رسوله على كل أمر: –

إن تقديم أوامر الله ورسوله على كل شيء جعلت العقيدة الإسلامية محفوظة ومصونة، وهل هناك معنى أو قيمة للإيمان إن لم يُبْنَ على تقديم هذه الأوامر على غيرها!، ولقد كان الصديق يعمل بكل طاقته إلى ((احترام كل ما يبلغ عن النبي (ﷺ) ولا يحيد عنه قيد شعرة))[1]، حتى بالرغم من حبه لفاطمة بنت رسول الله وبالرغم من مكانة ابنته أم المؤمنين عائشة من قلبه، إلا أنه في ((مسألة الميراث ما كان له أن يُبرم فيها غير ما أبرم وقد علم أن النبي لا يورث كما قال عليه السلام، وكان حكم عائشة في هذا كحكم فاطمة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)[2]، فقد روت أم المؤمنين عائشة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ فَاطِمَةَ – عَلَيْهَا السَّلاَمُ – ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) سَأَلَتْ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله (ﷺ)، أَنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيرَاثَهَا، مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ[3]، فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»، فَغَضِبَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ، فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتَهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ))[4]، كما أنه منع امرأةً الصحابي رفاعة (رضي الله عنه) التي طلقها أن ترجع إليه بعد زواجها من عبد الرحمن بن الزبير لأنه لم يغشاها[5] ، وذلك لأن رسول الله (ﷺ) كان قد رفض لها ذلك قبل موته حتى ((تذوق عُسيلته ويذوق عُسيلتها))[6] .

د. تثبيته عدم التفريق بين أركان الإسلام: –

الصدّيق يُعلنها أنه لا فرق بين ركنٍ وآخر من أركان الإسلام، فرَفضُ الزكاة ردةً وإن أدى باقي شعائر الإسلام، وكما قال الشيخ النجار: ((...، ومع أن المانعين للزكاة لم يرفضوا جميع أحكام الإسلام ولكنهم سموا مرتدين لجحدهم ركناً من أركانه))[7] .

---

(1) شرف الدين، أبو بكر وبنوه (ص69).

(2) العقاد، عبقرية الصديق (ص 116).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس/ بدون باب، (ج79/4): رقم الحديث (3092).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس/ بدون باب، (ج79/4): رقم الحديث (3093)، وانظر أيضاً: حديث رقم (6725 و 6726).

(5) المصنف، عبد الرزاق (ج11133/6).

(6) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطلاق/ باب من جوز الطلاق بالثلاث، (ج42/7): رقم الحديث (5260).

(7) النجار، الخلفاء الراشدون (ص37).

ولقد رأى العقاد أن رفض أبي بكر للتفريق بين الزكاة والصلاة وبين ركنٍ وآخر إنما هو استرشادٌ منه بفعل رسول الله، يقول العقاد عن أبي بكر أنه: ((الرجل الذي كان مثلاً في الاقتداء بالرسول حيثما سبقت سابقةٌ عليها، وقد سبقت هذه السابقة في فريضة من فرائض الإسلام وإن لم تكن فريضة الزكاة: سبقت في فريضة الصلاة، وذهب أناس من المثقفين يعرضون على النبي إسلامهم على أن يعفيهم من الصلاة، فقال عليه السلام: "إنه لا خير في دين لا صلاة فيه[1]"[2] وكذلك لا خير في دين لا زكاة فيه، فإذا جاء المرتدون يزعمون أنهم مسلمون يقبلون فرائض الإسلام ولا يقبلون الزكاة فليس أبو بكر بالذي يقبل منهم ما يزعمون.))[3].

ذ. شتم النبي خروج عن الدين وموجبٌ للقتل: -

ثبّتَ أبوبكر حُكماً مهماً في الدين يحفظ هيبة رسول الله (ﷺ)، فحفظُ هيبته في النفوس حفظٌ لهيبة المُرسِل وهو الله، وكذلك حفظٌ لهيبة حامل الرسالة وهو جبريل (عليه السلام)، وحَفظٌ للرسالة نفسها وهي كتاب الله وسنة رسوله، وهذه هي أركان الإيمان الأربعة التي يتحقق بها الشهادة بأن محمداً (ﷺ) رسول الله، ولذلك فإن شتمَ النبيِّ شتمٌ لكل هذه الأركان جميعها، فها هو واليه على اليمامة المهاجر بن أبي أمية قد وقع إليه امرأتان مغنيتان ((غَنَّتْ إِحْدَاهُمَا بَشَتْمِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَطَعَ يَدَهَا وَنَزَعَ ثنيتَهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْر: بَلَغَنِي الَّذِي فعلت فِي الْمَرْأَةِ الَّتِي

(1) لم يرد هذا النص في كتب الحديث لكن ورد في كتب المغازي والتاريخ، انظر: الواقدي، المغازي (ج3/967-968)؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج3/99)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج7/206-207)، ثم عقب ابن كثير بذكره رواية الإمام أحمد (17913). انظر النقطة التالية من الحاشية.

(2) والعقاد يشير إلى جواب رسول الله (ﷺ) لوفد ثقيف حين قدموا المدينة ليُسلموا: ((فاشترطوا عليه أن لا يُحْشَروا ولا يُعْشَرُوا ولا يُجَبُّوا، فقال رسولُ الله (ﷺ): "لكم أن لا تُحشَروا ولا تُعشَروا، ولا خيرَ في دِين ليس فيه ركوعٌ"")) (أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين/ باب حديث عثمان بن العاص، (ج29/439): رقم الحديث (17913)، قال محققو المسند: رجاله ثقات رجال الصحيح غير أن في سماع الحسن من عثمان اختلاف، ونقلوا عن السندي قوله: "معنى لا يحشروا: لا يندبوا إلى الجهاد، ولا يضرب عليهم البعوث، وقيل: لا يحشروا إلى عامل الزكاة ليأخذ صدقة أموالهم بل يأخذها في أماكنهم، ومعنى لا يعشروا: لا يأخذ عشر أموالهم، وقيل: أراد به الصدقة الواجبة، وإنما فسح لهم في تركها، لأنها لم تكن واجبة يومئذ عليهم، وإنما تجب بتمام الحول؛ وسئل جابر عن اشتراط ثقيف أن لا صدقة عليهم ولا جهاد، فقال: عَلِمَ منهم أنهم سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا فرخص فيها، ولا يُجَبُّوا: التجبية، وأصل التجبية أن يقوم مقام الراكع، وقيل: أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم، وقيل: أصلها السجود، وبالجملة، فمرادهم أن لا يصلوا مجازاً، قال جابر: ولم يرخص لهم في ترك الصلاة لأن وقتها حاضر يتكرر بخلاف وقت الزكاة والجهاد").

(3) العقاد، عبقرية الصديق (ص86).

تَغَنَّتْ بِشَتِمِ النبيِ (ﷺ)، فَلَوْلا مَا سَبَقْتَنِي فِيهَا لأَمَرْتُكَ بِقَتْلِهَا؛ لأَنَّ حَدَّ الأَنْبِيَاءِ لَيْسَ يُشْبِهُ الْحُدُودَ، فَمَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْ مُسْلِمٍ فَهُوَ مُرْتَدٌّ، أَوْ مُعَاهِدٍ فَهُوَ مُحَارِبٌ غَادِرٌ))[1].

فشتمُ النبي (ﷺ)[2] يوجب القتل حسب رأي مذهب عامة أهل العلم، وقد استندوا بأحاديث منها:

1. حديث الأعمى الذي قتل المرأة اليهودية، قال: سمعتها تشتم النبي (ﷺ)، فأهدر رسول الله دمها[3] .
2. حديث حصين أن ابن عمر قال: من شتم النبي (ﷺ) قُتل[4]، يقول ابن تيمية: ((مَن سبّ النبي (ﷺ) من مسلمٍ أو كافر فإنه يجب قتله، هذا مذهبٌ عليه عامةُ أهل العلم))[5]، ثم أورد آراء أهل العلم وخلص إلى قوله ((وتحرير القول فيه-أي شاتم الرسول- أن السابّ إن كان مسلماً فإنه يكفر ويُقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم...وإن كان ذمياً فإنه يُقتل أيضاً في مذهب مالك وأهل المدينة))[6]، ونُقل الإجماع على قتل شاتم الرسول عن الصدر الأول من الصحابة والتابعين[7] .

وبالرجوع لحادثة المغنيتين فنرى أن الثانية غنّت بهجاء المسلمين، فكتب إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فِيها ((فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ قَطَعْتَ يَدَ امْرَأَةٍ فِي أَنْ تَغَنَّتْ بِهِجَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَنَزَعْتَ ثنيتَهَا، فَإِنْ كَانَتْ مِمَّنْ تَدَّعِي الإِسْلامَ فَأَدَبٌ وَتَقْدِمَةٌ دُونَ الْمُثْلَةِ، وَإِنْ كَانَتْ ذِمِّيَّةً فَلَعَمْرِي لَمَا صَفَحْتَ عَنْهُ مِنَ الشِّرْكِ أَعْظَمُ، وَلَوْ كَانَتْ تَقَدَّمَتْ إِلَيْكَ فِي مِثْلِ هَذَا لَبَلَغَتْ مَكْرُوهًا، فَاقْبَلِ الدِّعَةَ، وَإِيَّاكَ وَالْمُثْلَةَ فِي

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج341/3)، واستند إبن تيمية على الرواية في كتابه الصارم المسلول (ص 124).

(2) من المهم التذكير أن هذه الأحكام تقع إن كان هناك دولة للمسلمين تحكم بكتاب الله وسنة رسوله، وكان شاتم رسول الله (ﷺ) ضمن حدود هذه الدولة سواء كان من المسلمين أو الذميين، لأن كل الوقائع والاستدلالات التي استدل عليها أهل العلم كانت بعد تكوين الدولة المسلمة في المدينة وبعدما أصبحت قوية وصلبة ومعترفٌ بها-والله تعالى أعلم.

(3) أبو داوود: سنن أبي داوود، كتاب الحدود/باب فيمن سب النبي (ﷺ)، (ج530/4)، رقم الحديث (4362)، قال الألباني إسناده صحيح على شرط الشيخين (إرواء الغليل/ج91/5).

(4) الخلال، أحكام أهل الملل، كتاب الحدود/ باب فيمن شتم النبي (ﷺ) ،(ص258): رقم الحديث (726).

(5) ابن تيمية، الصارم المسلول (ج1/3).

(6) المرجع السابق (ج2/3)

(7) المرجع نفسه (ج1/3).

النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا مَأْثَمٌ وَمَنْفَرَةٌ إلا فِي قِصَاصٍ))[1]، وهذا يدل أنه لا شيء في القُبحِ يعدلُ شتم النبي (ﷺ) في نظر الشرع الحنيف.

ر. تثبيته أن تنفيذ أوامر رسول الله ووصاياه كتنفيذ أمر الله: -

إن هذا الأساس العقائدي برز جلياً وواضحاً في حياة الصديق بل وفي أصعب لحظاتٍ عاشها هو والأمة، وما رده على عمر بن الخطاب حين أرسله الأنصار ليستبدل أسامة بن زيد برجل أكبر منه، وكذلك جوابه للصحابة الذين أرادوا من قبل تأخير بعث أسامة للشام، لخير برهان على عدم تفريقه بين أمر الله وأمر رسوله، لذلك قال عريف الصحابة عمر بن الخطاب وهو يقبل رأسه: ((لولا أنت لهلكنا))[2] .

ز. تثبيته أنّ حبَّ آل البيت[3] من الإيمان: -

إن حُبَّ آل بيت رسول الله (ﷺ) كان مُقدَماً على أي حبٍ عند أبي بكر الصديق والصحابة، كيف لا؟ ورسول الله يوصي المسلمين ويقول لهم: ((...خُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)).[4]

وهذا الحب المرتبط بالإيمان بيّنه أبو بكر لعليّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) حين رفض إعطاء فاطمة ميراث أبيها، فقال له ((والذي نفسي بيدِه لَقرابةُ رسول الله (ﷺ) أحبُّ إليَّ أنْ أَصِلَ من قرابَتِي))[5]، بل إن أبا بكر كان يوصي المسلمين ويقول لهم: ((ارقُبُوا محمَّداً (ﷺ) في أهل بيته))[6]، أي: ((احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم))[7].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج341/3)، واستند إبن تيمية على الرواية في كتابه الصارم المسلول (ص 124).

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق، حديث رقم (46153)، رواه متصلاً إلى أبي رجاء العطاردي.

(3) يقول الشيخ محمد صالح المنجد: ((آل بيت النبي (ﷺ) هم: أزواجه وذريته وبنو هاشم وبنو عبد المطلب ومواليهم)). انظر: موقع الإسلام سؤال وجواب (موقع إلكتروني).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل علي بن أبي طالب، (ج1874/4)، رقم الحديث: (2408).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب حرب بني النضير، (ج90/5)، رقم الحديث: (4036).

(6) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة/ باب مناقب قرابة رسول الله (ﷺ)، (ج20/5)، رقم الحديث: (3713).

(7) ابن حجر، فتح الباري (ج79/7).

لقد كان حبُّ أبي بكر لآل رسول الله منطلقاً من حبه لرسول الله (ﷺ)، الذي هو ((حب الإيمان والإعجاب والولاء، وهو الحب الذي تهون فيه على المرء نفسه وماله وذووه، وينزعه من ماضيه ليستولي على حاضره كله وما هو أعز عليه من الحاضر وما فيه، وهو الأمل فيما يشهد والأمل فيما وراء الغيب، بل الأمل في حياة لن تبيد)) [1].

المطلب الثاني: إنفاذ أوامر رسول الله قبيل موته واتباع أوامره (ﷺ)

إنّ جهود أبي بكر (رضي الله عنه) في تقرير العقيدة، كان لها شكلاً عملياً واضحاً تمثل في إنفاذه لوصايا رسول الله، وهذه الوصايا هي:

أ. إنفاذ جيش أسامة: -

إن إنفاذ الصديق لجيش أسامة كان أول علامة من علامات القوة العقائدية بالثقة بالله وبنصره في أول أيام خلافته، فقد ((أجمع المؤرخون وكُتّاب السِّيَر على أنه لولا صلابة أبي بكر برأيه وتشبثه بعقيدته هذه لأضحى الإسلام ديناً نظرياً يُضم إلى قائمة الديانات والعقائد الإنسانية البحتة))[2]، ولذلك اعتبر العقاد أن ((بعثة أسامة كانت العنوان الأول لسياسة عامة في الدولة الإسلامية هي في ذلك الحين خير السياسات كان قوامها كله طاعة ما أمر به رسول الله))[3]، وقد رأى أبو بكر أن ((العصمة — حق العصمة — في رأي واحد لا رأي قبله ولا بعده، وهو الطاعة (لأمر رسول الله) في غير ليٍّ ولا هوادة ولا إبطاء))[4].

ب. جابر ومال البحرين: -

روى الإمام مسلم أن ((جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ البَحْرَيْنِ قَدْ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا"، فَلَمْ يَجِئْ مَالُ البَحْرَيْنِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ (ﷺ)، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ البَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ، فَلْيَأْتِنَا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ:

---

(1) العقاد، عبقرية الصديق (ص 114).
(2) أسد، منهاج الحكم في الإسلام (ص117).
(3) العقاد، عبقرية الصديق (ص 83).
(4) المرجع السابق (ص 84).

إنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ لِي: كَذَا وَكَذَا، فَحَثَا لِي حَثْيَةً، فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ، وَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا))(1)

يقول الشيخ عثمان بن خالد السبت شارحاً لهذا الحديث: ((أن النبي (ﷺ) قال له: أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا. يعني: ثلاث حثيات، ولما جاء أبو بكر(ﷺ) حثا واحدة، فقال: عُدّ، فإذا هي خمسمائة، قال: خذ مثليها، يعني: المجموع يكون ألفًا وخمسمائة. فهذا هو وجه الشاهد أن أبا بكر –رضي الله تعالى عنه– أنفذ وعد رسول الله (ﷺ))(2)، وما أعظمه من إنفاذ، حيث الدقة وعدم التأويل الفاسد.

المطلب الثالث: تقريره بوجوب اختيار إمامٍ للمسلمين

لقد فهم الصحابة وعلى رأسهم أبوبكر أن وجود إمامٍ للمسلمين هو من صُلب الدين، وهو لا يقل أهميةً عن التوحيد والصلاة وبقية أركان الإسلام، فالله الذي شرع الصلاة والصيام والزكاة والحج قد شرع أيضاً ((الأحكام التي تنظم المجتمع الإسلامي، وطالب المسلمين بتنفيذ هذه الأحكام، ومعاقبة المتمردين على تلك الأحكام، بإقامة الحدود، والقصاص من المعتدين، وكل ذلك يحتاج إلى سلطة سياسية، وقد كانت هذه السلطة متمثلة في الرسول (ﷺ) في حياته))(3)، ولذلك فبالرغم أن فراقهم لرسول الله يعتبر أعظم مصيبة حلّت بهم(4) إلا أن وفاته (ﷺ) لم تشغلهم عن هذا الأصل، يقول الهيثمي: ((أجمع الصحابة الكرام أن نَصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله (ﷺ))(5).

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل/ باب ما سُئل رسول (ﷺ) شيئاً فقال لا وكثرة عطائه، (ج4/1806)، رقم الحديث: (2314).

(2) انظر: دروس شرح كتاب رياض الصالحين (موقع إلكتروني).

(3) الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة (ص342).

(4) فقد أخرج ابن أبي خثيمة وابن عساكر عن ابن عيينة قال: ((كان أبو بكر إذا عزى رجلاً قال: ليس مع العزاء مصيبة، وليس مع الجزع فائدة، الموت أهون مما قبله، وأشد مما بعده، اذكروا فَقْدَ رسول الله (ﷺ) تصغر مصيبتكم وأعظم الله أجركم)). (السيوطي، تاريخ الخلفاء/ ص75).

(5) الهيثمي، الصواعق المحرقة (ص7).

وما ذهب إليه الصحابة جميعاً مصدره ما سمعوه من رسول الله (ﷺ): ((مَن خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية))[(1)]، وقد حفظوا قول ربهم : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَـٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء:59]، فكان فعل الصحابة مؤشراً على إجماعهم على ذلك، مما جعل الشهرستاني يستنتج أن ((ذلك الإجماع على هذا الوجه دليلٌ قاطعٌ على وجوب الإمام))[(2)]، وذكر ابن حزم اتفاق أهل السنة وغيرهم على وجوب الإمامة[(3)]، كذلك ذكر ابن خلدون أيضاً إجماع الصحابة والتابعين على ذلك مستشهداً بمبادرة الصحابة إلى بيعة أبي بكر بعد وفاة النبي (ﷺ) مباشرة[(4)].

لم تختلف آراء الصحابة في وجوب تنصيب حاكم لهم، إنما اختلفوا في مَن يكون هذا الحاكم؟ واجتهد المهاجرون والأنصار لوضع أسس هذا النظام الجديد، ولذلك اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليتشاوروا في الأمر، ثم انضم إليهم المهاجرون بقيادة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة، ورفض المهاجرون أن يقضوا أمر الخلافة دون مشاورة إخوانهم الأنصار وتمت مبايعة أبي بكر بتوافق المهاجرين والأنصار[(5)] .

ولقد ثبّت الصدّيقُ هذا الأمر وهو يودع هذه الدنيا، فقد كان همه الأول في مرض وفاته (رضي الله عنه) ألا تخلو الأرض من إمام، يقول الشهرستاني: ((وما دار في قلبه –أي أبي بكر– ولا في قلب أحد أنه يجوز خلو الأرض من إمام))[(6)]، وكيف لا؟! حيث جمع صحابة رسول الله في مرض موته، وخاطبهم بالقول: ((إنه قد نزل بي ما ترون ولا أظنني إلا ميتاً لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم فأمّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمّرتم في حياة مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي))[(7)]، ولقد استخلف على المسلمين عمرَ بن

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة/ باب الأمر بوجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، (ج1478/3)، رقم الحديث: (1851).

(2) الشهرستاني، نهاية الأقدام في علم الكلام (ص480).

(3) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج72/4).

(4) انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ص 239–240).

(5) انظر :البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحدود/ باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، (ج168/8)، رقم الحديث: (6830).

(6) الشهرستاني، نهاية الأقدام في علم الكلام (ص480).

(7) شاكر، التاريخ الإسلامي/ الخلفاء الراشدون (ج258/9).

الخطاب بعد استشارته لكبار الصحابة من المهاجرين والأنصار كعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وأسيد بن حضير، وسعيد بن زيد[1] .

وبذلك ثبّتَ أبو بكر أموراً ثلاثة، وهي: أنه لا ينبغي أن يبقى المسلمون دون إمام ولو ليومٍ واحد، وأن الإمام يكون بعد مشورةٍ من عدول المسلمين، وأن الإمام يأتي برضى المسلمين لا غصباً عنهم، وهي نفس الأسس التي تمت بها بيعته في سقيفة بني ساعدة يوم وفاة رسول الله (ﷺ).

وهذا الفقه الراشدي توارثه علماؤنا وفقهاؤنا، فقد قال الشيخ الداعية سعيد حوى: ((في عصرنا فُقد منصب الخلافة، وقد نص فقهاء الشافعية أنه في هذه الحالة تعطى أحكام الخلافة لأعلم أهل زمانه))[2]، وذلك حتى لا تبقى الأمة بلا خليفة أو إمام.

---

(1) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج79/2).

(2) حوى، في آفاق التعاليم (ص93).

المبحث الثاني:

منهج أبي بكر الصديق (ﷺ) في تقرير العقيدة

تميَز منهج أبي بكر الصديق (ﷺ) في تقرير العقيدة التي ورثها عن رسول الله (ﷺ) بسمات عديدة، منها:

المطلب الأول: الحوار والنقاش بالاستناد لنصوص الوحي بشقيه (القرآن والسنة)

إن المتتبع لحياة أبي بكر (ﷺ) مُنذ وفاة النبي (ﷺ) وتوليه الخلافة يلحظ أنه كان ينطلق من القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة في ترسيخ العقيدة الصحيحة، حتى أصبح منهجاً لديه (ﷺ)، وذلك من خلال أساليب عديدة: كالحوار والنقاش مع الصحابة الكرام وأيضاً سؤاله عن علمٍ لم يصله عن رسول الله (ﷺ)، ومن خلال إبعاد المسلمين عن العودة للاستنان بسنن الجاهلية التي هدمها الإسلام.

1. أسلوب الحوار:

كان للصديق (ﷺ) منهجٌ واضحٌ في استخدام الحوار والنقاش المنطلقين من نصوص القرآن وسُنة رسول الله كسِمة وطريقة؛ لتثبيت مفاهيم الإسلام وأركانه، ولا سيما العقائدية منها.

ولا أدل على ذلك من محاورته للأنصار في السقيفة مسترشداً بآيات الله، وقول رسول الله، ثم حواره لفاطمة بنت رسول الله في موضوع ميراث رسول الله، وغيرها من الوقائع الأخرى.

أ. الحوار في السقيفة:

أورد ابن العربي المالكي الحوار الذي تم بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة رسول الله مباشرة حيث اجتمعت الأنصار في سقيفة بين ساعدة يتشاورون ((فسار إليهم المهاجرون، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فتراجعوا الكلام، فقال بعض الأنصار: منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر كلاماً كثيرا مصيباً، يكثر ويصيب، منه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، إن رسول الله (ﷺ) قال: " الأئمة من قريش " وقال: " أوصيكم بالأنصار خيراً: أن تقبلوا من محسنهم، وتتجاوزوا عن مسيئهم، إن الله سمانا ﴿**الصَّادِقِينَ**﴾ وسماكم ﴿**المفلحين**﴾ وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ**﴾ [التوبة: 119]))[1]

---

(1) ابن العربي، العواصم من القواصم (ص10).

ولقد تعددت الروايات[1] فيما دار في حوار السقيفة، لكن ما نود التركيز عليه هو رجوع أبي بكر للقرآن الكريم وأقوال الرسول العظيم في نقاشه مع المختلفين معه في الرأي، هذه المنهجية جعلت الحوار والنقاش ينتهي بسرعة وبدون مشاحنات، لأن كلا الطرفين تربيا على الانصياع لأوامر الله ورسوله، وتربيا على أن البعد عن هذا الانقياد يؤدي لذهاب صفة الإيمان عنهم، حيث قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا**﴾[الأحزاب: 36].

ومما يشدُّ النظر في هذا الحوار أنه جاء على غير ميعادٍ ولا ترتيبٍ مسبق، وجاء في وقت هو الأحلك في حياة المسلمين، حيث إن أحب الناس إليهم (ﷺ) ما زال مسجىً ولم يُدفن بعد، إلا أن هذا لم يُبعد الصديق عن الاستمساك بنصوص الإسلام والارتكاز عليها، ففيها سلوته، ومنها يستمد منهج حياته وسلوكه.

كما أن استنباط الصديق المفاهيمَ من القرآن وكأنها أمامه في كتابٍ أو سبورةٍ يقرأ منها، وربطه بين الآيات بعضها ببعض وتدبره لها تدبراً سليماً وعميقاً، يؤشر إلى عمق فهم الصديق للقرآن وبأنه الأجدر بأن يكون خليفة رسول الله؛ فلنتدبر قوله (ﷺ): إن الله سمانا ﴿**الصادقين**﴾ وسماكم ﴿**المفلحين**﴾ وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ الصَّادِقِين**﴾[التوبة: 119].

ب. حواره مع فاطمة في ميراثها من رسول الله: –

بعد وفاة رسول الله أرسلت فاطمة (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا) إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من النبي (ﷺ) فيما أفاء الله على رسوله (ﷺ) حيث طلبت صدقة النبي (ﷺ) بالمدينة وفَدَك وما بقي من خُمس خيبر، فقد روى البخاري في صحيحه عن عائشة أن ((فَاطِمَةَ وَالعَبَّاسَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ يَلْتَمِسَانِ مِيرَاثَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، وَهُمَا حِينَئِذٍ يَطْلُبَانِ أَرْضَيْهِمَا مِنْ فَدَكَ، وَسَهْمَهُمَا مِنْ خَيْبَرَ، فَقَالَ لَهُمَا أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: «لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا المَالِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لاَ أَدَعُ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَصْنَعُهُ فِيهِ إِلَّا صَنَعْتُهُ، قَالَ: فَهَجَرَتْهُ فَاطِمَةُ[2]، فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى مَاتَتْ))[3].

---

(1) انظر: الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية (ج247/5) ؛ والسيوطي، تاريخ الخلفاء (ص ص 55–56).

(2) قال ابن قتيبة: (وأما منازعة فاطمة أبا بكر في ميراث النبي فليس بمنكر، لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله، وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلما أخبرها بقوله كفت) (تأويل مختلف الحديث، ص 189).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفرائض/ باب قول النبي (ﷺ) لا نورث، ما تركناه صدقة، (ج49/8): رقم الحديث (6725، 6726).

لقد تعددت الروايات في الصحيحين وغيرهما[1] فيما احتج به أبو بكر في نقاشه مع فاطمة الزهراء (ﷺ)، وكل الذي احتج به أبو بكر هي مقولات سمعها من النبي بنفسه، وهذا يدل على شدة تمسكه بنصوص الكتاب والسنة، وإن كان في ظاهر ذلك عنتٌ له، فقد كان يرى أن صلته لقرابة رسول الله أفضل من صلته لقرابته، فقد قال (ﷺ): ((والله لقرابة رسول الله (ﷺ) أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي))[2].

2. الرجوع للصحابة عند الجهل بالحكم والاعتماد على أقوالهم:

كان الصديق يدرك أنه لم يُحط بكل ما قاله رسول الله (ﷺ) من أحاديث، ولذلك كان إذا عُرضت عليه مسألةٌ ولم يجد لها في كتاب الله جواباً، أو فيما سمعه من رسول الله أو بلغه عنه يقيناً، سأل الصحابة الأطهار لَعلّهم سمعوا شيئاً فيها عن رسول الله، ومن أمثلة ذلك ما رواه مالك وغيره عن قبيصة قال: ((جاءت الجدة إلى أبي بكر ﷺ) تسأله ميراثها فقال ما أعلم لك في كتاب الله شيئاً، ولا أعلم لك في سنة رسول الله (ﷺ) من شيء حتى أسأل الناس، فسأل فقال المغيرة بن شعبة: سمعت رسول الله (ﷺ) جعل لها السدس فقال من يشهد معك أو من يعلم معك، فقام محمد بن مسلمة فقال: مثل ذلك فأنفذه لها))[3].

ومن المهم الوقوف هنا على ثلاث مسائل:

الأولى: إنَّ أبا بكر يُعلّمنا أنه لا يمكن لأحد أن يسع العلم الشرعي كُلَّه، وأن عدم معرفة النص أو الحُكم لا يعني عدم وجوده، وهذه قاعدة قرآنية حيث يقول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43].

الثانية: أنه خط منهجاً واضحاً وهو التثبت من السماع من النبي (ﷺ)، وعدم الاكتفاء بسامعٍ واحدٍ بل كان يطلب غيره ممن سمعوا قول رسول الله (ﷺ)، مع علمه بعدول أصحابه أصحاب رسول الله (ﷺ)، لكنه يسطر منهجاً مهماً في التثبت عند نقل النصوص المنسوبة لرسول الله (ﷺ)، لأن كلامه وحي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: 3-4]، والأخذ به فرض ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ

---

(1) انظر: صحيح البخاري رقم (6726، 6730، 6729، 6726)، وصحيح مسلم رقم (1759، 1758)، والبداية والنهاية: (ج5، 252-253).

(2) سبق تخريجه (ص 52).

(3) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين/ باب حديث محمد بن مسلمة الأنصاري، (ج29/499): رقم الحديث (17980)، قال محقق المسند: الحديث صحيح بشواهده.

فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[الحشر:7]، وغير ذلك زيغٌ وضلال، وهو القائل (رضي الله عنه): ((لست تاركاً شيئاً كان رسول الله (ﷺ) يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ))[1].

الثالثة: وهي أن الصحابة في المقابل لم يُطالبوا أبا بكر بشهود على ما قد تفرد به من أحاديث سمعها من رسول الله، وكانت أحاديث مفصلية وينبني عليها حقوق كذلك، كرفضه توريث فاطمة وزوجات النبي كما مر معنا سابقاً، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على معرفتهم بعِظم مكانة أبي بكر عند الله ورسوله، ولعلمهم أنه أتقاهم وأورعهم وأزهدهم وأقضاهم وأعلمهم.

3. رفض الابتداع في الدين والاستنان بسنن الجاهلية: -

التمايز العقائدي والتشريعي والعبادي من أهم سمات الإسلام، وعليه ربّى رسول الله (ﷺ) صحابته الكرام من أول لحظة دخل الواحد منهم الإسلام، ولا أدل على ذلك صلاته (ﷺ) والمسلمين اتجاه بيت المقدس طوال المرحلة المكية وستة عشر شهراً من المرحلة المدنية، ثم تحويل القبلة إلى مكة[2] ، حيث قبلة إبراهيم (عليه السلام) رمز الحنيفية الحقة، حيث كانت الصلاة اتجاه بيت المقدس أولاً مخالفةٌ لمشركي قريش، وفي الثانية مخالفة لليهود ورجوعاً إلى أصل التوحيد ومنبعه، وهذا التمايز ظهر في كل تصرفات رسول الله (ﷺ) وصحابته الكرام.

وحين تشاجر الأنصار في المدينة بعدما نفث اليهودي سمومه بينهم وذكرهم بجاهليتهم وما كان فيها من تفاخر، غضب رسول الله (ﷺ)، وقال: ((أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟))[3]؟

بل إنّ المولى سبحانه حذرنا من عِظم هذه الآفة، كما أخبرنا القرآن في سورتي نوح وطه[4]، ولذلك تصدى أبو بكر (رضي الله عنه) لهذه الآفة بكل حزم، وأراد أن يسُدّ هذا الباب ولم يسمح لأحد الولوج منه، وذلك من خلال:

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس/ باب فرض الخمس، (ج79/4): رقم الحديث (3093).

(2) هارون، تهذيب سيرة بن هشام (ص109)، بتصرف.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج517/1)، قال ابن كثير: وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار وغيره، أن هذه الآية (آل عمران– 103) نزلت في شان الأوس والخزرج، ثم سرد القصة.

(4) انظر: الآية (23 و24) من سورة نوح، سورة طه الآيات (77–87).

أ. رفض الاستنان بسنن الفرس والروم:

فقد ذكر ابن كثير أن عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة بعثا عقبةَ بن عامر بريدًا إلى أبي بكر برأس بنان[1] بطريق الشام فلما قدم على أبي بكر أنكر ذلك فقال له عقبة: يا خليفة رسول الله فإنهم يصنعون ذلك بنا قال: أفيستنّان بفارس والروم؟ لا يُحمل إليّ رأس! إنما يكفي الكتاب والخبر[2] ، ولقد علّق العقاد على هذه الحادثة بقوله: ((فهو –أي أبو بكر– مُسلمٌ مع مَن يُحب ومع من يكره ولو في قتال، وهذا بلاغ الدين القويم في نفس الإنسان))[3].

وهنا لا بد من وقفة مهمة وضرورية، ألا وهي: أنّ ما في ديننا يكفينا وأننا لسنا بحاجة لسُنن غيرنا وأفعالهم فيما يخص العلاقات والحروب، لأن ما نملكه من أخلاق لا يمكن للآخرين الوصول إليه، كما أن محمداً (ﷺ) أرسله الله رحمة للعالمين، فمن ذا الذي يأتي بأفضل مما جاء به رسول الله!

كما يجدر بنا هنا إلى ترسيخ قاعدة أصيلة، وهي أن صلاح الراعي ووعيه وإحاطته بأحكام الدين وعقائده وإنزاله ذلك على أرض الواقع يعتبر أكبر صمام أمان للرعية والأمة، فوظيفة ((ولاة الأمر القيام بحراسة العقيدة، بحيث لا تصيبها لوث الشرك ولا تتخللها الخرافة، ثم عليهم أن ينفقوا بسخاء على إقرار العقيدة في النفوس))[4].

ب. الالتزام بالسنة ورفض بدع الجاهلية:

إن من صحة عقيدة العبد أنه لا يعبد اللهَ إلا بما شرع، فقد قال النبي (ﷺ) ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))[5]، ولذلك كان الخلفاء الراشدون وعلى رأسهم أبوبكر لا يقبلون أن يزيد أحدٌ في دين الله أو يُنقِص، وكانوا يعلمون أن مهمتهم الأساسية المحافظة على

---

(1) "بنان" هو أحد بطارقة الروم أي قادتهم؛ يقول الأستاذ رفيق العظم: ((كان الأعاجم من الفرس والروم إذا وطئوا أرضاً أفسدوها، وإذا ظفروا بعدوٍ مثلوا به واستباحوا حماه...وكانوا إذا انتصروا على عدو واستباحوا حمى ملك أو أمير يحملون رءوس البشر إلى سدة ملوكهم كبشائر للنصر، وإعلان للفخر، فرأى أمراء المسلمين في حرب الروم أن يعاملوهم بنفس عملهم)) (أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، ص 86)

(2) البيهقي: السنن الكبرى، باب ما جاء في نقل الرؤوس (ج229/9): رقم الحديث (18351)، ذكره شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند الإمام أحمد، حديث رقم (27257)، ثم قال: وهذا إسناد رجاله ثقات.

(3) العقاد، عبقرية الصديق (ص 80).

(4) الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة (ص350).

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الأقضية / باب نقض الأحكام الباطلة، (ج1343/3): رقم الحديث (1718).

هذا الدين كما ورثوه عن رسول الله (ﷺ)، فقد ((دخل أبو بكر الصديق (ﷺ) على إمرأه من أُحْمَس يقال لها زينب، فرآها لا تتكلم فقال: مالها لا تتكلم؟ قالوا: حجت مصمتة، فقال لها: تكلمي، فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت، فقالت: من أنت. قال: امرؤ من المهاجرين. فقالت: من أي المهاجرين. قال: من قريش. قالت: من أي قريش؟ قال: إنك لسؤول، وقال: أنا أبو بكر. قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية. قال: بقاؤكم عليه ما استقامت لكم أئمتكم. قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومكم رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم. قالت: بلى. قال: فهم أولئك على الناس))[(1)].

وهذا الحوار والنقاش الهادف يؤكد ما تمّ ذكرهُ سابقاً أن صلاح هذا الأمر باقٍ ما استقامت أئمة المسلمين وحافظت على وعقيدتها وشريعتها كما ورثتها عن رسول الله وصحابته الكرام.

المطلب الثاني: المحافظة على مصدري العقيدة القرآن الكريم والسنة النبوية الثابته:

مصادر العقيدة عند أهل السنة والجماعة خمسة، هي: كتاب الله، والسنة النبوية الثابتة، وإجماع السلف وعلى رأسهم الصحابة، والعقل الصريح الصحيح الواعي، والفطرة السليمة التي لم تغيرها الأحوال، والكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان اللذان يبني عليهما أهل السنة عقيدتهما، لأن المصادر الثلاثة الباقية مرجعيتها القرآن والسنة الثابتة عن رسول الله (ﷺ) [(2)].

ويتثبت إيمان العبد وإسلامه عبر التسليم للوحي بشقيه والاستسلام له مما لا يتم تثبيت الإسلام في نفس المرء إلا بهما، يقول الإمام الطحاوي: ((ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام))[(3)]، أي أنه ((لا يثبت إسلامه من لم يسلّم لنصوص الوحيين، وينقَد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومقوله وقياسه))[(4)]، حيث ((كان علم الدين في القرن الأول الهجري يتمثل في كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ))) [(5)].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب أيام الجاهلية، (ج41/5): رقم الحديث (3834).

(2) انظر: ياسين، شرح أصول العقيدة الإسلامية (ص6).

(3) الطحاوي، أصول العقيدة الإسلامية (ص73).

(4) المرجع السابق (ص73).

(5) اللويحق، الفقه والشريعة (ص2)، بتصرف.

والخلفاء الراشدون وعلى رأسهم أبو بكر (ﷺ) كانوا يرجعون إلى كتاب الله ثم سنة رسوله، ثم يتشاورون مع بقية الصحابة، ولم تكن عقولهم ولا فطرتهم إلا على ما جاء به الوحي.

ولقد صح عن أبي بكر قوله: ((لست تاركاً شيئاً كان رسول الله (ﷺ) يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ))[1]. وهذه سمة كانت بارزة في حياته (ﷺ)، فالتزم بالنصوص ولم يرضَ بغيرها فقاد سفينة المسلمين في أحلك ظروف الأمة بنهج رسول الله فنجى ونجّى الله على يديه شرعه الحكيم، ولذلك قال عمر: لولا أبو بكر لهلكنا[2] .

1. المحافظة على القرآن الكريم:

تميز صحابة رسول الله وعلى رأسهم أبو بكر الصديق بتصديقهم التام بوعود الله في كتابه الكريم، لدرجة أن ((كل وعد من وعود القرآن قد كان عنده حقيقة عيان، بل أمكن من حقيقة العيان))[3] .

وعادةً ما يأخذ الحديث عن جهود أبي بكر (ﷺ) في الحفاظ على القرآن الكريم منحىً واحداً عند معظم المسلمين، وهو منحى جمعه للقرآن الكريم، لكنْ هناك منحيان آخران لا يقلان أهميةً عنه، وهما منحى تفسيره السليم للعديد من آيات القرآن الكريم، وكذلك منحى إنزاله لهذه الآيات على الواقع وتطبيقه لها وحث الناس على ذلك، ولذلك سأتعرض لهذه النواحي الثلاث إن شاء الله تعالى.

الأولى: جمع القرآن الكريم:

لقد هدى الله صدر أبي بكر الصديق وصحابة رسول الله لجمع كتاب الله، بعدما كثر القتل في القُرّاء (أي حفظة القرآن) على إثر حرب المرتدين من بني حنيفة في اليمامة، فاعتمد أبو بكر على زيد بن ثابت ((فِي كِتَابَةِ القُرْآنِ العَظِيْمِ فِي صُحُفٍ، وَجَمْعِهِ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ، وَمِنَ الأَكْتَافِ، وَالرِّقَاعِ، وَاحْتَفَظُوا بِتِلْكَ الصُّحُفِ مُدَّةً، فَكَانَتْ عِنْدَ الصِّدِّيْقِ، ثُمَّ تَسَلَّمَهَا الفَارُوْقُ، ثُمَّ كَانَتْ بَعْدُ عِنْدَ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ حَفْصَةَ، إِلَى أَنْ نَدَبَ عُثْمَانُ زَيْدَ بنَ ثَابِتٍ، وَنَفَراً مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى كِتَابِ هَذَا المُصْحَفِ العُثْمَانِيِّ الَّذِي بِهِ الآنَ فِي الأَرْضِ أَزْيَدُ مِنْ أَلْفَيْ أَلْفِ نُسْخَةٍ، وَلَمْ يَبْقَ بِأَيْدِي الأُمَّةِ قُرْآنٌ سِوَاهُ وَللهِ الحَمْدُ))[4].

(1) سبق تخريجه (ص 60).

(2) سبق تخريجه (ص 52)

(3) العقاد، عبقرية الصديق (ص 99).

(4) الذهبي، سير أعلام النباء (ج1/ 309).

بعدما سرد العقاد عبقرية الصديق في قراراته العديدة الجريئة والهامة، فإذا به يرى أن جمع القرآن الكريم يُعتبر أقوم هذه القرارات وأهمها: ((وإذا حسبت لأبي بكر بعوث أسامة، وبعوث الردة، وبعوث فارس والروم، فلا بد أن يحسب له عمل آخر لا يدخل في باب البعوث، ولكنه أقوم للدولة الإسلامية من جميع هذه البعوث؛ لأنه دستور هذه الأمة التي لم تقم لها قائمة بغيره، وهو جمع القرآن))[1].

الثانية: صيانة تفسير القرآن الكريم عن الخطأ:

لتوضيح أهمية دقة تفسير القرآن الكريم عند أبي بكر الصديق وعظمته ومكانته، وهو أول مصادر الإسلام والعقيدة وأحكمها، فلننظر إلى جوابه للرجل الذي سأله عن معنىً لآية في كتاب الله، فرد عليه: ((أي أرض تسعني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم يرد الله؟))[2]

ومن أمثلة صيانة الصديق للفهم الخاطئ لآياتٍ من القرآن الكريم:

أ. لما مضى جيش أسامة في طريقه إلى شرق الأردن جعلت وفود القبائل تقدم المدينة، يقرون بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة حيث استند بعضهم لقوله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[التوبة: 103] قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكنٌ لنا، وقد تكلم الصحابة مع الصديق –وعلى رأسهم عمر بن الخطاب– في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة، فقال أبو بكر: ((والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَناقاً[3] (وفي رواية عقالاً[4]) كانوا يؤدونها إلى رسول الله (ﷺ) لقاتلتهم على منعها))[5].

---

(1) العقاد، عبقرية الصديق (ص 105).

(2) النووي، رياض الصالحين (ص 109).

(3) والعَنَاقُ: هي الأُنثَى من المَعْزِ قبل استكمالها الحول. (الفيومي المقريء، المصباح المنير (ص 257).

(4) والعِقَالُ: هو الحَبْل. (الفيومي المقريء، المصباح المنير (ص 251).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين/ باب قتل من أبى قبول الفرائض، (ج15/9): رقم الحديث (6925).

ب. لاحظ أبو بكر أن الناس تفهم (الآية 105) من سورة المائدة فهماً خاطئاً، وهذا الفهم لو ساد في الأمة لكانت آثاره صعبة، ولربما لم نجد أحداً يدعو إلى الله من قبل واليوم كذلك، فقد ذكر ابن كثير في تفسيره أن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: ((حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا زهير، يعني ابن معاوية، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، حدثنا قيس قال: قام أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[المائدة: 105]، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه، يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه " قال سمعت أبا بكر يقول: يا أيها الناس، إياكم والكذب، فإن الكذب مجانب للإيمان))[1].

ت. ولقد روى القرطبي أن ((الأسود بن هلال قال لأصحابه: ما تقولون في هاتين الآيتين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾[فصلت:30] و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾[الأنعام: 32] فقالوا: استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة، فقال أبو بكر:" لقد حملتموها على غير المحمل﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ فلم يلتفتوا إلى إله غيره ولم يلبسوا إيمانهم بشرك أولئك لهم الأمن وهم مهتدون))[2].

الثالثة: إنزال معاني آيات القرآن الكريم على الواقع وتطبيقها:

المتفحص في سيرة الصديق يرى أنه كان يعيش بالقرآن ولا يكاد القرآن ينفك عنه في كافة مناحي الحياة، فيستند إليه، ومن ذلك:

أ. احتجاجه بالقرآن في إقناع الأنصار أنهم تبعٌ للمهاجرين في ربط عجيب وتدبرٍ فذ لآيات الله، فربط بين الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الحشر مع الآية (119) من سورة التوبة، ومما خاطب به الأنصار في سقيفة بني ساعدة، قوله لهم: ((إن الله سمّانا (الصادقين) وسمّاكم

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج2/149-150)، ورواه الإمام أحمد في مسنده بطرق عديدة: (1و11 و19و35و36)، وانظر: ابن العربي، العواصم من القواصم (ص64) في الحاشية. والحديث رقم (1) في مسند الإمام أحمد إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج15/312)، وانظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص74).

(المفلحين)[1] وقد أمركم أن تكونوا معنا حيثما كنا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة: 119]))[2]

ب. حين أرسل أبو بكر المثنى بن حارثة للعراق للجهاد، أرسل المثنى أخاه مسعود بن حارثة يطلب المدد من أبي بكر، فكتب معه أبو بكر إلى المثنى: ((إني قد بعثت إليك خالد بن الوليد إلى أرض العراق فاستقبله بمن معك ثم ساعده ووازره وكانفه ولا تعصين له أمراً ولا تخالفن له رأياً، فإنه من الذين وصف الله تبارك وتعالى في كتابه ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾[الفتح: 29]، فما أقام معك فهو الأمير، فإن شخص عنك فأنت على ما كنت عليه))[3].

ث. أخرج ابن سعد وغيره عن عائشة قالت: لما ثقل أبو بكر تمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يُغني الثراء عن الفتى *** إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه، وقال ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[ق: 19][4] .

ج. تفسيره للمقصود (وزيادة) في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾[يونس: 26]، أنها النظر إلى وجه الله تعالى[5].

---

(1) في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ (ٱلصَّٰدِقُونَ) * وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 8–9].

(2) ابن العربي، العواصم من القواسم (ص 62).

(3) حميد الله، الوثائق السياسية (ص371).

(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص67).

(5) الطبري، جامع البيان، (ج63/15): رقم الحديث (17610 و17611)، قال أحمد شاكر: الأثر الأول مرسل من طريق عامر بن سعد البجلي وهو تابعي ثقة، حيث لم يسمع من أبي بكر (ﷺ)، والأثر الثاني في إسناده نظر.

الرابعة: حفظ هيبة تفسيره في النفوس والقلوب:

عن ابن أبي مليكة قال: ((سُئل أبو بكر الصديق (ﷺ) عن تفسير حرف من القرآن فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني! وأين أذهب! وكيف أصنع! إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى))(1).

2. المحافظة على المصدر الثاني من مصادر العقيدة الإسلامية وهي السنة:

السُنّة الثابتة عن رسولنا (ﷺ) هي المصدر الثاني للعقيدة بعد القرآن الكريم، فالقرآن الكريم كان مجملاً في معظم المواضيع التي طرحها وجاءت السنة لتفصلها، وهذا الأمر ينطبق على الأمور العقائدية أيضاً.

فالقرآن الكريم جاء ليتحدث عن أركان الإيمان مجملاً في معظمه، وجاءت أحاديث النبي مفصلةً له، ولعل أكثر ما فصلت السنة من أمور العقيدة هو ما يخص الإيمان باليوم الآخر، ابتداءً من الموت، مروراً بعلامات الساعة وأشراطها، وانتهاءً بالخلود بالجنة أو النار.

فحفظُ السنةِ والإيمان بالثابت منها وتطبيقها هو معيار شهادة أن محمداً رسول الله، وهو الشطر الثاني من أول ركن من أركان الدين والذي هو مشتمل لكل أركان الإيمان.

ولقد بلغت شدة تمسك الصدّيق (ﷺ) بالسنة، لدرجة أن ((كلَّ كلمة سمعها من النبي بخبر من أخبار الغد المجهول، فهي عنده شاهد من شواهد الحاضر الملموس باليدين))(2)، ومنهج الصديق هو منهج أئمة الأمة العدول من بعده، فها هو الإمام الشافعي (ت204هـ) يقول: ((جَمِيعُ مَا تَقُولُهُ الْأُمَّةُ شَرْحٌ لِلسُّنَّةِ وَجَمِيعُ السُّنَّةِ شَرْحٌ لِلْقُرْآنِ، وَقَالَ أَيْضًا: جَمِيعُ مَا حَكَمَ بِهِ النَّبِيُّ (ﷺ) فهو مما فهمه من القرآن))(3).

بل ذهب الإمام أحمد (ت 241 هـ) في فهمه لقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:63] إلى القول بأن: ((الفتنة الشرك؛ لعله إذا ردَّ بعض قول النبي (ﷺ) أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلِك))(4).

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج34/1).

(2) العقاد، عبقرية الصديق (ص 99).

(3) السيوطي، الإتقان (ج28/4).

(4) ابن تيمية، الصارم المسلول (ص59).

ولقد حفِظ أبو بكر (ﷺ) سنة النبي (ﷺ) بالطرق التالية:

أ. بحفظ الكثير من الأحاديث النبوية عن رسول الله (ﷺ) مباشرة:

روت كتب السنة لأبي بكر (ﷺ) عن الرسول (142) حديثاً[1]، اتفق البخاري ومسلم على ستة أحاديث، وانفرد البخاري بأحد عشر حديثا، ومسلم بحديثٍ واحدٍ فقط[2]، وأرجع الباحثون قلة روايته للحديث ولتفسير القرآن – بالرغم من أنه أعلم الصحابة وكان أكثرهم قرباً وملازمةً لرسول الله– إلى تقدم وفاته وانشغاله بمهام الخلافة والفتوحات[3] ، ومن أسباب ذلك أيضاً ملاصقة عهده بعهد النبوة حيث لم يكن هناك تغيرٌ يُذكر في مجتمع المدينة عما كان عليه الأمر في عهد رسول الله، وكان المسلمون على العهد والوفاء لما كان عليه رسول الله، ولم يدخل في الإسلام الكثير من الأمم السابقة بعد، بخلاف زمن الراشدين الثلاثة من بعده[4].

ب. التأكيد على مرجعية سنة النبي (ﷺ) بجانب القرآن الكريم في أمور الدين كلها:-

إن هيبة ميراث رسول الله (ﷺ) في نفس أبي بكرٍ (ﷺ) لا يفوتها إلا هيبة القرآن الكريم، فكان (ﷺ) لا يعدلُ عن القرآن والسنة شيئاً، قال البخاري: ((كَانَتِ الأَئِمَّةُ بَعْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) يَسْتَشِيرُونَ الأُمَنَاءَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي الأُمُورِ المُبَاحَةِ لِيَأْخُذُوا بِأَسْهَلِهَا، فَإِذَا وَضَحَ الكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ لَمْ يَتَعَدَّوْهُ إِلَى غَيْرِهِ، اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ (ﷺ)))[5].

وأخرج أبو القاسم البغوي عن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي به بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب وعلم عن رسول الله (ﷺ) في ذلك سنة قضى بها، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين هل سمعوا عن رسول الله في المسألة شيئاً، فإن أتوه عن رسول الله بشيء، كان يقول: الحمد لله الذي جعل فينا من حفظٍ عن نبينا[6] .

---

(1) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 69).

(2) انظر: الشيخ، أبو بكر الصديق (ﷺ) خليفة رسول الله (ص 317).

(3) انظر: نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر (ج316/2).

(4) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص36).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة / باب قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم)، (ج113/9)، مقدمة الباب.

(6) انظر: غانم، الإسلام وفقه الرشد (ص9)، وانظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص36).

ولقد اتضحت مرجعية السنة بجانب القرآن عملياً في حياة أبي بكر، وذلك حين استند إلى أقوال النبي في كل الأمور – كما تبين–؛ ومن أمثلة ذلك استناده على السُّنة في تثبيت **أن** الخلافة في قريش[1] ، وفي الحكم بأن تُورَّث الجدة[2] ، وغير ذلك من الأحكام الأخرى.

ت. تطبيق السنة النبوية مهما كانت النتائج:–

إن محافظة الصديق على السُّنة أخذت مساراً آخر، وهو تنفيذها والعمل بها دون تردد ومهما كان ثمن هذا العمل وذلك التطبيق، حتى وإن كان ظاهره شر ومهلكة؛ لأن الصديق كان يوقن أن ما أخبرهم به رسول الله (ﷺ) وحي، وأن فيه الخير لا في غيره، وأن السنة كالقرآن، ومن أمثلة ذلك: إصراره على إنفاذ جيش أسامة[3]، وإصراره على أن الأنبياء لم يورثوا إلا العلم[4]!

ث. المحافظة على المدلولات الصحيحة للسنة النبوية:–

كما حفظ أبو بكر سنة رسول الله بتصويبه لمدلولاتها الصحيحة، وذلك بإرجاعها لفهم القرآن الكريم وبتفسيرها للقرآن أيضاً، وقد برز ذلك في تصويبه لعمر بن الخطاب في حوارهما بخصوص محاربة مانعي الزكاة[5].

وكان أيضاً يُشرح صدره وتبدو السعادة على وجهه حين يسمع حديثاً بمدلولٍ صحيح عن رسول الله، فحين عزم (رضي الله عنه) على البدء بفتوحات الشام ومقارعة الروم، دعا وجوه المهاجرين والأنصار، وسمع رأيهم، وتحدث القوم إلا علياً بن أبي طالب (رضي الله عنه) لم يتكلم، فقال لـه أبوبكر: ((ما ترى يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أنك مبارك الأمر ميمون النقيبة – أي الرأي والمشورة –، وإنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نُصرت إن شاء الله، فقال أبو بكر: بشّرك الله بخير،

---

(1) انظر: هذا البحث (ص47).

(2) انظر: هذا البحث (ص 59).

(3) انظر: هذا البحث (ص 53).

(4) انظر: (ص49)، يقول العقاد: ((إذ ليس من العقل أن يقدح قادح في ولاء الصديق للنبي بما حرم فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من ميراث أبيها. فلئن حرمها لقد حرم عائشة مثلها؛ لأن الأنبياء في شرعة محمد لا يورثون، وما أراد أبو بكر أن يضن بميراث محمد على وارثيه ومنهم بنته وأحب الناس إليه، ولكنه أراد أن يضن بدينه ويضن بوصاياه، وهي أولى أن تصان من المال)) (عبقرية الصديق، ص114).

(5) انظر: هذا البحث (ص16 وص49).

فمن أين علمت هذا؟ قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون"[1] ، فقال أبوبكر: سبحان الله ما أحسن هذا الحديث!))[2].

المطلب الثالث: الجهاد في سبيل الله تعالى:

شاء الله تعالى أن يُصبح أبوبكر خليفة للمسلمين في ظروف لا علاج لبعض مشاكلها العقائدية إلا السيف بعد استنفاد سبل الحوار والنصيحة، وهذا جعل الجهاد من أهم السمات البارزة في خلافته (رضي الله عنه)، إضافةً لهذا الحدث الموضوعي فإن مكانة الجهاد عند الله وفضله كان محركاً رئيساً عنده (رضي الله عنه)، فقد قال في خطبة التولية ((لا يدع قومٌ الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل))[3]، ثم ها هو يُجيب أسامة بن زيد وهو يودعه على رأس الجيش: ((...، وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له وترفع عنه سبعمائة خطيئة))[4].

وأهمية الجهاد لتثبيت العقيدة الإسلامية في تلك المرحلة تظهر من كلام أم المؤمنين عائشة، حيث قالت: ((لما توفي رسول الله (ﷺ) ارتد العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم (ﷺ) حتى جمعهم الله على أبي بكر))[5].

وبالنظر لحقبة خلافته يمكن تقسيم الفعل الجهادي فيها إلى قسمين، الأول: وهو الجهاد من أجل تثبيت العقيدة وأركان الدين ومفاهيمه، والقسم الثاني: الجهاد من أجل نشر الدين وحماية العقيدة بتأمين الدولة الإسلامية من أعدائها، حيث إن حراسة العقيدة وتنفيذ الشريعة والجهاد في سبيل الله من أهم المهام التي يجب على الدولة الإسلامية القيام بها[6] ، وبذلك فإن

---

(1) هذه الجزئية جاء في صحيح البخاري ما يعضدها في المعنى، فعن المغيرة بن شعبة عن النبي (ﷺ) قال: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمرُ الله وهم ظاهرون)). كتاب الاعتصام/ الباب العاشر، (ج101/9): رقم الحديث: (7311).

(2) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج63/2-65).

(3) ابن هشام، السيرة النبوية (ج215/4).

(4) ابن كثير، البداية والنهاية (ج4/ 695)، وانظر: محمد، الروض الأنيق في سيرة الصديق (ص103).

(5) ابن هشام، السيرة النبوية (ج218/4).

(6) انظر: الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة (ص ص350-351)، وانظر: أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام (ص ص197-201).

أبا بكر قد ((وطدَّ العقيدة وسيّرَ البعوث، فشرع السنة الصالحة في توطيد العقيدة بين العرب بما صنعه في حرب الردة، وشرع السّنة الصالحة في تأمين الدولة من أعدائها بتسيير البعوث وفتح الفتوح. فكان له السبق على خلفاء الإسلام في هذين العملين الجليلين))[1].

وما من عاقلٍ إلا ويدرك دون ريب أن ((يقين الصديق بنصرة الإسلام على الدين كله في يوم من الأيام قد كان أقوى يقين سكن في قلب إنسان أو سكن إليه قلب إنسان))[2].

إن عظم مكانة الجهاد وأهميته في نفس أبي بكر كانت بارزة حتى وهو على فراش الموت، حيث استقبل المثنى بن حارثة (ﷺ) قائد جيوش المسلمين آنذاك في العراق، وكان قد جاءه يطلب المدد لحرب الفرس، فأسرع يطلب عمر بن الخطاب الخليفة الجديد، يأمره وينصحه ويعلمه، قال: اسمع يا عمر ما أقول لك، ثم اعمل به، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى، ولا تشغلنكم مصيبة، وإن عظمت عن أمر دينكم، ووصية ربكم، وإن فتح الله على أمراء الشام، فاردد أصحاب خالد إلى العراق (كان خالد بن الوليد (ﷺ) قد انتقل بجيشه من العراق إلى الشام)، فإنهم أهله وولاة أمره وحده، وهم أهل الضراوة بهم والجراءة عليهم[3].

أولاً: الجهاد من أجل تثبيت العقيدة:-

وهذه الحقبة من العمل الجهادي امتدت لقرابة العام تقريباً، وأخذت ثلاثة مسارات رئيسة، هي: الإصرار على إكمال إنفاذ بعث أسامة للشام تنفيذاً لأمر رسول الله قبل وفاته، ثم التصدي لحركات الردة عن الإسلام والتي بدأت جذورها في نهاية حياة رسول الله حيث ادعى البعض النبوة، والثالثة التصدي لمانعي الزكاة والمفرقين بينها وبين الصلاة.

وهذه المسارات الثلاثة والتي سار عليها الصِدّيق في آنٍ واحد، جعلت الألباب والعقول تحتار في عبقرية هذا الرجل، ولذلك ما مِن شك في أنّ ((أبا بكر (ﷺ) جاء بنعمة من الله في أخطر محنةٍ واجهتها الأمة بعد انتقال رسول (ﷺ)[4] فكان أفضل الصحابة جمعاً للقراءتين

(1) العقاد، عبقرية الصديق (ص81).
(2) المرجع السابق (ص 99).
(3) انظر ملخص مقال: أبو بكر الصديق ونعمة الثبات (موقع إلكتروني).
(4) هكذا ورد النص في الكتاب، والظاهر أنه يقصد انتقال رسول (ﷺ) إلى ربه، أي وفاته (ﷺ).

(قراءة الوحي وقراءة الواقع) فعرف أن الإسلام قولٌ وعمل، وأن العمل تصديق للقول، وأن اجتماع القول والعمل برهانٌ على صحة المعتقد))[1].

المسار الأول: إنفاذ جيش أسامة:-

معلومٌ أن رسول الله (ﷺ) توفي وجيش أسامة في بداية طريقه للشام حيث عسكر في الجرف[2]، وانتظر الجيش هناك حين علم بمرض رسول الله (ﷺ)، فأصر الخليفة الأول أن يُنفذ هذا الجيش امتثالاً لأمر رسول الله، لأنه لم يكن ممن يتباطؤون في إنفاذ أوامره (ﷺ) مهما كلفه من ثمن، حتى أن القائد أسامة بن زيد بن حارثة[3] أرسل له عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ليثنيه عن إنفاذ الجيش خوفاً على المدينة وعلى المسلمين فيها، ثم ذهب هو بنفسه ليقابل أبا بكر، وكان معظم المسلمين وكبرائهم مع رأي أسامة والفاروق، لكن أبا بكر أصر على موقفه وقال لهم: ((والذي نفس أبي بكر بيده! لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر رسول الله (ﷺ)، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته))[4].

المسار الثاني: محاربة المرتدين مدعي النبوة:-

بدأت جذور حركات الردة عن الإسلام بادعاء بعضهم النبوة في العام التاسع للهجرة وهو عام الوفود، وأعلنت عن نفسها في أواخر العام الهجري العاشر، حيث ادعى الأسود العنسي[5]

---

(1) غانم، الإسلام وفقه عصر الرشد (ص 147).

(2) الجرف موضع يقع شمال غرب المدينة المنورة، ويبعد عن المسجد النبوي (7) كيلو متر، يمر به وادي العقيق، ويعتبر الآن أحد أحياء المدينة المنورة. (المصدر: الموقع الإلكتروني: ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

(3) أبوه الصحابي الجليل زيد بن حارثة أحد قادة مؤتة الذين استُشهدوا فيها.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج4/45).

(5) الأسود العنسي يلقب بذي الخمار لأنه كان معتماً متخمرًا دائماً واسمه: عيهلة بن كعب بن عوف العنسي، وعنس بطن من مذحج وكان كاهنًا مشعوذا يُري قومه الأعاجيب ويجلبهم بحلاوة منطقة، ادعى النبوة حين مرض النبي واتبعه مذحج عامة، وكانت ردته أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله، وقد سمى نفسه رحمن اليمن أي أنه يتكلم باسم الرحمن، ويقال: كان له شيطان يخبره بكل شيء، جاء خبر مقتله للمدينة صباح اليوم الذي توفي فيه رسول الله، وكان بين خروج الأسود ومقتله نحو أربعة أشهر. (انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج4/207).

النبوة باليمن، وادعى مسيلمة الكذاب[1] النبوة باليمامة، وطليحة الأسدي[2] في بني أسد، وكذلك سجاح بنت الحارث[3].

ولقد أخبر اللهُ رسولَه بمقتل الأسود العنسي على يد رجلٍ مبارك من أهل مباركين يُدعى فيروز[4]، ووصل أبوبكر تفاصيل قتله بعد أن خرج جيش أسامة[5] .

ويمكن تلخيص هذه الحقبة بالقول[6]: إنّ أبا بكر قام بإرسال أحد عشر لواءً لكافة أنحاء الجزيرة واختار كبار القادة كخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما، وكانت الحروب في كافة أرجاء الجزيرة، بل ربما انتقل الجيش من مكان لمكان للمعاونة حتى أتم الله الأمر، ورجع من رجع من المرتدين، وقُتل من قتل من المتنبئين، وهرب من هرب، فقُتل الأسود العنسي

---

(1) هو: مُسَيْلِمَةُ بْنُ ثُمَامَةَ بْنِ كَبِيرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ هِفّانَ بْنِ ذُهْلِ بْنِ الدّوَلِ بْنِ حَنِيفَةَ يُكَنّى أَبَا ثُمَامَةَ وَقِيلَ أَبَا هَارُونَ وَكَانَ يُسَمّى بِالرّحْمَنِ فِيمَا رُوِيَ عَنْ الزّهْرِيّ قَبْلَ مَوْلِدِ عَبْدِ اللهِ وَالِدِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) وَقُتِلَ وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَكَانَتْ قُرَيْشٌ حِينَ سَمِعَتْ بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ قَالَ قَائِلُهُمْ دُقّ فُوك، إنّمَا تَذْكُرُ مُسَيْلِمَةَ رَحْمَانَ الْيَمَامَة. (السهيلي، الروض الأنف (ج468/7)).

(2) هو طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد بن خزيمة، كان كاهناً فأسلم ثم ارتد وادعى النبوة في حياة رسول الله، وظهر في بني أسد واتبعه أفاريق من العرب، أرسل له أبو بكر خالد بن الوليد فانهزم وجنده، ففر وزوجته، فلحق بالشام ثم نزل على كلب وأسلم حين بلغه أن أسدًا وغطفان قد أسلموا، وكان قد خرج معتمرًا، ومر بجنبات المدينة، فقيل لأبي بكر: هذا طليحة فقال: ماذا أصنع به قد أسلم، ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر (ﷺ)). (انظر: ابن الأثير، البداية والنهاية (ج318/6). وانظر: الطبري، تاريخ الطبري (ج261/2)).

(3) وهي سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التغلبية من الجزيرة وهي من نصارى العرب وقد ادعت النبوة ومعها جنود من قومها ومن التف بهم، كانت مشهورة بالكذب، وكانت العرب تقول: (فلان أكذب من سجاح)، تزوجها مسيلمة الكذاب وبعد هزيمته وقتله من قِبل المسلمين رجعت لقومها بني تغلب ثم أسلمت وحسُن إسلامها، وتُوفيت في زمن معاوية بن أبي سفيان (ﷺ). انظر: الطبري، تاريخ الطبري (ج275/3)، وابن كثير، البداية والنهاية (ج461/9-471).

(4) عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: ((أَتَى الْخَبَرُ النَّبِيَّ (ﷺ) مِنَ السَّمَاءِ اللَّيْلَةَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْعَنْسِيُّ لِيُبَشِّرَنَا، فَقَالَ: " قُتِلَ الْعَنْسِيُّ الْبَارِحَةَ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مُبَارَكِينَ ". قِيلَ: وَمَنْ؟ قَالَ: " فَيْرُوزُ، فَازَ فَيْرُوزُ)). (ابن كثير، البداية والنهاية (ج453/9)).

(5) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج55/4)، والبلاذري، فتوح البلدان (ج127/1).

(6) انظر: موقع الدرر السنية، الموسوعة التاريخية، (موقع إلكتروني). انظر: الصلابي، الانشراح ورفع الضيق (ص ص196-228)، حيث قام د. الصلابي باستعراض تفاصيل هذه الجيوش والبعوث من كتب السيرة والتاريخ وعلق عليها واستنبط منها فوائد عديدة.

ومسيلمة الكذاب وهرب طليحة الأسدي، وأسلمت سجاح، واستقر أمر الجزيرة لأبي بكر الصديق الذي لم يتردد في قتالهم مع مقولته المشهورة: ((والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه))[1].

المسار الثالث: محاربة المرتدين مانعي الزكاة:-

بعد وفاة النبي (ﷺ) ظهرت صورة أخرى من صور الردة عند الأعراب، هذه الصورة انطلقت من الفهم الخاطئ لتأويل بعض نصوص القرآن وفهما، حيث أنهم ظنوا أن الزكاة خاصة بالنبي واحتجوا بقوله تعالى ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[التوبة: 103]، فرفضوا دفعها للخليفة أبي بكر، فصمم الخليفة على أن يدفعوها، واعتبر التفريق بين الصلاة والزكاة ردةً عن الدين؛ لأن منعهم لأدائها كان جحوداً لها لمن تولى أمر رسول الله بعد وفاته، وحتى أن عمر بن الخطاب اعترض على ما ذهب إليه أبو بكر محتجاً بقول رسول الله ((أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله))[2] فرد عليه الصّديق: ((والله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال))[3].

ومن حكمته أنه لم يقاتلهم حتى دعاهم إلى الرجوع ودفع الزكاة، فلما رفضوا قاتلهم، وإذا بالصحابة يرون الصواب في رأيه، فوأدَ الفتنة في مهدها وحفظ الله به الدين وأركانه.

وخلاصة الأمر أنه ((لما اختلط الفهم لدى بعض حديثي الإسلام بين أحكام النبوة ومهام الخلافة، ففرقوا بين فرائض الروح وفرائض المال كان ذلك إيذاناً بتدمير نواة الأمة، ومصادرة دورها في الحياة، فجاء الموقف الصّديقي من فتنة الردة[4] ليعيد تأصيل المنهج العقدي))[5].

---

(1) انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين/ باب قتل من أبى قبول الفرائض، (ج15/9): رقم الحديث (6925).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة/ باب وجوب الزكاة، (ج105/2): رقم الحديث (1399).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة/ باب وجوب الزكاة، (ج106/2): رقم الحديث (1400).

(4) اعتبر الدكتور غانم أن مانعي الزكاة هم جزءٌ من المرتدين، بخلاف تقسيمات هذا البحث.

(5) غانم، الإسلام وفقه عصر الرشد (ص 77).

ثانياً: الجهاد من أجل نشر الدين ومقارعة المشركين:

((لآمُرنَّ بالمعروف ولأنهينّ عن المنكر ولأجهَدنَّ فيمن ترك أمر الله، ولأُجهزن الجنود إلى العادلين بالله – يعني المشركين به – في مشارق الله ومغاربها حتى يقولوا: الله أحدٌ أحد لا شريك له، أو يؤدوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، هذا أمر الله وسنة رسوله (ﷺ)، فإذا توفاني الله عزو جل لا يجدني الله عاجزاً ولا وانياً ولا في ثواب المجاهدين زاهداً))[1]، هذا هو جواب الصديق على رؤيا رآها شرحبيل بن حسنة في المنام تُبشره بفتوح الشام بعدما فسّرها الصديق له[2]، وكان الصديق من الذين يعبّرون الرؤى في عهد رسول وبعد وفاته (ﷺ)، ولقد عنون السيوطي فصلاً بعنوان: ((فيما ورد عنه –أي الصديق– من تعبير الرؤيا))[3].

وإن تعليق الصديق على رؤيا شرحبيل بن حسنة متوافق مع قول الله ورسوله، فقد قال الله تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ [التوبة:29]، وقال رسول الله: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى))[4]، ولذلك فإن ((فقه القرآن لينبوع يستمد منه الصديق في سلامة طبعه وصفاء ذهنه مددًا يرجع بأمداد))[5].

لقد ثبّت الصديق والخلفاء الراشدون من بعده قاعدة مهمة، ألا وهي مقارعة كل من وقف في وجه نشر الدعوة إلى الله للعالمين جميعاً، يقول ابن تيمية: ((فمن عدل عن الكتاب قُوِّم بالحديد، ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف))[6] ، ولذلك كان ((أهم أمر الدين: الصلاة

---

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج2/61–62).

(2) للاطلاع على الرؤيا كاملة، انظر: الحميدي، التاريخ الإسلامي (ج9/177–178)، وابن عساكر، تاريخ دمشق (ج2/ 61–62).

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص83).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان/ باب فإن تابوا ،اقاموا الصلاة، (ج1/14): حديث رقم (25).

(5) العقاد، عبقرية الصديق (ص 121 / 122).

(6) ابن تيمية، السياسة الشرعية (ص32).

والجهاد، وكانت أكثر الأحاديث عن النبي في الصلاة والجهاد، وكان إذا عاد مريضاً يقول: "اللهُمّ اشف عبدك، يشهد لك الصلاة وينكأ لك عدواً"[(1)]))[(2)].

ولقد تبيّن لنا أنه ((ظهر من أبي بكر من شجاعة القلب، في قتال أهل الردة وغيرهم ما برّز به على عمر وسائر الصحابة))[(3)]، فما أن انتهى من حروب الردة وتأديب مانعي الزكاة ثم رجوع جيش أسامة من الشام، حتى بدأ بإرسال الجيوش للعراق والشام ليفتحهما وينشر دين الله ودعوته في ربوعهما.

ولقد سيّر أبوبكرً جيشين للعراق بعد استقرار الأمور في الجزيرة العربية، الجيش الأول بقيادة خالد بن الوليد، وأمره أن يغزوه من جنوبه الغربي من منطقة "الأُبُلّة[(4)]"، والجيش الثاني كان بقيادة عياض بن غنيم، وأمره بغزو العراق من شماله الشرقي بادئاً "بالمُصيَّخ[(5)]"[(6)].

ثم عقد ألوية أربعة جيوش للشام، جيش يزيد بن أبي سفيان لفتح دمشق، ثم سير شرحبيل بن حسنة بجيش ثانٍ بعد ثلاثة أيام إلى تبوك والبلقاء ثم بُصرى[(7)]، وسَيّرَ أبا عبيدة على رأس جيش إلى حمص، ثم سيّر عمرو بن العاص إلى فلسطين[(8)] .

---

(1) أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الجنائز/ باب الدعاء للمريض عند العيادة، (ج187/3): رقم الحديث (3107)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (479)، ونص الحديث كما ذكره أبوداوود: ((قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): " إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى جَنَازَةٍ "، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَقَالَ ابْنُ السَّرْحِ: إِلَى صَلَاةٍ)).

(2) ابن تيمية، السياسة الشرعية (ص ص28–29).

(3) المرجع السابق (ص26).

(4) الأُبلّة: بلدة على شاطيء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة مُصرت في أيام عمر بن الخطاب (ﷺ). (الحموي، معجم البلدان (ج1، 77)).

(5) المُصيَّخ: ماء في الشام يقع بين حوران والقلت. (الحموي، معجم البلدان (ج5، 144)).

(6) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج511/9)، والطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج346/3).

(7) بُصرى: منطقة بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران. (الحموي، معجم البلدان (ج1، 441)).

(8) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج387/2، 394)، وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج543/9).

المطلب الرابع: التصدي للمسائل المستحدثة في العقيدة:

لم تظهر في عهد خلافة الصديق بدعاً كثيرة في الدين بخلاف مَن جاء بعده، ولعل هذا الأمر يرجع إلى عدة أمور، منها : سرعة تصديه وبحزم لكل فهمٍ خاطئٍ للدين ولنصوص القرآن والسنة، ثم إلى ملاصقة عهده بعهد رسول الله حيث أهل المدينة عرين الإسلام، قد تربوا على يد رسول الله في معظمهم، وكذلك إلى قصر فترة عهده حيث كانت سنتين وثلاثة أشهر فقط، وبحكم هذه الفترة القصيرة وتصديه في صدرها للمرتدين ومانعي الزكاة، ثم في العام الأخير من عهده بدأت الفتوحات، مما جعل نسبة الداخلين في دين الله من الأقوام الآخرين وخاصة الأعاجم ليست بكبيرة، حيث كانوا من أهم أسباب ظهور الفتن كما سنرى في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى[1]، والبدع التي تصدى لها (ﷺ):

أ. بدعة التفريق بين أركان الإسلام:

تعتبر بدعة التفريق بين الصلاة والزكاة أول بدعة ظهرت بعد وفاة رسول الله، حيث انطلقت من الادعاء أن الزكاة لا تؤدى إلا للرسول ولا تُعطى لخلفائه من بعده، فتصدى الصديق (ﷺ) لهذه البدعة وقال قولته المشهورة: [والله لو منعوني عقالاً يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه] فقاتل (ﷺ) القائلين بهذه البدعة المنكرة، ووأدها في مهدها قبل أن يستفحل ضررها وشرها، ولو ترك أبو بكر ذلك فلم يقاتلهم لانْثَلَم الإسلام، ولما التأم بعد ذلك أبداً، ولأصبحت هذه البدعة سنة مُتّبعةً يأخذ بها الناس بعدهم فيؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويفعلون ما يحلو لهم من الدين ويتركون ما لا يشتهون، لو ترك أبو بكر (ﷺ) قتال مانعي الزكاة وأقرهم على ذلك، لأصبح هذا ديناً إلى يومنا هذا، فبالرغم من مخالفة الأمة بأسرها لسرعة تصديه لها وحزمه في ذلك، إلا أنه أصر على ذلك، فقد نور الله تعالى بصيرته ليدل الأمة على الحق والصواب (ﷺ) [2].

(1) انظر: الفصل الثاني والثالث والرابع من هذا البحث.

(2) انظر: عبد الخالق، موقف أهل السنة والجماعة من البدع والمبتدعة. (موقع إلكتروني). وانظر: الزهيري، محاضرة شرح أصول اعتقاد أهل السنة – بداية ظهور البدع (موقع إلكتروني).

ب. بدعة الاحتجاج بالقدر على المعاصي:

فقد أخرج اللالكائي بسنده أنّ ابن عمر قال: ((جاء رجل إلى أبي بكر فقال أرأيت الزنا بقدر، قال: فإن الله قدره عليَّ ثم يعذبني قال نعم يا ابن اللخناء[1] أما والله لو كان عندي إنسان أمرت أن يجأ أنفك))[2].

---

(1) أي يا بن الفحش، انظر: اللالكائي، شرح أصول الاعتقاد، (ج734/4): رقم الحديث (1205).

(2) اللالكائي، شرح أصول الاعتقاد، (ج734/4): رقم الحديث (1205).

الفصل الثاني

جهود عمر بن الخطاب (ﷺ) في تقرير العقيدة الصحيحة

المبحث الأول

المحافظة على العقيدة التي رسخها رسول الله (ﷺ) وأبو بكر (رضي الله عنه)

لقد ورث الفاروق (رضي الله عنه) تركةً ثقليه بعد رسول الله (ﷺ) وأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وأُسُّ هذا الميراث وقلبه هو المعنى الصحيح والقويم للعقيدة الإسلامية، ولا سيما أن أبا بكر قد سلّم الفاروق أمانة إمامة المسلمين بعدما ثبَّت بين الناس ركنين مهمين، وهما: سياج الأمة وحاميها وهو عقيدتها الصحيحة، ثم درعها المدافع عن الدين والإسلام وهو الجهاد في سبيل الله.

فاجتهد الفاروق ولم يألُ (رضي الله عنه) جهداً في المحافظة على العقيدة الإسلامية كما ورثها من صاحِبَيه، وسأتعرض للطرق التي عمل الفاروق من خلالها ليُبقي عقيدة المسلمين وتشريعهم دون نقص ولا زيغٍ ولا ضلال.

المطلب الأول: حفظه للعقيدة من خلال خطبه ورسائله ووصاياه:

تُعتبر الخُطب التي كان الفاروق (رضي الله عنه) يُلقيها على الناس في الجُمع والأعياد والمناسبات العديدة، وكذلك الرسائل التي كان يبعثها للولاة وقادة الجند وغيرهم، بالإضافة لوصاياه للمسلمين، تُعتبر من الوسائل البارزة والرئيسة التي عمل الفاروق من خلالها لحفظ العقيدة الإسلامية كما ورثها من رسول الله (ﷺ) وصاحبه أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

ومن خلال هذه الخطب والرسائل والوصايا تبيّن أنه ثبَّت قضايا عقائدية مفصلية في نفوس المؤمنين، وهذه القضايا هي:

أ. خيرية البشر لا يعلمها إلا الله تعالى:-

لقد ثبّت الفاروق هذا المبدأ كما ثبته الصّديق[1] (رضي الله عنه) من قبل، فها هو يقول على المنبر: ((إنّ أناساً كانوا يؤُخذون بالوحي في عهد رسول الله (ﷺ)، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال إن سريرته حسنة))[2]، ويبقى على تلك القاعدة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، فها هو يردُّ على ابن عباس (رضي الله عنه)

---

(1) انظر: هذا البحث (ص 41).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات/ باب الشهداء العدول، (ج3/169): رقم الحديث (2641).

بعدما أثنى عليه وهو في فراش الموت بعد طعنه، فيقول لهم: ((لو أن لي طِلاعَ الأرض ذهباً لافتديت به عذاب الله عز وجل قبل أن أراه))(1).

وهنا يثبت الفاروق (ﷺ) قاعدةً عقائدية حصينة وهي: أن حقيقة الأعمال ومدى قبولها من الله أمرٌ لا يعلمه غير الله تعالى، وليس لأحدٍ أن يجزم بقَبول الله لعمل فلان أو علان، فحقيقة الأمور وسر الإخلاص لا يحكم عليه إلا الله، ونحن كمسلمين نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

ويؤكد عمر (ﷺ) هذه القاعدة على طول محطات إمامته للمسلمين وصولاً لوفاته، فها هو يوصي ابنه قُبيل وفاته قائلاً: ((اقتصدوا في كفني، فإنه إن كان لي عند الله خيرٌ أبدلني ما هو خيرٌ منه، وإن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سلبي، واقتصدوا في حفرتي، فإن كان لي عند الله خيرٌ أوسع لي فيها مدّ بصري، وإن كنت على غير ذلك ضيقها عليَّ حتى تختلف أضلاعي، ولا تُخرج معي امرأة، ولا تزكوني بما ليس فيَّ، فإن الله هو أعلم بي))(2).

ب. شرف المؤمن ومكانته عمله قبل نسبه:-

وجاءه بنو عديّ – وهم قبيلته وعشيرته – وقد قدّم في كتاب الأعطيات بني هاشم ثم بني تيم ثم بني عديّ، فقالوا له: ((أَنْتَ خَلِيفَةُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أوْ خَلِيفَةُ أَبِي بَكْرٍ وَأَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ). قَالُوا: وَذَاكَ فَلَوْ جَعَلْتَ نَفْسَكَ حَيْثُ جَعَلَكَ هَؤُلاءِ الْقَوْمُ. قَالَ: بَخٍ بَخٍ بَنِي عَدِيٍّ. أَرَدْتُمُ الأَكْلَ عَلَى ظَهْرِي لأَنْ أُذْهِبَ حَسَنَاتِي لَكُمْ. لا وَاللَّهِ حَتَّى تَأْتِيَكُمُ الدَّعْوَةُ وَإِنْ أُطْبِقَ عَلَيْكُمُ الدَّفْتَرُ. يَعْنِي وَلَوْ أَنْ تُكْتَبُوا آخِرَ النَّاسِ، إِنَّ لِي صَاحِبَيْنِ سَلَكَا طَرِيقًا فَإِنْ خَالَفْتَهُمَا خُولِفَ بِي، وَاللَّهِ مَا أَدْرَكْنَا الْفَضْلَ فِي الدُّنْيَا وَلا مَا نَرْجُو مِنَ الآخِرَةِ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَلَى مَا عَمِلْنَا إِلا بِمُحَمَّدٍ (ﷺ) فَهُوَ شَرَفُنَا وَقَوْمُهُ أَشْرَفُ الْعَرَبِ ثُمَّ الأَقْرَبُ فَالأَقْرَبُ، إِنَّ الْعَرَبَ شَرُفَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ. وَلَوْ أَنَّ بَعْضَنَا يَلْقَاهُ إِلَى آبَاءٍ كَثِيرَةٍ وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَنْ نَلْقَاهُ إِلَى نَسَبِهِ ثُمَّ لا نُفَارِقُهُ إِلَى آدَمَ إِلا آبَاءٍ يَسِيرَةٍ

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي / باب مناقب عمر بن الخطاب، (ج12/5): رقم الحديث (3692).

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص ص 113-114).

مَعَ ذَلِكَ. وَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَتِ الأَعَاجِمُ بِالأَعْمَالِ وَجِئْنَا بِغَيْرِ عَمَلٍ فَهُمْ أَوْلَى بِمُحَمَّدٍ مِنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَلا يَنْظُرُ رَجُلٌ إِلَى الْقَرَابَةِ وَيَعْمَلُ لِمَا عِنْدَ اللَّهِ. فَإِنَّ مَنْ قَصَّرَ بِهِ عَمَلُهُ لا يُسْرِعُ بِهِ نَسَبُهُ))(1).

وبهذه النصيحة ثبّت الفاروق (رضي الله عنه) منهجاً عقدياً، ألا وهو: أنّ **الأولى برسول الله وبالشرف هو مَن كان عملُه على ما كان عليه رسول الله (ﷺ)**، فمعيار المكانة في دين الإسلام هو العمل الصالح المستند على سنة رسول الله (ﷺ).

فقد روى ابن سعد بسند متصل إلى أبي نضرة العبدي، قوله: ((قال رجل منا يقال له جابر أو جويبر طلبت حاجة إلى عمر وإلى جنبه رجل أبيض الثياب والشعر، فقال: إن الدنيا فيها بلاغنا، وزادنا إلى الآخرة، وفيها أعمالنا التي نجزى بها في الآخرة، فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا سيد المسلمين أبيّ بن كعب))(2).

كما نراه يثبت قاعدةً أخرى تقوم على: أنّ العلم بالسُنّة إذا اجتمع مع شرف القرابة من رسول الله، يُقدم صاحبه، فقد روى البخاري عن أنس بن مالك، أنّ ((عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان إذا قَحَطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعَمِّ نبينا فاسقنا. قال: فيُسقون))(3).

ت. الحرص على الحفاظ على عقيدة المسلمين ودينهم:

فقد عرف المسلمون حرص عمر على عقائدهم ودينهم لينجوا من النار، فها هو كعب الأحبار يقول له: ((إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا متَ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة))(4)، حيث كان لا يترك وسيلة تساهم في حفظ عقيدة المسلمين إلا وأمر بالأخذ بها، ومن الأمثلة على ذلك:

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/ 224)، قَالَ ابن سعد: ((أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ عُرِضَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ)).

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/499)، قال ابن سعد: ((أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ الْأَسَدِيُّ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: " قَالَ رَجُلٌ مِنَّا يُقَالُ لَهُ: جَابِرٌ أَوْ جُوَيْبِرٌ: " طَلَبْتُ حَاجَةً إِلَى عُمَرَ فِي خِلَافَته...)).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء/ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، (ج2/27): رقم الحديث (1010).

(4) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/253)، قال ابن سعد ((أَخْبَرَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ سَعْدٍ الْجَارِيِّ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ دَعَا أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب. وَكَانَتْ تَحْتَهُ. فَوَجَدَهَا تَبْكِي فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا=

1. فلقد أخذ يعلو أُبي بن كعب بالدَّرة – حين رأى الناس يمشون خلفه– قائلاً: ((هذا ذِلّة للتابع وفتنة للمتبوع))[1].

2. وكان يأمر ألا تُقام الحدود في الحروب حفاظاً على عقيدة العصاة من المسلمين، فالإنسان بطبيعته يهاب العقاب الدنيوي ما لم يكن ذا إيمانٍ راسخ، وهذه المهابة قد تدفعه ليقع في حبائل الشيطان ومكائده، وقد يصل للردة والارتماء في حضن الأعداء والعياذ بالله، وخاصة حين تكون الإمكانية موجودة وميسرة، ولذلك كان يرفض (ﷺ) أن يُقام الحد في أرض المعركة أو بالقرب من أرض العدو، فقد كتب لأمراء الجُند ((ألا لا يجلدَنَّ أميرُ جيشٍ ولا سريةٍ أحداً الحد حتى يطلع الدرب[2]، لئلا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار))[3].

ولقد عَنوَن ابن قدامة في باب الجهاد لمسألة بعنوان: "ولا يُقام الحد على مسلم في أرض العدو"، وشرح آراء العلماء في ذلك، وخلاصة ما ذهب إليه قوله: ((وجملته أنّ مَن أتى حدّاً من الغزاة، أو ما يوجب قصاصاً، في أرض الحرب، لم يقم عليه حتى يقفل، فيقام عليه حده))[4]، ثم أتى بشواهد على ذلك كان من أبرزها تصرف الفاروق عمر (ﷺ) وذكر علة ذلك ما ذكره الفاروق أي كي لا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار.

ومن المهم القول والتنبيه: إن عدم إقامة حركة المقاومة الإسلامية (حماس) الحدود في قطاع غزة أثناء فترة إدارة شؤونه سببه هذا الفقه النبوي الراشدي الأصيل، حيث إن العدو الصهيوني يُحيط بغزة من كل جوانبها، وتعيش غزة معركة مستمرة ومفتوحة مع المحتلين أعداء الدين – المدعومين من معظم قوى الظلم في العالم بشرقه وغربه وبكافره ومنافقه–، والتسلل

=الْيَهُودِيُّ. تَعْنِي كَعْبَ الأَحْبَارِ. يَقُولُ إِنَّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ. فَقَالَ عُمَرُ: مَا شَاءَ اللَّهُ. وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ رَبِّي خَلَقَنِي سَعِيدًا. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى كَعْبٍ فَدَعَاهُ، فَلَمَّا جَاءَهُ كَعْبٌ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لا تَعْجَلْ عَلَيَّ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَنْسَلِخُ ذُو الْحِجَّةِ حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ عُمَرُ: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ مَرَّةً فِي الْجَنَّةِ وَمَرَّةً فِي النَّارِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّا لَنَجِدُكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ تَمْنَعُ النَّاسَ أَنْ يَقَعُوا فِيهَا فَإِذَا مُتَّ لَمْ يَزَالُوا يَقْتَحِمُونَ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.))، قال عبد السلام آل عيسى: ((إسناده متّصل ورجاله ثقات))، (دراسة نقدية في المرويات (ج1129/2)).

(1) ابن العربي، العواصم من القواصم (ج79/1)، من تعليق محب الدين الخطيب في الحاشية.

(2) أي: حتى يأخذ طريق العودة ويبتعد عن أرض العدو. (من تعليق سعيد اللحام على المصنف، (ج565/6)).

(3) ابن أبي شيبة، المصنف (ج565/6): رقم الحديث (28861). واستدل به ابن قدامة وبغيره من الآثار، (انظر: المغني (ج248/9)).

(4) ابن قدامة، المغني (ج9 /247).

لأماكن تواجد العدو ممكنة وغير مستحيلة، واستغلال العدو الصهيوني لأمثال هؤلاء العصاة أمر شبه حتمي في حال لجأوا إليهم، وحسبُنا الاستناد إلى قول رسول الله (ﷺ): ((لا تُقطع الأيدي في الغزو))[1]، يقول ابن القيم معقباً على هذا الحديث: ((وقد نص أحمد وإسحاق بن راهويه والأوزاعي وغيرهم من علماء الإسلام على أن الحدود لا تُقام في أرض العدو... وهو إجماع الصحابة))[2].

3. وكان الفاروق (رضي الله عنه) يؤثر مَن دخل في دين الله على نفسه بإرساله لهم بعض صحابة رسول الله، فقد بعث إلى أهل الكوفة عماراً أميراً، وابن مسعود معلماً ووزيراً، وقال لهم: ((إنني قد بعثت إليكم عمارًا أميرًا، وابن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد (ﷺ) من أهل بدر، فاسمعوا لهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي))[3].

4. إرشاده المسلمين في انتقاء أسمائهم بحيث لا يكون معناها على غير هدى الإسلام، قال مسروق بن الأجدع: ((لقيت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال لي: من أنت قلت: مسروق بن الأجدع فقال عمر (رضي الله عنه): سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: الأجدع شيطان ولكنك مسروق بن عبد الرحمن، قال عامر: فرأيته في الديوان مكتوبا مسروق بن عبد الرحمن، فقلت: ما هذا؟ فقال: هكذا سماني عمر))[4].

5. كما أنه كان حين يجيبهم على أسئلتهم، كان يحتاط لهم لتسلم عقيدتهم، فها هو الحارث بن معاوية الكندي يسأله عن القَصَص؟ فقال له الفاروق: ((أَخْشَى عَلَيْكَ أَنْ تَقُصَّ فَتَرْتَفِعَ عَلَيْهِمْ في نَفْسِكَ، ثُمَّ تَقُصَّ فَتَرْتَفِعَ حَتَّى يُخَيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّكَ فَوْقَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الثُّرَيَّا، فَيَضَعَكَ اللَّهُ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ ذَلِكَ))[5].

---

(1) التبريزي: مشكاة المصابيح، (ج1068/2): رقم الحديث (3601)، قال الألباني: الحديث صحيح.

(2) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين (ج3/ 15).

(3) أخرجه: ابن سعد، الطبقات الكبرى (مج3/ ج1/ 182)، والحاكم (ج3/ 388) وصححه، ووافقه الذهبي، والفسوي في المعرفة والتاريخ (ج2/ 533).

(4) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عمر بن الخطاب، (ج256/1): رقم الحديث (211)، قال أحمد شاكر: إسناده حسن.

(5) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عمر بن الخطاب، (ج214/1): رقم الحديث (111)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

6. تجنيب بعضهم المناصب خوفاً على نفوسهم، فقد سأله أُبي بن كعب: ((مالك لا تستعملني؟ قال أكره أن يُدنَّسَ دينُك))[1]، وقد كان يُلقبه بسيد المسلمين، وهو الذي جمع الناس له في قيام شهر رمضان فيؤمهم بعشرين ركعة[2] .

7. عدم تهاونه بما يسمعه من بعض التصرفات من بعض المسلمين المنافية للعقيدة، لدرجة أن صرامته في ذلك أصبحت شائعة حتى بين الجواري والإماء، ولكنه كان يتثبت قبل أن يتصرف، فقد أتته جارية فقالت: ((إن صفية[3] تحب السبت وتصل اليهود، فبعث عمر يسألها، فقالت: أما السبت فلم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصِلُها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت الشيطان، قالت فاذهبي فأنت حرة))[4].

8. تعليمه المسلمين أنّ أمر العقيدة لا يستوي إلا بإقامة الأركان، فقد قال للناس يوماً: ((لقد هممت أن أبعث إلى الأمصار فلا يوجد رجلٌ قد بلغ سناً وله سبغة ولم يحج إلا ضربت عليه الجزية، والله ما أولئك بمسلمين، والله ما أولئك بمسلمين))[5].

9. متابعته فتوى المسلمين ونصائحهم بعضهم لبعض فيُقرُّ الصحيح منها ويُصحح الخطأ، فقد أخبر أبو هريرة قائلاً : ((إنه مرّ به قوم مُحرِمُون بالرَّبذة[6] فاستفتوه في لحم صيد وجدوا

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/499)، قال بن سعد: ((أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ الْكِلابِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا سَلامُ بْنُ مِسْكِينٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عِمْرَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ...الحديث)).

(2) انظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء (ص ص119-121).

(3) هي أم المؤمنين، صفية بنت حُيي بن أخطب زعيم بني النضير الذي قتله رسول الله بعد خيانته حيث انحاز إلى بني قريظة بعد جلاء بني النضير، وقُتل بعد هزيمة بني قُريظة عام (5 هـ)، وتزوجها رسول الله بعد فتح خيبر وكانت من سبي حصن ابن أبي الحقيق حيث كان زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، تزوجها النبي بعدما أسلمت (انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج3/ 146، 216-217)).

(4) ابن عبد البر، الاستيعاب (ج4/1872).

(5) ابن الجوزي، مناقب عمر (ص 82)، رواه عن قتادة. وعن عبد الرحمن بن غُنم أنه سمع عمر بن الخطاب (ﷺ) يقول: من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه يهودياً مات أو نصرانياً، ورواه الإسماعيلي كما عزاه ابن كثير في تفسيره (ج2/97) قال ابن كثير عقب الأثر: وهذا إسناد صحيح إلى عمر، وهناك أكثر من أثر عن النبي (ﷺ) بهذا المعنى لكنّ أسانيدها ضعيفة.

(6) الرَّبذة: هي قرية من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. (الحموي، معجم البلدان (ج3/ 24)).

ناساً أحلة يأكلونه فأفتاهم بأكله قال ثم قدمت المدينة على عمر بن الخطاب فسألته عن ذلك فقال: بم أفتيتهم؟ قال: فقلت أفتيتهم بأكله، قال: فقال عمر: لو أفتيتهم بغير ذلك لأوجعتك))[1]، وها هو الصبي بن معبد يقول: ((كنت رجلاً نصرانياً فأسلمت فأهللتُ بالحج والعمرة فسمعني زيد بن صوحان وسلمان بن ربيعة وأنا أُهِلُّ بهما فقالا: لهذا أضل من بعير أهله، فكأنما حُمِلَ عليّ بكلمتهما جبل فقدمت على عمر (ﷺ) فأخبرته فأقبل عليهما فلامهما، وأقبل عليَّ فقال: هُديتَ لسنة النبي (ﷺ)، هُديت لسنة نبيك (ﷺ))[2] .

10. تجنيب المسلمين فتنة الافتتان ببعض القادة والجند لما حققوه من انتصارات عظيمة على الروم والفرس في وقت قصير، فعمل على عزل[3] بعضهم خشية أن يُفتن الناس بهم، ومن هؤلاء عزل ابن خالته خالد بن الوليد (ﷺ) عن القيادة العامة للجيش في بلاد الشام، وجعل أبا عبيدة بدلاً منه مع إبقائه في صفوف قادة الجيش تحت إمرة أبي عبيدة، وليوضح الخليفة ذلك للناس، فقد كتب إلى الأمصار كتاباً جاء فيه: ((إني لم أعزل خالداً عن سخطة أو خيانة، ولكن الناس فُتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وأن لا يكونوا بعرض فتنة))[4].

ولقد علّقَ الصلابي على عزل الفاروق لخالد بالقول: ((إنّ ما قام به الفاروق يتفق مع حرصه على صبغ إدارته للدولة العقائدية الخالصة بالعقيدة البعيدة عن الشوائب والشبهات حيث إن المسلمين يخوضون معاركهم من أجل العقيدة، أي أن ما قام به الفاروق هو لحماية التوحيد))[5]، ولقد وضح ذلك الشاعر حافظ إبراهيم في عُمَريته:

---

(1) القرطبي، المنتقى شرح الموطأ (ج244/2)، والذهبي، سير أعلام النبلاء (ص367)، رواه بسنده عن الزهري عن سالم.

(2) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عمر بن الخطاب، (ج236/1): رقم الحديث (169)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(3) عزل عمرُ خالداً مرتين، الأولى غداة توليه الخلافة عام (13 هـ) حيث لم يرضَ الفاروق أن يعطي خالداً حرية التصرف بالمال العام خلاف ما كان له في عهد أبي بكر، والعزل الثاني كان في العام (17هـ) وكان خالداً في (قنسرين) في بلاد الروم. (انظر الصلابي، عمر بن الخطاب (ص ص 392-397)).

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج43/5).

(5) الصلابي، عمر بن الخطاب (ص397)، بتصرف.

وقيل خالفت يا فاروق صاحبنا[1] فيه وقد كان أعطى القوس باريها

فقال خفت افتتان المسلمين به وفتنة النفس أعيت مَن يداويها[2]

ولا أدل من ثقة الفاروق بخالد من الحزن الشديد للفاروق عليه حين وفاته عام (21هـ)، حيث رفض منع قريباته البكاء عليه، وقال مقولته المشهورة: ((على مثل أبي سليمان تبكي البواكي))[3]، وحين دَخَلَ هِشَامُ الْبَخْتَرِيِّ فِي ناسٍ مِنْ مَخْزُومٍ عَلَيه (رضي الله عنه)، فَقَالَ لَهُ: ((يَا هِشَامُ أَنْشِدْنِي شِعْرَكَ فِي خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَأَنْشَدَهُ فَقَالَ: قصَّرت فِي الْبُكَاءِ عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ، إِنْ كَانَ لَيُحِبُّ أَنْ يذلَّ الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ، وَإِنْ كَانَ الشَّامِتُ بِهِ لَمُتَعَرِّضًا لِمَقْتِ اللَّهِ، رَحِمَ اللَّهُ أَبَا سُلَيْمَانَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خيرٌ لَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ، وَلَقَدْ مَاتَ فَقِيدًا وَعَاشَ حَمِيدًا، وَلَكِنْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ لَيْسَ يُقَاتَلُ))[4].

11. وكان يُعلِّمُ المسلمين كيف يكونون أعزاءَ ولا يهابون الولاة، فقد خطب يوماً فقال: ((والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فُعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليَّ، فوالذي نفسي بيده إذاً لأقصنه منه، فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين: أو رأيت إن كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته أئنك لمقتصه منه قال: إي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه وقد رأيت رسول الله (ﷺ) يقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم[5] فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم[6] ولا تنزلوهم الغياض[7] فتضيعوهم))[8].

---

(1) يقصد أبا بكر الصديق، حيث أقر خالد على عمله بخلاف الفاروق لاختلاف سياستهما (انظر: الصلابي، عمر بن الخطاب (ص ص392-393)).

(2) حافظ إبراهيم، الديوان، القصيدة العُمرية (ص 86).

(3) كمال، الطريق إلى المدائن (ص 366).

(4) النهرواني، الجليس الصالح الكافي (ص 673)، بتصرف.

(5) تجمير الجيش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهلهم. (محض الصواب (ج383/1)).

(6) لأنهم ربما ارتدُّوا إذا مُنِعوا عن الحق. «النهاية لابن الأثير» (ج4/ 187)

(7) الغِياض: جمع غَيْضة، وهي الشجر الملتف؛ لأنهم إذا نزلوها تفرَّقوا فيها، فتمكَّن العدو منهم. (ابن الأثير، البداية والنهاية (ج3/ 402)).

(8) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عمر بن الخطاب، (ج287/1): رقم الحديث (286)، قال أحمد شاكر: إسناده حسن.

12. ومن حرصه على حفظ الدين أنه عمل على توضيح الحدود الفاصلة بين الوجوب والنهي، ويترك لهم حرية الاختيار في مساحة العفو والمباح، فقد ((قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ بِسُورَةِ النَّحْلِ حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْقَابِلَةُ قَرَأَ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا نَمُرُّ بِالسُّجُودِ فَمَنْ سَجَدَ فَقَدْ أَصَابَ، وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَسْجُدْ عُمَرُ (ﷺ)))(1).

13. وعَمِلَ على توضيح الرخص الشرعية لهم ومقاصد الأحكام، ومن أمثلة ذلك توضيحه للناس بعد صلاة المغرب من أول ليلة من رمضان، يرشدهم موضحاً لهم ما يجب عليهم وما لا يجب ((...فإن هذا شهر كُتب صيامه ولم يُكتب عليكم قيامه، من استطاع منكم أن يقوم فإنها من نوافل الخير التي قال الله – عز وجل – ومن لم يستطع منكم أن يقوم فلينم على فراشه...))(2)، وكان حريصاً أن يحبب الناس في قيام شهر رمضان، وذلك بالتخفيف عنهم في الصلاة، فقد دعا في شهر رمضان ثلاثة من القُرّآء، فأمر أسرعهم قراءةً أن يقرأ ثلاثين آية، وأمر أوسطهم أن يقرأ خمساً وعشرين آية، وأمر أبطأهم أن يقرأ عشرين آية(3)، وهذا من رحمته بالمؤمنين ولينهل جمعيهم من الخير، كما قال الله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾[الفتح:29].

ولعل من شدة شعور المسلمين بحرص عمر على عقيدتهم وإيمانهم وعلى الإسلام ورفعته، جعل أُمَّ أيمن(4) تقول حين سمعت بمقتل عمر: ((اليوم وَهَى الإسلام))(5)، وقال أبو طلحة الأنصاري: ((والله ما مِن أهل بيت من المسلمين إلا وقد دخل عليهم في موت عمر نقص في دينهم وفي دنياهم))(6).

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب سجود القرآن / باب من رأى أن الله عزوجل لم يوجب سجود السهو، (ج42/2): رقم الحديث (1077).

(2) ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر (ص66)، قال ابن كثير في مسند الفاروق: إسناده حسن.

(3) انظر: ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر (ص66).

(4) هي: أم أسامة بن زيد، وكان زيد بن حارثة قد تزوجها بعد هلاك زوجها عبيد بن الحارث الخزرجي فولدت له أسامة، وكانت قد أنجبت من عبيد أيمن الذي استُشهد يوم حنين. (ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج303/4)).

(5) السيوطي، تاريخ الخلفاء(ص106)، أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، عن طارق بن شهاب، (ج86/25): رقم الحديث (221).

(6) ابن سعد، الطبقات الكبرى (374/3).

ث.التفسير الخاطىء لآيات القرآن بجهل لا يُكفرُ صاحبه إن رجع عنه:

إن تكفير المسلم له ضوابط وشروط، ولقد وضح الفاروق والصحابة من خلال حادثة شرب الصحابي البدري قُدامة بن مظعون[1] الخمر – متأولاً (ﷺ) أيةً قرآنية على غير هَديِها– أن التفسير الخاطىء لنصوص القرآن الكريم لا يُخرجُ صاحبه من الإسلام إذا لم تكن نيته معارضتها أو الالتفات عليها، ولكنها لا تمنع عنه العقوبة في الدنيا إن وجبت، فقد ذكر الجصّاص أن ((الجارود سيد بني عبد القيس وأبا هريرة شهدا على قدامة بن مظعون أنه شرب الخمر، وأراد عُمَرُ أن يجلده، فقال قدامة: ليس لك ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة:93][2] ! فقال عمر: إنك قد أخطأت التأويل – أي التفسير– يا قدامة، إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله تعالى عليك، ثم أَمَرَ به فجُلد، فغاضبه قدامة، ثم حجا جميعا، فاستيقظ عمر من نومه فزعاً فقال: عجلوا بقدامة، أتاني آتٍ فقال: صالح قدامة فإنه أخوك، فاصطلحا))[3].

كما أن ((قوماً شربوا بالشام وقالوا هي لنا حلال وتأولوا هذه الآية، فأجمع عمر وعليّ على أن يُستتابوا فإن تابوا وإلا قُتلوا))[4].

---

(1) هو: قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي، يكنى أبا عمرو، وأخوه عثمان بن مظعون، وهو خال عبد الله وحفصة ابني عمر بن الخطاب، وكانت تحته صفية بنت الخطاب أخت عمر، هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه عثمان بن مظعون وعبد الله بن مظعون ثم شهد بدرًا، وسائر المشاهد مع رسول الله (ﷺ)، استعمله عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله وولى عثمان بن أبي العاص، وكان سبب عزله شربه للخمر. (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج105/3)).

(2) قال الجصاص: قال ابن عباس وجابر والبراء بن عازب وأنس بن مالك والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك: ((لما حرّم الخمر كان قد مات رجال من أصحاب رسول الله (ﷺ) وهم يشربون الخمر قبل أن تحرَّم، فقالت الصحابة: كيف بمن مات منّا وهم يشربونها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية)) (أحكام القرآن، ج584/2).

(3) الجصاص، أحكام القرآن (ج584/2)، نقله عن الزهري عن عبد الله بن عامر بن ربيعة. وانظر: ابن حجر، فتح الباري، كتاب المغازي، حديث (15).

(4) المرجع السابق (ج584/2)، قال الجصاص: رُوي عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عليّ.

ولقد علّق الشيخ خالد المصلح على ذلك بقوله: ((هٰذا شاهد قائم من عهد الصحابة (ﷺ) في خلافة عمر الفاروق، ولذلك ينبغي يا إخواني في مسألة التكفير، ينبغي للمؤمن أن يتروى وألا يستعجل، وأن ينظر إلى الأمر بتؤدة، وألا يتجاسر عليه صغار الطلبة والمبتدئون في طريق الطلب، يجب أن يُتحرى))[1].

وعليه فيُفهم من الروايات العديدة أن مقداد بن مظعون شرب الخمر دون أن يستحلها، لكنه ظن أن الآية السابقة تشير إلى أنّ مثله يستطيع فعل ما يشاء دون عقوبة ولا إثم، فلم يُطلبُ منه استتابة، بخلاف مَن شربوها في الشام، فإن عمر وعلي والصحابة ((لم يحكموا على قدامة بحكمهم على الذين شربوها بالشام، ولم يكن حكمه حكمهم، لأن أولئك شربوها مستحلّين لها، ومستحلٌ ما حرم الله كافرٌ، فلذلك استتابوهم. وأما قدامة بن مظعون فلم يشربها مستحلاً لشربها، وإنما تأول الآية[2] على أن الحال التي هو عليها ووجود الصفة التي ذكر الله تعالى في الآية فيه مكفّرة لذنوبه، فكان عنده أنه من أهل هذه الآية، وأنه لا يستحق العقوبة على شربها مع اعتقاده لتحريمها ولتكفير إحسانه إساءته))[3].

لقد كان إجماع الصحابة بقيادة عمر وعليّ بن أبي طالب على قتل الذين شربوا الخمر مستحلين لها إن لم يتوبوا، كان رداً على مَن أتى بعدهم من المرجئة[4] الذين قالوا: لا يضير مع الإيمان ذنب[5].

---

(1) خالد المصلح، شرح العقيدة الطحاوية (160).

(2) أي الآية (93) من سورة المائدة، قال الجصاص: ((وأعاد ذكر الاتّقاء في الآية ثلاث مرات، والمراد بكل واحد منها غير المراد بالأخرى، فأما الأوّل: فمن اتقى فيما سلف، والثاني: الاتّقاء منهم في مستقبل الأوقات، والثالث: اتقاء ظلم العباد والإحسان إليهم)) (أحكام القرآن (ج584/2)).

(3) الجصاص، أحكام القرآن (ج2/ص584)، بتصرف.

(4) قال الشهرستاني: ((الإرجاء على معنيين، أحدهما: بمعنى التأخير، قَالُوا: أَرْجِهْ وَأَخَاهُ، أي أمهله وأخره، والثاني: إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وأما بالمعنى الثاني فلأنهم كانوا يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة)) (الملل والنحل (ص137)).

(5) الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (ص 334).

ج. التحذير مِمَن ينتقص من الدين:

لقد رفض الخليفة الراشد الأول التفريق بين العبادات[1]، فرفض أن يقبل من بعضهم الصلاة دون الزكاة، وقال ((إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة))[2]، وعلى نفس الطريق يمضي الفاروق عمر فيحذر المسلمين مما يُمكن أن يقع منهم مما يوجب قتلهم قتلاً قاسياً، فقد روى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: ((خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ – وَقَالَ هُشَيْمٌ مَرَّةً: خَطَبَنَا – فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَذَكَرَ الرَّجْمَ، فَقَالَ: لَا تُخْدَعُنَّ عَنْهُ، فَإِنَّهُ حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، أَلا إِنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) قَدْ رَجَمَ، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، وَلَوْلا أَنْ يَقُولَ قَائِلُونَ: زَادَ عُمَرُ فِي كِتَابِ اللهِ عز وجل مَا لَيْسَ مِنْهُ، لَكَتَبْتُهُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُصْحَفِ، شَهِدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ – وَقَالَ هُشَيْمٌ مَرَّةً: وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَفُلانٌ وَفُلانٌ – أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) قَدْ رَجَمَ وَرَجَمْنَا مِنْ بَعْدِهِ، أَلا وَإِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِكُمْ قَوْمٌ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ، وَبِالدَّجَّالِ، وَبِالشَّفَاعَةِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَبِقَوْمٍ يُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا امْتَحَشُوا[3]))[4].

ولقد ظهر ما تنبأ به الفاروق وحذر المسلمين منه، فقد أنكر الخوارج حد الرجم للزاني المحصن[5] ، وأنكروا عذاب القبر كما قال ابن حزم: ((... إنكار عذاب القبر، وهو قول مَن لقينا

---

(1) انظر: الفصل الأول/ تمهيد (ص36).

(2) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عمر بن الخطاب، (ج216/1): رقم الحديث (117)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(3) قال محققو مسند أحمد: امتحشوا من المحش، وهو احتراق الجلد وظهور العظم. (مسند الإمام أحمد (ج222/1).

(4) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ أول مسند عمر بن الخطاب، (ج222/1): رقم الحديث (156)، وقد اختلف علماء الحديث في تخريجه، لاختلافهم في الحكم على يوسف بن مهران، فقد قال أحمد شاكر: "إسناده صحيح، يوسف بن مهران البصري: وثقة أبو زرعة وابن سعد"، وقال الألباني إسناده حسن (الموسوعة العقائدية، (ج227/9))، وقال شعيب الأرنؤوط " إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد – وهو ابنُ جُدعان –، ويوسف بن مهران لين، وقال حسين سعيد أسد: إسناده ضعيف.

وقد روى آل زهوي أنّ سعيد بن المسيّب قال: سمعتُ عمر بن الخطاب على هذا المنبر يقول: "عسى أن يكون بعدي أقوام يكذبون بالرجِّم، يقولون: لا نجده في كتاب الله. لولا أن أزيد في كتاب الله ما ليس فيه لكتبت أنه حق؛ قد رجم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ورجم أبو بكر، ورجمتُ". وقال : هذا الإسناد على شرط مسلم، وهو صحيح لا مطعن فيه. (سلسلة الآثار الصحيحة (ج139/1)).

(5) العبدلي، أصحاب التأويلات الفاسدة (ج109/1).

من الخوارج))[1] وأنكره كذلك بشير المريسي أحد أعلام الجهمية وأتباعه من المعتزلة[2] ، وأنكر الخوارج والمعتزلة الشفاعة للمؤمنين العاصين، وأقروا بالشفاعة العظمى، وأنكروا خروج مَن دخل النار منها[3] ، أي بعدما امتحشوا فيها.

أنكرت الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة قديماً وجود الدجال، حيث زعموا أن الدجال كلُّ رجُلٍ خبيث[4].

ح. الحث على معالجة أمر الجاهلية والاعتزاز بالإسلام:

محاربة الجاهلية وآثارها والاعتزاز بالانتماء لهذا الدين خصلتان ظهرتا بجلاء في تصرفات الفاروق كلها، وكان لا يترك مناسبة ولا ظرف إلا ذم الجاهلية وأشاد بالإسلام، فقد أرسل أبو سبرة بن أبي برهم ملك الأهواز إليه الهرمزان أسيراً بعد تمكن المسلمين منه وبعد محاولته خداعهم، وكان نائماً في مسجد رسول الله، ففتح عينيه فنظر فعرف أن الذي أمامه الهرمزان، لأنه دخل عليه بحلية الملوك وهيئاتهم، فقال: أهرمزان؟ قال نعم، فنظر إلى المسلمين وقال: الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا وأشياعه، يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين، واهتدوا بهدي نبيكم (ﷺ)، ولا تُبطرنكم الدنيا فإنها غرارة[5].

وحين قدم (رضي الله عنه) الشام راكباً على حماره ورجلاه من جانب، قال له أبو عبيدة: ((يا أمير المؤمنين، الآن يتلقاك عظماء الناس فقال عمر (رضي الله عنه): إن الله أعزّكم بالإسلام، فمهما طلبتم العزّ في غيره أذلكم))[6].

وذات يوم خطب بالناس فقال: ((قد علمتُ وربِّ الكعبة متى تهلك العرب، فقام إليه رجلٌ من المسلمين فقال: متى يهلكون يا أمير المؤمنين؟ قال: حين يسوس أمرَهم من لم يعالج أمر الجاهلية ولم يصحب الرسول(ﷺ)))[7].

---

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج56/4).

(2) العبدلي، أصحاب التأويلات الفاسدة (ج1/ص103).

(3) انظر: مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية (116/1)، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (688).

(4) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم (ج58/18).

(5) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج66/5)

(6) محض الصواب (ج590/2)، إسناده صحيح.

(7) أخرجه: ابن أبي شيبة في المصنف (ج6 / 410)، واللفظ له، وابن سعد في الطبقات (ج6/ 129)، والحاكم في المستدرك (4 / 475)، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الذهبي، والبيهقي في الشعب (ج6/ 69)، وأبو نعيم في الحلية (ج7 / 243)، كلهم من طريق: شبيب بن غرقدة عن المستظل ابن حصين البارقي.

ولذلك كان يرسل صحابة رسول الله للأمصار ليعلموا المسلمين دينهم، ويمحوا منهم سوءات الجاهلية، فقد أرسل لأهل الكوفة عماراً أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً للقرآن، وكتب لهم ((إنني قد بعثت إليكم عماراً أميراً، وابن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد (ﷺ) من أهل بدر، فاسمعوا لهما، واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي.))[1] .

خ. دعوة غير المسلمين لدين الإسلام:

كان الفاروق (ﷺ) يستغل المواقف لدعوة غير المسلمين للإسلام وبذلك ينشر عقيدة الإسلام في أكبر بقعة ممكنة من الأرض، بل إن الجهاد من أعظم أسبابه نشر دين الله بين البشر، فقد استغل رسالة أرسلها له قيصر الروم يتأكد من خلالها من وصف شجرة واسمها، فردّ عليه ((... هَذِهِ الشَّجَرَةُ عِنْدَنَا، وَهِيَ الشَّجَرَةُ الَّتِي أَنْبَتَهَا اللَّهُ عَلَى مَرْيَمَ حِينَ نَفَسَتْ بِعِيسَى ابْنِهَا، فَاتَّقِ اللَّهَ وَلا تَتَّخِذْ عِيسَى إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّ ﴿**مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾[آلِ عِمْرَانَ:**59**]))[2]

د. التقوّي بسلاح الدعاء:

الدعاء دليل على خضوع الداعي لمن يدعوه والتذلل له، ولذلك فإن اللجوء إلى الله بالدعاء دلالةٌ على تسليم الأمر له وتوحيده في ألوهيته والتي هي متضمنة لجميع أنواع التوحيد، ولذلك قال رسول الله (ﷺ): ((إنّ الدعاء هو العبادة))[3]، وحث الله المؤمنين ليدعوه، وجعل عدم التوجه له بالعبادة استكباراً عن عبادته ولذلك أتبع بعضها بعضاً، فقال سبحانه: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[غافر:60].

وها هو الفاروق يثبت –وبشكل عملي– هذا المفهوم، فيجعل أول كلامه حين تولى الخلافة الدعاء إلى الله واللجوء إليه، فعن شداد قال: ((كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال: اللهم إني شديد فَلَيّنّي، وإني ضعيف فقوّني، وإني بخيل فسخنّي))[4].

---

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء (ص 149).

(2) الرازي، تفسير القرآن العظيم (ج3323/10)، وهي هي شجرة النخيل.

(3) البخاري، الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، (ج249/1): رقم الحديث: (714)، قال الألباني: إسناده صحيح.

(4) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج208/3)، قال محققا كتاب مناقب عمر لابن الجوزي: ورجاله ثقات.

ذ. إبعاد أهل الكتاب عن المناصب في الدولة

قدم على عمر فتح من الشام، فقال لأبي موسى: ادع كاتبك يقرأه على الناس في المسجد، قال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد، قال عمر: لم؟ أجُنبٌ هو؟ قال: لا ولكنه نصراني، فانتهره عمر وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرموهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنوهم وقد خونهم الله، وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب، فإنهم يستحلون الرَّشْوة (1).

وكان له (ﷺ) غلاماً نصرانياً اسمه (أُسِّقَ) خاطبه يوماً فقال له: ((أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين، لأنه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم، وأعتقه الفاروق لما حضرته الوفاة وقال له: اذهب حيث شئت))(2).

المطلب الثاني: إنفاذ أوامر رسول الله (ﷺ) وأبي بكر (ﷺ):

لقد عمل الفاروق (ﷺ) على تنفيذ أوامر الرسول وأوامر أبي بكر الصديق الخليفة الأول لأن طاعة أولي الأمر الشرعيين والذين يسيرون على نهج الإسلام فرضٌ على كل مسلم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:59]، ولأن وجود دولة تحمي المسلمين وتحمي عقائدهم أمرٌ واجبٌ على المسلمين، لأن بدون ذلك سيُفتنون في دينهم، وهذا أشد من القتل ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾[البقرة:191].

وسأتناول بعض الأمثلة الدالة على تنفيذه (ﷺ) لأوامر رسول الله (ﷺ)، ثم لتنفيذه لأوامر أبي بكرٍ (ﷺ) كلاً على حدة، حيث ذلك أساس حفظ العقيدة بشكلها السليم:

أولاً: تنفيذه لأوامر رسول الله (ﷺ):

تعلم الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون وجوب تنفيذ أوامر رسول الله (ﷺ)، حيث قال الله تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ

(1) البيهقي: السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي/ باب لا ينبغي للقاضي ولا الوالي، (ج127/10): رقم الحديث (20196)، قال الألباني في إرواء الغليل: صحيح، رقم (2630).

(2) محض الصواب (ج514/2)، قال المحقق: "ومدار الحديث على شريك بن عبد الله النخعي، وهو صدوق، يخطئ كثيراً" ، ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج158/6).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[الحشر:7]، يقول ابن كثير: ((مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر))[1].

ولقد قام الخليفة عمر (ﷺ) بتنفيذ أوامر رسول الله (ﷺ) حين رأى أن الشروط أصبحت مناسبة لذلك، وكان منها:

1. إخراج المشركين من جزيرة العرب:

صح عن النبي (ﷺ) أنه آخر ما أوصى به في حياته إخراج المشركين من جزيرة العرب، فعن أبي عبيدة بن الجرَّاح (ﷺ) قال: آخرُ ما تكلَّم به النبيُّ (ﷺ): ((أخرجوا يهودَ أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[2]، حيث مات رسول الله وما زال هناك في جزيرة العرب يهودُ خيبر، ونصارى من العرب في نجران، وثبت عنه قوله (ﷺ) لما اشتد به وجع سكرات الموت: ((أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ))[3].

وكان النبيُّ (ﷺ) قد أخبر المسلمين هذا الأمر من قبل، ونقله عنه الفاروق نفسُه، حيث روى (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: ((لئِنْ عِشْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ، لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ولا أدع فيها إلا مسلماً))[4].

وقد أخرج عمر (ﷺ) يهود خيبر منها حين اعتدوا على عبد الله بن عمر، ففدعوا رجليه ويديه –أزالوا مفاصلهم–، وحينما أجمع عمر على إخراجهم ((أَتَاهُ أَحَدُ بَنِي أَبِي الحُقَيْقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَتُخْرِجُنَا وَقَدْ أَقَرَّنَا مُحَمَّدٌ (ﷺ)، وَعَامَلَنَا عَلَى الأَمْوَالِ وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا، فَقَالَ عُمَرُ: أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ): «كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ تَعْدُو بِكَ قَلُوصُكَ – الناقة الصابرة على السير – لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ» فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً مِنْ أَبِي القَاسِمِ،

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج431/4).

(2) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة/ باب حديث أبي عبيدة بن الجراح، (ج324/2): رقم الحديث: (1691)، قال محققو المسند: إسناده صحيح، و صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة": رقم (1132)

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجزية/ باب إخراج اليهود والنصارى، (ج99/4): رقم الحديث (3168).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير/ باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، (ج1388/3): رقم الحديث (1767).

قَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ...، وَقَالَ: "نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمُ اللَّهُ"))[1]، فأجلاهم عمر إلى ((تيماء[2] وأريحا))[3].

كما قام الفاروق (ﷺ) بإجلاء نصارى نجران من الجزيرة أيضاً وأرسل بهم إلى العراق[4]، وذلك حينما لم يلتزموا بالشروط والعهود التي أبرموها مع رسول الله (ﷺ)، وجددوها مع الصديق (ﷺ)؛ فأخلُّوا ببعضها وأكلوا الربا وتعاملوا به[5].

والناظر في كتب السنة والسيرة النبوية يلحظ أن عمر أجلى يهود خيبر ويهود فَدَك[6] ، ولم يُجْلِ يهود وادي القرى ويهود تيما، وقد علل البيهقي ذلك بأن ((تيماء ووادي القرى داخلتان في أرض الشام، وأن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز وأن ما وراء ذلك شام))[7].

إن جلاء الفاروق (ﷺ) ليهود خيبر جاء استجابة لطلب رسول الله في آخر عهده حيث أن رسول الله شهد على جرمهم وخيانتهم حين أصابوا عبد الله بن سهل (ﷺ)، وكان ذاهباً في أصحابٍ له ليمتار تمراً، فكسروا عنقه وألقوه في أحد العيون، فوداه الرسول حينها بمائة ناقة من عنده[8] .

ثم أعادوا خيانتهم وغدرهم في عهد الفاروق أكثر من مرة، ((حيث ساهموا في قتل مظهر ابن رافع الحارثي (ﷺ) حين ألبّوا عشرة من النصارى وزودهم بالسلاح لقتله حيث جلبهم من الشام ليعملوا في أرضه بخيبر))[9].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشروط/ باب إذا اشترط المزارعة، (ج192/3): رقم الحديث (2730).

(2) أصلها: تُومَاءُ، وهي: اسم قرية بغوطة دمشق وإليها ينسب باب توماء من أبواب دمشق، ما بين الحجاز والشام، (الحموي، معجم البلدان (ج59/2)).

(3) القرطبي، التمهيد لما في الموطأ (ج170/1).

(4) حيث اتخذوا النجرانية وطناً لهم وهي قرية بالكوفة، وكتب لهم كتاباً، جاء فيه: ((فمن وقع به من أمراء الشام أو العراق فليوسعهم خريب الأرض – أي يقطعهم من الأرض التي لا زرع فيها ولا شجر، وما اعتملوا من شيء فهو لهم لوجه الله وعقب من أرضهم)) (انظر: الأموال، أبو عبيد (ص245)).

(5) الصلابي، عمر بن الخطاب (ص148)، بتصرف.

(6) انظر: أبو فارس، الصراع مع اليهود (ص165).

(7) البيهقي: السنن الكبرى (ج209/9)، بتصرف.

(8) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (3/230-229).

(9) الواقدي، المغازي (ج 716/2)، بتصرف.

2. تعظيم المساجد ومنع قول الشعر في مسجد رسول الله (ﷺ):

جعل الله المساجد بيوته في الأرض، وهي مرتع للملائكة[1]، لأنها تُبنى لذكر الله، ولذلك فتعظيمها من تعظيم المسلم لربه ودينه ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾[النور:36]، أي أن الله تعالى أمر ((بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها))[2]، وقالت أمُّنا عائشة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا): ((أمرنا رسول الله (ﷺ) ببناء المساجد في الدور (أي القبائل)، وأن تنظف وتُطيَّب))[3]، وقال رسول الله (ﷺ) للذي بال في المسجد بعدما انتهى من بوله: ((إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ))[4].

ومن مظاهر تعظيم المساجد عدم تناشد الأشعار فيها أي عدم جعلها مكاناً ليتبارى فيه الشعراء، وعدم البيع والشراء، وعدم التحلق فيها يوم الجمعة قبل الصلاة، فقد روى عَمْرو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ((أَنَّهُ نَهَى عَنْ تَنَاشُدِ الأَشْعَارِ فِي المَسْجِدِ، وَعَنِ البَيْعِ وَالاِشْتِرَاءِ فِيهِ، وَأَنْ يَتَحَلَّقَ النَّاسُ فِيهِ يَوْمَ الجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ.))[5]، ولكن يُستحب أن يقال فيه الشعر بنية الوعظ والإرشاد والرد على الخصوم من الكافرين والمشركين[6] كما كان يفعل ذلك شاعر رسول الله حسانُ بن ثابت (رضي الله عنه) في عهد رسول الله، ولذلك حين أراد الفاروق أن ينهاه عن نشد الشعر في مسجد رسول الله، قال له: ((كُنْتُ أُنْشِدُ فِيهِ (أي: المسجد)، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ (يعني : رسول الله (ﷺ)))[7].

---

(1) ذكر ابن كثير أنه ((جاء في الأثر: إن الملائكة لتتعجب من الرجل يمر بالمسجد لا يصلي فيه))، (تفسير القرآن العظيم (ج3/ 391)).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج390/3).

(3) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الصلاة/ باب ما جاء في كراهية البيع والشراء في المسجد، (ج139/2): رقم الحديث (322)، سكت عنه الترمذي، وحسنه الألباني.

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الطهارة/ باب غسل البول وغيره من النجاسات، (ج236/1): رقم الحديث (285).

(5) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب السفر/ باب ما ذكر في تطييب المساجد، (ج489/2): رقم الحديث (594)، سكت عنه الترمذي، وصححه الألباني.

(6) انظر: ابن رجب، فتح الباري (ج335/3).

(7) البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة، (ج112/4)، رقم الحديث: (3212).

معالم تعظيم عمر بن الخطاب للمساجد:

لقد اهتم عمر (ﷺ) بما يُعظم المساجد عملاً بوصية رسول الله (ﷺ) من جعلها للصلاة وذكر الله، ولم يألُ جهداً في منع أي ظاهرة قد تؤثر على المتواجدين في المسجد للصلاة والذكر وقراءة القرآن، فحينما رأى الناس يتناشدون فيه الأشعار بنى رَحْبَةً فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، تُسَمَّى الْبُطَيْحَاءَ، وَقَالَ: ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَلْغَطَ أَوْ يُنْشِدَ شِعْرًا، أَوْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ، فلْيَخْرُجْ إِلَى هَذِهِ الرَّحْبَةِ))(1).

بل كان يعاقب من يرفع صوته في المسجد، فقد روى يزيد الكندي قال: ((كنت قائماً في المسجد، فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقال اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما، فقال من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا من أهل الطائف، قال لو كنتما من أهل البلد، لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله (ﷺ)))(2)، وقال إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: ((سمع عمر صوت رجل في المسجد، فقال أتدري أين أنت؟))(3)، وكان إذا رأى صبياناً يلعبون في المسجد، ضربهم بالمخفقة، وهي الدرة، وكان يفتش المسجد بعد العشاء، فلا يترك فيه أحداً، بل كان يحرص في بناء المساجد على أن لا يكون فيها ما يلفت النظر، ويؤثر على الخشوع، فكان يقول لمن يبني المساجد: ابنُ للناس ما يكنهم، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس، وكان يُجمِّر مسجد رسول الله (ﷺ) كل جمعة(4).

---

(1) مالك: الموطأ، كتاب الصلاة / باب جامع الصلاة، (ج175/1): رقم الحديث (93)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، رقم (20266)، قال الألباني – رحمه الله – في تعليقه على إصلاح المساجد (ص 112): ((رواه مالك دون سند، لكن وصله البيهقي ورجاله ثقات، ولكنه منقطع بين سالم بن عبد الله وجده عمر)).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة/ باب رفع الصوت في المسجد، (ج101/1): رقم الحديث (470).

(3) النسائي: السنن الكبرى، كتاب المواعظ، (ج404/10): رقم الحديث (11848)، قال ابن كثير: وهذا أيضاً صحيح، انظر: تفسير القرن العظيم (ج392/3).

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج392/3)، نقله عن الحافظ أبي يعلى الموصلي، وقال ابن كثير: إسناده حسن لا بأس به.

ومن شدة حرصه على المساجد كان يجعل من ركائز مهام الولاة في الأمصار بناء المساجد وتشييدها، حيث تذكر بعض الإحصائيات أنه أنشئ في عصره (ﷺ) (4000) مسجد في بلاد العرب وحدها[1] .

3. الرفق بالأنصار (ﷺ):

إن من آخر ما أوصى به النبي (ﷺ) المسلمين قبيل وفاته بالأنصار خيرا، فعن أنس بن مالك قال: ((مرَّ أبو بكر والعباس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم قالوا: ذكرنا مجلس النبي (ﷺ) منا، فدخل على النبي (ﷺ) فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي (ﷺ) وقد عصب على رأسه حاشية برد قال: فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي – أي بطانتي وخاصتي– وقد قضوا الذي عليهم[2] وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم))[3].

وعلى وصيته صار الفاروق عمر، حيث أوصى مَنْ سيتولى الخلافة من بعده بوصيةٍ جامعة، كان في صدارتها: ((أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً أن تعرف لهم سابقتهم وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم))[4]، بل وجعل الأنصار هم مَن يحرسون سير العملية الانتخابية لاختيار الخليفة الجديدة، فقد طلب (ﷺ) أبا طلحة الأنصاري، وقال له : ((يا أبا طلحة إن الله عز وجل أعزّ الإسلام بكم فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم))[5] .

---

(1) انظر: الصلابي، عمر بن الخطاب (ص367).

(2) يقول ابن حجر: ((يشير إلى ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة، فإنهم بايعوا على أن يؤووا النبي (ﷺ) وينصروه على أن لهم الجنة، فوفوا بذلك))، انظر: النووي، فتح الباري (ج 121/7–122).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب قول النبي: اقبلوا من محسنهم، (ج34/5)، رقم الحديث (3799).

(4) الطبقات لابن سعد (ج339/3)، البيان والتبيين للجاحظ (ج46/2)، جمهرة خطب العرب (ج263/1–265)، الكامل في التاريخ (ج210/2)، الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني (ص ص171– 172).

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج225/5).

4. إلباس سراقة سواريّ كسرى:

اشتهر بين المسلمين قصة لحاق سراقة بن مالك بن جعشم (ﷺ) من بني مدلج بالنبي (ﷺ) وأبي بكر (ﷺ) وهما في طريقهما مُهاجِرَين ليمسك بهما؛ ويفوز بجائزة قريش، وهي مائة ناقة، واشتهر قول النبي لسراقة : ((ارجع يا سراقة ولك سواريّ كسرى))[1]، لكن المحققين يجمعون أن لحاق سراقة بالنبي وصاحبه صحيح[2]، لكنهم مختلفون في رواية وعد النبي له بسواري كسرى[3] لأن روايتها مرسلة عن الحسن بن أبي الحسن البصري، وهو مختلف في قوة مراسيله بين المحققين، حيث يضعفها الأغلب[4]، وصح لديهم أن عمر بن الخطاب ألبس سراقة السوارين حين وصلاه للمدينة من غنائم كسرى ابن هرمز إثر فتح المسلمين للمدائن، لكن سبب إلباس عمر لسراقة سواري كسرى اختُلف فيه، هل جاء قدراً أم جاء لوعد رسول الله له؟[5].

والذي جعل الباحثَ يُدرج هذا الحدث كأحد الأمور التي أنفذها الفاروق كوصية لرسول الله (ﷺ)، أن ابن كثير قال ((وحُكيَ أنَّ الشَّافِعِيَّ قال: وَإِنَّمَا أَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ لِسُرَاقَةَ وَنَظَرَ إِلَى ذِرَاعَيْهِ: كَأَنِّي بِكَ قَدْ لَبِسْتَ سُوَارَيْ كِسْرَى))[6] .

ثانياً: تنفيذ أوامر أبي بكر الصديق (ﷺ):

لقد أوصى أبوبكرٍ عمرَ قبيل وفاته وصيةً عظيمة، قال فيها: ((اتق الله ياعمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار...))[7]، وهذه الوصية كانت لا تفارق الفاروق لحظة، فقد كان (ﷺ)، لم يكن له وقت ينام فيه، فكان ينعس وهو جالس، فقيل

---

(1) لم يجد الباحث في كتاب الرحيق المختوم ولا كتاب تهذيب سيرة ابن هشام ولا كتاب السيرة (أبوفارس) أصلاً لهذه المقولة ولو تلميحاً!، لكن الثابت أنّ سراقة طلب من النبي كتاب أمان فأمر أبا بكر أن يكتبه له.

(2) انظر: البخاري: صحيح البخاري، رقم (3906)، والنووي، فتح الباري (ج7/ 338)، ومسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد/ باب في حديث الهجرة، رقم (75).

(3) انظر: ابن رجب، شرح علل الترمذي (ج536/1-538)، وانظر: ابن حجر، المطالب العالية (ج4/ 207).

(4) انظر: العلائي، جامع التحصيل في أحكام المراسيل (ص 91).

(5) انظر: الصلابي، السيرة النبوية (ج333/1-334).

(6) ابن كثير، البداية والنهاية (ج144/9).

(7) ابن الجوزي، صفة الصفوة، باب: أبي بكر الصديق (مج100/1).

له: يا أمير المؤمنين، ألا تنام؟ فقال: كيف أنام؟! إن نمت بالنهار، ضيّعتُ حقوق الناس، وإن نمتُ بالليل ضيّعتُ حظي من الله[1] .

وإنّ أول أمرٍ أنفذه عمر(رضي الله عنه) هو أن قَبِل مضطراً[2] أن يكون خليفة للمسلمين بعد أبي بكرٍ الصديق، حيث استشار الصديق العديد من الصحابة في مرض موته فيمن يحبون أن يُستخلف عليهم فأشار معظمهم إلى عمر بن الخطاب، حينها ((كلّف أبو بكر[3] عثمان (رضي الله عنه) بأن يتولى قراءة العهد على الناس وأخذ البيعة لعمر قبل موته بعد أن ختمه لمزيد من التوثيق والحرص على إمضاء الأمر، دون أي آثار سلبية، وقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم. فأقروا بذلك جميعاً ورضوا به))[4].

وحين طُعِن الفاروق (رضي الله عنه) وأدرك أنه ميت، جعل الخلافة في أحدِ سِتةٍ من الصحابة، واحتج بعمله هذا بأنه متبع لأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه أبي بكر (رضي الله عنه)، حيث قال: ((إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، يَعْنِي أَبَا بكْرٍ، وَإِنْ لَا أَسْتَخْلِفْ، فَلَمْ يَسْتَخْلِفْ مَنْ هُوَ خَيرٌ [مِنِّي]، يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ))[5].

وكان الفاروق أيضاً يعمل بسنة الرسول وصاحبه الصديق في الاستخلاف على المدينة[6]، فخلال غيابه عن المدينة كان يولي عليها من يقوم مقامه في إدارة شؤون المدينة المختلفة، فكان عمر أحيانا يولي على المدينة خلال بعض أسفاره أو حجه زيد بن ثابت (رضي الله عنه)[7]، كما ولى عمرُ عليَّ بن أبي طالب على المدينة عدة مرات أثناء غيابه [8].

---

(1) انظر: إحياء علوم الدين (ج350/1)، وانظر: ابن عبد الحكم في فتوح مصر(ص94).

(2) روى القلقشندي، صاحب كتاب مآثر الأناقة: أن أبا بكر بعدما عزم على استخلاف عمر في مرض موته، أخبر ((عمر بن الخطاب بخطواته القادمة فقد دخل عليه عمر فعرَفه أبو بكر بما عزم فأبى أن يقبل، فتهدده أبو بكر بالسيف فما كان أمام عمر إلا أن يقبل)) (ج49/1).

(3) عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: أفرس الناس ثلاثة؛ صاحبة موسى التي قالت: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، وصاحب يوسف حيث قال: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وأبو بكر حين استخلف عمر. (مجمع الزوائد (ج10/ 268) صحيح الإسناد).

(4) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج200/3).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأحكام/ باب الاستخلاف، (ج81/9): رقم الحديث (7218)، وانظر: الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص529).

(6) انظر: الصلابي، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ص340).

(7) العمري، الولاية على البلدان (ج68/1).

(8) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي (ج147/2).

المطلب الثالث: تقرير حدوث كرامات للمؤمنين الصادقين:

المؤمن يؤمن بأن هناك كرامات قد تحدث للعبد الصالح ولأولياء الله تعالى، يقول الإمام الطحاوي: ((وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ- أي الأولياء-، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ))[1]، وقال السفاريني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تعالى في منظومته:

وكل خارق أتى عند صالح	***	مـن تابـع لشـرعنا وناصـح
فإنها من الكرامـات التـي	***	بهـا نقـولُ فاقـفُ للأدِلّـة
ومن نفاها من ذوي الضلال	***	فقد أتـى فـي ذاك بالمحـال
فإنـها شهيـرة ولـم تـزل	***	في كل عصر يا شقا أهل الزلل[2]

ومن كلام السفاريني في منظومته يتضح لنا أنه وضع للكرامة ثلاثة قيود، وهي: أن تكون خارقة للعادة أي على غير ما جرت به العادة، وأن تكون قد وقعت على يد ولي من أولياء الله؛ والولي حددته الآيتان: ﴿**أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ**﴾ [يونس:62-63]، وأن تكون تكريماً له، وإظهاراً للحق الذي قام به[3] .

ويُعرّف الشيخ بن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- الكرامة بأنها: ((النعمة التي تحصل لهم -أي الأولياء- خرقاً للعادة، يعني خلاف العادة، هذه يقال لها كرامة، وهي تكون للأولياء وللرسل، وتسمى في حق الرسل معجزة، وفي حق الأولياء كرامة))[4]، وكان علماؤنا المتقدمون يرون أن الكرامة والمعجزة تأتي بمعنى واحد، حيث معناهما كُلُّ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ، لكن المتأخرين من العلماء جعلوا المعجزة للنبي والكرامة للولي، يقول شارح العقيدة الطحاوية : ((فالْمُعْجِزَةُ فِي اللُّغَةِ تَعُمُّ كُلَّ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ، وَ [كذلك الكرامة] فِي عُرْفِ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمُتَقَدِّمِينَ. وَلَكِنْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ يُفَرِّقُونَ فِي اللَّفْظِ بَيْنَهُمَا، فَيَجْعَلُونَ الْمُعْجِزَةَ لِلنَّبِيِّ، وَالْكَرَامَةَ لِلْوَلِيِّ. وَجِمَاعُهُمَا: الْأَمْرُ الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ))[5].

---

(1) الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (ص 553).

(2) السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج392/2).

(3) ابن عثيميين، شرح العقيدة السفارينية (ص ص640-641).

(4) الموقع الرسمي لسماحة الإمام بن باز (موقع إلكتروني).

(5) الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (ص 553).

وتكون الكرامة بحسب حاجة الإنسان لها، فقد تأتي لمن هو أقل درجة في الإيمان ولا تأتي لمن هو أعلى منه منزلة، فالكرامات انتشرت في التابعين أكثر من انتشارها في صحابة رسول الله (ﷺ)، ويوضح ابن تيمية سبب ذلك فيقول: ((ومما ينبغي أن يُعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها لضعف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوى إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية الله منه مستغنياً عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة))[1].

الكرامة ثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية:

يرى أهل السنة والجماعة أن الكرامة ثابتة بالكتاب والسنة، أما بالكتاب فإن الله عزوجل أثبتها لبعض عباده، قال الله تعالى: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[آل عمران:37] فأثبتها الله جلَّ وعلا في أَمَةٍ من إمائه.

وأما إثباتها في السنة، فإن النبي (ﷺ) بيّن أن الكرامة تأتي لعبد صالح قد أدى الفرائض، وانتهى عن المحرمات، وتمسك بالسنة، كما جاء عن أنس الصادق الذي صدق الله ما وعد، فعن أنس((أَنَّ الرُّبَيِّعَ وَهِيَ ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا الأَرْشَ[2]، وَطَلَبُوا العَفْوَ، فَأَبَوْا، فَأَتَوُا النَّبِيَّ (ﷺ)، فَأَمَرَهُمْ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ[3]، لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقَالَ : "يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ"، فَرَضِيَ القَوْمُ وَعَفَوْا، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): "إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ"))[4]، وقال (ﷺ): ((رُبّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره))[5]،

---

(1) ابن تيمية، الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص69).

(2) (الأَرْشَ) هي: دية الجراحة، وجمعها أروش، وأصله الفساد، انظر: المصباح المنير (ص 13).

(3) أقسم ثقة بأن الله سيبر بقسمه، وليس اعتراضاً على رسول الله، وكان ظنه في الله كما كان، فعفا أهل الجارية عن أخته الربيع.

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلح/ باب الصلح في الديّة، (ج187/3): رقم الحديث (2703)، وروى مسلم في صحيحه نحوه برقم (1675).

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلة والبر/ باب فضل الضعفاء والخاملين، (ج2024/4): رقم الحديث (2622).

ومن الكرامات: أن يرفع يده، وما ينزل يده إلا ويستجاب له في الحال، كما حدث مع البراء بن مالك رضي الله عنه وأرضاه.(1)

من كرامات المؤمنين في عصر الفاروق (رضي الله عنه) :

❖ كرامة أويس بن عامر اليمني المرادي القرني (رضي الله عنه): فعن أسير بن جابر قال: ((كان عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن(2) سألهم: أفيكم أويسُ بنُ عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنتَ أُوَيس بنُ عامر؟ قال: نعم، قال: مِن مُراد ثم من قَرَن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأتَ منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدة؟ قال: نعم، قال: سمعتُ رسول الله (ﷺ) يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر، مع أمداد أهل اليمن، مِن مُراد ثمَّ مِن قرن، كان به برص فبَرَأَ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم على الله لأبرَّه، فإن استطعت أن يستغفر لك، فافعل"، فاستغفِرْ لي، فاستغفَرَ له))(3).

❖ ومن هذه الكرامات ما أورده ابن الجوزي في مناقب عمر أنه رأى رجلاً له ابنٌ على عاتقه فقال عمر: ما رأيت غراباً بغرابٍ أشبه من هذا بهذا، فأخبره الرجل أن أمه ولدته وهي ميتة، فاستغرب عمر، وقص عليه الحدث، فقال: ((خرجت في غزاة وأمه حامل به فقالت: تخرج وتدعني على هذا الحال حاملاً مثقلاً، قلت: أستودع الله ما في بطنك، قال: فغبت ثم قدمت فإذا بابي مغلق قلت فلانة، قالوا: ماتت، فذهبت إلى قبرها أبكي فلما كان من الليل قعدت مع بني عمي أتحدث وليس يسترنا من البقيع شيء فرفعت لي نار بين القبور، فقلت لبني عمي: ما هذه النار؟ فتفرقوا عني فأتيت أقربهم مني فسألته فقال: نرى على قبر فلانة كل ليلة ناراً فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله إن كانت لصوامة قوامة عفيفة مسلمة،

---

(1) عن أنس مرفوعا، قال: ((كم من ضعيف متضعف ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبره، منهم: البراء بن مالك))، وإن البراء لقي المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء! إن رسول الله (ﷺ) قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فأقسم على ربك، قال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وذكر الحديث. (الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج125/3))، وانظر: (الترمذي: سنن الترمذي، كتاب المناقب / باب مناقب البراء بن مالك (ج692/5): رقم الحديث (3854)، وصححه الألباني).

(2) هم الجماعة الغزاة الذين يمدُّون جيوش الإسلام في الغزو، واحدهم مدد؛ انظر: شرح صحيح مسلم؛ للنووي (ج4/ 1945).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل أويس القرني، (ج4 / 1969): رقم الحديث (2542)، وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ص508)، رواه بسنده وصولاً لأسير بن جابر، وللقصة بقية.

انطلق بنا فأخذت فأساً فإذا القبر منفرج وهي جالسة وهذا يدب حولها، وناداني مناد من السماء: أيها المستودع ربه وديعته خذ وديعتك أما لو استودعت أمه لوجدتها، فأخذته وعاد القبر كما كان فهو والله هذا يا أمير المؤمنين))[1]، فسكوت عمر (ﷺ) وسماعه للقصة دلالة على إقراره بهذه الكرامة لهذا المؤمن.

من كرامات الفاروق (ﷺ) نفسه:

والباحث في أمور الصحابة يرى أن عمر بن الخطاب (ﷺ) كان من أكثرهم شُهرةً فيما أجرى الله له من كرامات، وأعلى هذه الكرامات موافقة القرآن الكريم له في العديد من المواضع[2]، وهذا ليس مستغرباً بل موافقاً لقول رسول الله: ((قَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ))[3]. قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: تَفْسِيرُ "مُحَدَّثُونَ": مُلْهَمُونَ[4]، وقد ثبت أنّ علي بن أبي طالب قال: ((كنا نحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه))[5]، وصح أن عبد الله بن عمر قال: ((ما سمعت عمر يقول لشيء قط: إني لأظن كذا وكذا إلا كان كما يظن))[6]، ومن كراماته:

أ- أنه دخل عليه يوماً نفرٌ من مذحج فيهم الأشتر[7] النخعي، فصعّد فيه البصر وصوبه وقال: أيهم هذا؟ قالوا: مالك بن الحارث، فقال: ما له قاتله الله؟ إني لأرى للمسلمين منه

---

(1) انظر: ابن الجوزي، مناقب عمر (ص66)، ومحض الصواب (ص 325)، وابن أبي الدنيا في القبور رقم: (135)، قال طارق محمد العمودي محقق كتاب القبور: الحكاية في درجة القبول.

(2) انظر: التمهيد / المبحث الأول/ المطلب الثاني.

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل عمر بن الخطاب، (ج1864/4): رقم الحديث (2398).

(4) الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (ص 533).

(5) اللالكائي، كرامات أولياء الله (ص118)، قال المحقق رجاله ثقات.

(6) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب إسلام عمر بن الخطاب، (ص946): رقم الحديث (3866).

(7) يقول الذهبي : (الأشتر) هو ملك العرب مالك بن الحارث النخعي أحد الأشراف والأبطال المذكورين، حدّثَ عن عمر وخالد بن الوليد وفقئت عينه يوم اليرموك، وكان شهماً مطاعاً زَعِراً – أي شرس سيء الخلق- ألب على عثمان وقاتله وكان ذا فصاحةٍ وبلاغة، شهد صفين مع علي وتميز يومئذ، وكاد أن يهزم معاوية، فحمل عليه أصحاب عليّ لما رأوا مصحف جند الشام على الأسنة يدعون إلى كتاب الله وما أمكنه مخالفة علي فكف، ولما رجع علي من موقعة صفين جهز الأشتر واليا على ديار مصر فمات في الطريق مسموما فقيل: إن عبداً لعثمان عارضه فسم له عسلاً، وقد كان عليّ يتبرم به، لأنه صعب=

يوماً عصيباً[1]، وتحقق ما ذهب إليه الفاروق حيث كان الأشتر النخغي من المناوئين لعثمان (ﷺ) ومن المشاركين في حصاره، ولم يباشر قتله، فكان للمسلمين منه يوماً عصيباً كما قال الفاروق ثم مات مقتولاً، ولعلها من دعوة الفاروق عليه أيضاً.

ب- أنه لما استعرض الجيوش للجهاد سنة (14هـ) مرت أمامه قبائل السكون اليمنية مع أول كندة يتقدمهم حصين بن نمير السكوني ومعاوية بن حديج أحد الصحابة الذين فتحوا مصر، ثم كان أحد ولاتها، فاعترضهم عمر، فإذا فيهم فتية دُلَمٍ سِبَاطٍ، فأعرض عنهم ثم أعرض ثم أعرض، حتى قيل له: مالك ولهؤلاء؟ فقال: إني عنهم لمتردد، وما مر بي قوم من العرب أكره إليَّ منهم، فكان منهم سودان بن حمران وخالد بن ملحم، وكلاهما من البغاة على عثمان (ﷺ) [2].

ج- أرسل سارية بن زُنَيم الدئلي إلى المدينتين الفارسيتين (فَسَا ودارا بجرد)، فاجتمع له جموع من الفرس والأكراد عظيمة، ودهم المسلمين منهم أمر عظيم، رأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في وقت من النهار، وأنهم في صحراء، وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد، فنادى في الغد الصلاة جامعة، حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنهم اجتمعوا فيها خرج إلى الناس وصعد المنبر، فخطب الناس، وأخبرهم بصفة ما رأى، ثم قال: يا سارية الجبل، ثم أقبل عليهم وقال: إن لله جنوداً ولعل بعضها أن يبلغهم، قال: ففعلوا ما قال عمر. فنصرهم الله على عدوهم، وفتحوا البلد[3]

=المراس فلما بلغه نعيه قال: إنا لله مالك وما مالك وهل موجود مثل ذلك لو كان حديدا لكان قيداً، ولو كان حجرًا لكان صلدًا، على مثله فلتبكِ البواكي، و وسُرَّ بهلاكه عمرو بن العاص وقال: إن لله جنوداً من عسل. (الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج528/4)).

(1) الروح، ابن القيم (ص ص 532-537)، وانظر: هذه الأمثلة وغيرها كثير في: الطرق الحُكمية لابن القيم (ص 33) وما بعدها.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج86/4)، وفي إسناده رجلٌ مجهول. (قال الطبري: كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن سوقة، عن رجل، قال: مرت....)

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج168/5، 169)، وأخرجها اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (2537)، وحسن الشيخ الألباني اسنادها في حاشيته على مشكاة المصابيح (1678/3) رقم (5954)، انظر: تهذيب البداية والنهاية (ص)170)، وانظر السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص ص98-99).

د- أنه قال: ((إن من ولدي[1] رجلاً، بوجهه شتر[2] ، يملأ الأرض عدلاً))[3]، فكان من نسله عمر بن عبد العزيز حيث كان عمر الفاروق حفيد أمه من نسل ولده عاصم.

المطلب الرابع: تقرير وجوب الإمامة في الإسلام وتحريم الفُرقة:-

إن وجود خليفة للمسلمين وإمامٍ لهم، لهو من أعظم ركائز الدين وأجلها، فكان الخلفاء الراشدون إذا شعروا بدنو أجلهم اجتهدوا في أن يختاروا للمسلمين أفضلهم وأصلحهم، وبذلك يقررون على أن وجود إمام للمسلمين هو أمرٌ واجب، فقد خطب عمر يوم الجمعة، فقال: ((إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دِيكًا نَقَرَنِي ثَلَاثَ نَقَرَاتٍ، وَإِنِّي لَا أُرَاهُ إِلَّا حُضُورَ أَجَلِي، وَإِنَّ أَقْوَامًا يَأْمُرُونَنِي أَنْ أَسْتَخْلِفَ، وَإِنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ لِيُضَيِّعَ دِينَهُ، وَلَا خِلَافَتَهُ، وَلَا الَّذِي بَعَثَ بِهِ نَبِيَّهُ (ﷺ)، فَإِنْ عَجِلَ بِي أَمْرٌ، فَالْخِلَافَةُ شُورَى بَيْنَ هَؤُلَاءِ السِّتَّةِ، الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ))[4].

وحينما جاءته المنية بعدما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي، وأدرك الناس أن أجله اقترب ((قيل له: أوصِ يا أمير المؤمنين واستخلف، قال: ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راضٍ فسمى الستة[5]، وقال: يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء...))[6]

أما طريقة اختيار الإمام فقد قرر الفاروق أنها تكون كما فعل رسول الله أو كما فعل صاحبه الصديق (رضي الله عنه)، فقد روى ابنه عبد الله أنه قيل لأبيه عمر: ((ألا تستخلف؟ فقال: إن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله (ﷺ) وإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر (رضي الله عنه)))[7].

---

(1) أم عمر بن عبد العزيز هي: أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

(2) (الشتر) انقلاب في جفن العين، انظر: المصباح المنير (ص183).

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء (ص762)، وقد روى الذهبي أيضاً أن عمر قال: ((يا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر يملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب نهى من أكل ثوماً أو بصلاً، (ج1/396): رقم الحديث (567).

(5) وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن ابي طالب، وسعد بن أبي وقاس، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام (رضي الله عنهم). السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص56)،

(6) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص105).

(7) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عمر بن الخطاب، (ج1/383): رقم الحديث (299)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

مما سبق يتضح لنا أمران مهمان:

الأول: أن عمر (رضي الله عنه) حاول أن يجمع بين هدي رسول الله (ﷺ) وهدي أبي بكر (رضي الله عنه) في طريقة اختيار الخليفة، فرسول الله تُوفي ولم يوصِ بالخلافة لأحد قولاً مباشراً وإن كانت أفعاله في حياته كانت تُشير إلى أنّ أبا بكر خليفته، وأبوبكر استخلف على الناس عمر من بعده بعد مشاورة العديد من أهل المشورة، فمزج عمر (رضي الله عنه) بين الطريقتين، وهذا فيه وفاءٌ للرسول وأبي بكر سوياً، وفيه دلالة على إدراك عمر (رضي الله عنه) لمتغيرات المجتمع في المدينة والدولة الإسلامية، ودلالة على أن أجيال المسلمين المتعاقبة يجب أن لا تنسى فضل أهل السبق في الإسلام، لأن من المسلمين من وُلدَ في آخر عهد رسول الله (ﷺ) وأصبح مكلفاً، ومنهم من دخل في الإسلام بعد وفاة رسول الله (ﷺ).

الثاني: أن مسألة وجود إمام واحد للمسلمين يُعتبر عند الفاروق والصحابة من أهم واجبات الدين، وكيف لا ((وقد جعلها رسول الله (ﷺ) عروة من عرى الأسلام تساوي في فرضيتها، أحد أركان الإسلام الخمسة))[1]، فالحُكم أعلى عُرى الإسلام، وبانتقاضها تُهددُ بقية العرى، فعن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال: ((لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة))[2].

ولا يستقيم الحكم إلا بوجود إمامٍ عادل واحد يجمع المسلمين ويمنع فرقتهم، وهذا كان هَمَّ الفاروق، فقد جعل صهيباً الرومي[3] يُصلي بالناس حتى ينتهوا من اختيار إمامٍ لهم، وطلب منه إن عارض أحدٌ اختيارَهم وإجماعَهم أن يضربوا رأسه[4] .

---

(1) إسماعيل، منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم (ص291).

(2) أحمد: مسند أحمد، تتمة مسند الأنصار/ باب حديث أبي أمامة الباهلي، (ج485/36): رقم الحديث (22160)، قال محققو المسند: إسناده جيد، وأخرجه الهيثمي في المجمع، كتاب الفتن/ باب نقض الإسلام (ج218/7)، قال رواه الطبراني وأحمد ورجالهما رجال الصحيح.

(3) قال ابن عساكر وهو يروي طعن عمر (رضي الله عنه): "... ثم قال: ادعوا لي صهيباً، فقال: صلِّ بالناس ثلاثاً، وليجتمع هؤلاء القوم، وليخلوا هؤلاء الرهط، فإن اجتمعوا على رجل فاضربوا رأس من خالفهم" (تاريخ دمشق(191/39))، وقال: رواه الإمام أبو بكر الخلال بإسناد صحيح، من طريق عمرو بن ميمون.

(4) هناك روايات موضوعة تدعي أن عمر (رضي الله عنه) طلب من بلال أن يقتل الصحابة الستة إن مضت ثلاث ليالٍ ولم يختاروا منهم خليفة، وهذه روايات باطلة ومدسوسة، ومن ذلك رواية للطبري في تاريخه (ج4/ 227) عن لوط بن مخنف أبي مخنف وهوشيعي جلد رافضي كذاب. وهناك رواية أخرى عند ابن سعد في طبقاته وهي منقطعة، فقد رواها سماك بن حرب الذهلي البكري صَدُوقٌ وَقَدْ تَغَيَّرَ بِأَخِرَةَ فَكَانَ رُبَّمَا تَلَقَّنَ (انظر: تقريب التهذيب ت 2624، وانظر مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري (ص 175)).

يقول ابن تيمية: ((ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس))[1].

وسأعرض للمسألة بالتفصيل في الفصل الخامس إن شاء الله.

(1) ابن تيمية، السياسة الشرعية (ص81).

المبحث الثاني:
منهج عمر بن الخطاب (ﷺ) في تقرير العقيدة

المطلب الأول: محافظته على مصادر العقيدة

لقد اختط الفاروق لنفسه منهجاً لحفظ عقيدة المسلمين، وهذا المنهج هو حفظ مصدريّ العقيدة الثابتين وهما: كتاب الله وسنة نبيه الثابتة عنه (ﷺ)[1] ، بل جعل الهدف الأول من استعماله لعماله على الناس تعليمهم كتاب الله وسنة رسوله، فقد خاطب الناس قائلاً عن عماله: ((إني لم أستعملهم عليكم أن يضربوا أبشاركم، ويشتموا أعراضكم، ويأكلوا أموالكم، ولكن استعملتهم ليعلموكم كتاب ربكم، وسنة نبيكم (ﷺ)))[2].

وكان – أيضاً– يوصي المسلمين بأن يتهموا الرأي في الدين، ولا يقدموا الرأي على الدين، فقال مخاطباً إياهم : ((اتَّهِمُوا الرَّأْيَ في الدِّينِ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي يَوْمَ أبي جَنْدَلٍ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ الله (ﷺ) بِرَأْيِي، فَأَجْتَهِدُ وَلَا آلُو، وَذَلِكَ يَوْمُ أبي جَنْدَلٍ، وَالْكِتَابُ يُكْتُبُ، وَقَالَ: " اكْتُبْ (بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) "، قَالَ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فرضي رَسُولُ الله (ﷺ) وَكَتَبَ وَأَبَيْتُ، فَقَالَ: " يَا عُمَرُ تَرَانِي قَدْ رَضِيتُ وَتَأْبَى))[3].

وسأحاول التعرف على آليات حفظه للقرآن والسنة النبوية بين المسلمين.

أولاً: حفظه للقرآن الكريم: –

إن تصرفات الفاروق وأعماله وهو خليفة للمسلمين توضح وبشكل جلي، أن محافظته على القرآن كان أبرز سمات حكمه، فقد كان يقول لولاته: ((إنا لا نوليكم على أشعار المسلمين ولا على أبشارهم، وإنما نوليكم لتقيموا الصلاة وتعلموهم العلم والقرآن))[4]، وهذه المحافظة أخذت صوراً عدة، فكانت من خلال:

---

(1) انظر: الفصل الأول/ المبحث الثاني / المطلب الثاني / التمهيد (ص62).

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى (ج3/280–281)، قال محقق محض الصواب: إسناده صحيح، محض الصواب (ج1/ 383).

(3) الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (ص414).

(4) الماوردي، نصيحة الملوك (ص72).

1. **تعظيم القرآن الكريم:-**

يمكن تلخيص مدى حجم إدراك الفاروق وفهمه لعظم القرآن الكريم من خلال قوله: ((أما إن نبيكم (ﷺ) قال إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً[(1)] ويخفض به آخرين))[(2)]، ولعل هذا الفهم الشامل الكامل هو الذي جعله يعدل عن كتابة السُنن، خشية من أن يُقبِلَ عليها الناس ويتركوا كتاب الله، وكان من أجْلِ كتابتها ((استخار الله شهراً، فأصبح وقد عزم له، ثم قال: إني ذكرت قوماً-يقصد أهل الكتاب- كانوا قبلكم كتبوا كتاباً، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله))[(3)].

وكان من شدة تعظيمه لكتاب الله تعالى، أنه كان يترك من قراءة أُبي بن كعب للقرآن بالرغم من علمه أن أُبياً هو أقرأ الصحابة، لأن أُبياً كان يقول: لم يُنسخ شيء من القرآن[(4)] ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ((قَالَ عُمَرُ (رضي الله عنه): " أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ، وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ، وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ قَوْلِ أُبَيٍّ، وَذَاكَ أَنَّ أُبَيًّا يَقُولُ: لاَ أَدَعُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)"، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ**﴾[البقرة: 106]))[(5)].

ومن مظاهر هيبة القرآن في نفسه وتعظيمه له أنه كان إذا غضب وذكّره إنسان بالله أو قرأ عنده بآية من القرآن ذهب عنه غضبه، فقد قال عبد الله بن عمر: ((ما رأيت عمر غضب قط فذُكِر الله عنده أو خوف أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا وقف عما كان يريد))[(6)].

وأدخل الْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ عمه عيينة بن حصن بن حذيفة على الخليفة الفاروق، فقال له: ((هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ (ﷺ): ﴿**خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ**﴾، وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ

---

(1) وقد روى الذهبي أن عمر بن الخطاب قال: "ابن أبزى – وهو عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي- مِمَن رفعهم الله بالقرآن"، سير أعلام النبلاء(ج201/2).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب المسافرين/ باب فضل من يقوم بالقرآن، (ج559/1) رقم الحديث (817).

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص108)، وانظر: ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ص 111).

(4) انظر : جامع السنة وشروحها (موقع إلكتروني)

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قول: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾، (ج19/6): رقم الحديث (4481).

(6) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 101).

وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ))[1]، وأكد ذلك بلال (ﷺ) حين سأل سالم مولى عمر: ((كيف تجدون عمر؟ فقال: خير الناس، إلا أنه إذا غضب فهو أمر عظيم، فقال بلال (ﷺ): لو كنت عنده إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه))[2].

وكان من ملامح تعظيمه للقرآن تقريبه الْقُرَّاءَ في مجالسه، وتعيينه أفهمهم للقرآن في إدارة شئوون الدولة، فها هو ابن عباس يذكر لنا أن ((الْقُرَّاءَ أَصْحَابُ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا))[3]، وها هو عمر يسمع النبي (ﷺ) يتلو يوماً: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**﴾[محمد:24]، فإذا شابٌ من أهل اليمن يسمع، فلما انتهى رسول الله قال الشابُّ: "بل عليها أقفالها حتى يفتحها الله" فما زال الشابُّ في نفس عمر حتى تولى الخلافة فاستعان به[4].

ثم يأتيه الخبر أن أبا موسى الأشعري يدخل عليهم الجمع الغفير من الناس فيساويهم في المجلس وكان أميراً للكوفة، فأرسل إليه: ((بلغني أنك تأذن للناس جماً غفيراً –أي جميعاً الوضيع والشريف–، فإذا جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف وأهل القرآن والتقوى والدين، فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة))[5].

2. استحضار آيات القرآن الكريم وإنزالها على أرض الواقع:-

كان الفاروق (ﷺ) دائمَ استذكاره لآيات القرآن، وكان يستشهد بها ويسترشد، لأنه يعلم أن القرآن أنزله الله تعالى ليكون لنا إماماً وهادياً للتي هي أقوم[6] ﴿**إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ**﴾[الإسراء:9]، فقد جاءه يوماً أموال فتح مدينة (جلولاء) فنظر إليها ثم قرأ الآية ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ**﴾[آل عمران:14]

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله تعالى: خذ العفو وأمر بالعرف، (ج6/60): رقم الحديث (4642)، وللحديث بقية.

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء، (ص 101)

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله تعالى: خذ العفو وأمر بالعرف، (ج6/60): رقم الحديث (4642).

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4/ 181).

(5) العقاد، عبقرية عمر (ص111).

(6) انظر: مدوخ، من التدبر السياسي للقرآن الكريم (ص ص 39-40).

وقال: ((اللهم لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا، اللهم فاجعلني أنفقه في حقه وأعوذ بك من شره))(1).

وحين بلغه (رضي الله عنه) أن أبا عبيدة حُوصر بالشام، ونال منه العدو، كتب إليه: ((أما بعد، فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة، إلا جعل الله بعدها فرجاً، وإنه لا يغلب عسرٌ يسرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران:200]، فكتب إليه أبو عبيدة : أما بعد، فإن الله يقول: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[الحديد:20]، فخرج عمر بكتابه، فقرأه على المنبر فقال: يا أهل المدينة، إِنَّمَا يُعَرِّضُ بِكُم أَبُوعُبَيْدَةَ أَوْ بِي،ارْغَبُوا فِي الجِهَادِ))(2).

3. تدبر آيات القرآن الكريم: -

لقد اشتهر عمر (رضي الله عنه) بتدبره بالقرآن بعمقٍ كبير، وكان يُشغلُ نفسه دائماً بكتاب الله وبمدلولاته، ومن صور عمق تدبره للقرآن الكريم:

أ. تدبره الآية (12) من سورة الإسراء، فعدل عند تدبرها عن تولية أحد عُمّاله القضاء، فقد ذكر الإمام السيوطي في تفسيره أن ((قاضياً من قضاة الشام، أتى عمر (رضي الله عنه) فقال: يا أمير المؤمنين رأيت رؤيا أفظعتني، قال: وما رأيت؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان، والنجوم معهما نصفين. قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس. قال عمر (رضي الله عنه): ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء:12] فانطلِق، فوالله لا تعمل لي عملاً أبداً، قال عطاء (رضي الله عنه): فبلغني أنه قُتل مع معاوية يوم صفين))(3).

(1) العمري، عصر الخلافة الراشدة (ص217)، والأثر حسن.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (ج16/1)، عن ابن المبارك في " الجهاد " له: عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال شُعيب الأرناؤوط: إسناده قوي، ورجاله ثقات.

(3) السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور (ج249/5)، نقلاً عن مصنف ابن أبي شيبة (ج180/6): رقم الحديث (30505)

ب. استنباطه من الآية (51) من سورة المائدة أن الله قد أهان اليهود والنصارى، ومن أهانه الله لا ينبغي أن يعزهم المسلم، ولا أن يؤمّنوا وقد خونهم الله، ((فعَنْ أَبِي مُوسَى (رضي الله عنه)): أَنَّ عُمَرَ (رضي الله عنه) أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى فِي أَدِيمٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ لِأَبِي مُوسَى كَاتِبٌ نَصْرَانِيٌّ ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَعَجِبَ عُمَرُ (رضي الله عنه)، وَقَالَ: " إِنَّ هَذَا لَحَافِظٌ " وَقَالَ: "إِنَّ لَنَا كِتَابًا فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ جَاءَ مِنَ الشَّامِ فَادْعُهُ فَلْيَقْرَأْ "، قَالَ: أَبُو مُوسَى: إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ عُمَرُ (رضي الله عنه): " أَجُنُبٌ هُوَ؟ "، قَالَ: لَا، بَلْ نَصْرَانِيٌّ قَالَ: فَانْتَهَرَنِي، وَضَرَبَ فَخِذِي، وَقَالَ: "أَخْرِجْهُ"، وَقَرَأَ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المائدة:51]"، قَالَ أَبُو مُوسَى: وَاللهِ مَا تَوَلَّيْتُهُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْتُبُ قَالَ: أَمَا وَجَدْتَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ مَنْ يَكْتُبُ لَكَ؟ لَا تُدْنِهِمْ إِذْ أَقْصَاهُمُ اللهُ، وَلَا تَأْمَنْهُمْ إِذْ خَوَّنَهُمُ اللهُ، وَلَا تُعِزَّهُمْ بَعْدَ إِذْ أَذَلَّهُمُ اللهُ، فَأَخْرِجْهُ))[1].

ت. لقد تدبر أول آيات سورة غافر، وكان من ثمرات هذا التدبر أنه كان سبباً في توبة أحد أعيان الشام من شرب الخمر، فقد روى القرطبي أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ((افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام؛ فقيل له: تتابع في هذا الشراب؛ فقال عمر لكاتبه: اكتب من عمر إلى فلان، سلام عليك، وأنا أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[غافر:1-3] ثم ختم الكتاب وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً، ثم أمر مَن عنده بالدعاء له بالتوبة، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي، وحذّرني عقابه، فلم يبرح يردّدها حتى بكى ثم نزع، فأحسن النزع وحسنت توبته، فلما بلغ عمر أمرُه قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحدكم زلّ زلّة فسدّدوه، وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه))[2].

(1) البيهقي: السنن الكبرى، باب: بَابُ لَا يَنْبَغِي لِلْقَاضِي وَلَا لِلْوَالِي أَنْ يَتَّخِذَ كَاتِبًا ذِمِّيًّا، (ج216/10): رقم الحديث (20409)، قال الألباني: هذا إسنادٌ حسن (إرواء الغليل (ج256/8)).

(2) الأصبهاني، حلية الأولياء (ج79/4)، قال ابن كثير في كتاب مسند الفاروق، باب الحدود (ج517/2): إسناده جيد وفيه انقطاع.

ث. تدبره في آيات من سورة الحشر[1] : ولعل أبرز قضية اشتهرت عنه في تدبر الآيات هو حسن ربطه بين آيات سورة الحشر (من الآية السادسة حتى العاشرة) واستنباطه حكماً مغايراً لما كان معمولاً به من قبل، لاختلاف الأزمان والأحوال.

فقد استشار (ﷺ) الناس فِي السواد حين افتُتِح، فرأى عامتهم أن يقسمه، وكان بلال بن رباح (ﷺ) من أشدهم فِي ذلك، وكان رأي عمر (ﷺ) أن يتركه ولا يقسمه، فقَالَ: اللهم اكفني بلالاً وأصحابه" ومكثوا فِي ذلك يومين أو ثلاثة أو دون ذلك، ثم قَالَ عمر (ﷺ): إني قد وجدت حُجّة، قَالَ الله تعالى فِي كتابه: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ حَتَّى فرغ من شأن بني النضير فهذه عامة فِي القرى كلها، ثُمَّ قَالَ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾، ثم قَالَ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، ثم لم يرضَ حَتَّى خلط بهم غيرهم، فقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، فهذا فيما بلغنا -والله أعلم- للأنصار خاصة. ثم لم يرض حَتَّى خلط بهم غيرهم فقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[2] فكانت هذه عامة لمن جَاءَ من بعدهم، فقد صار هذا الفيء بين هؤلاء جميعاً فكيف نقسمه لهؤلاء وندع من تخلف بعدهم بغير قسم؟، فأُجمِعَ عَلَى تركه وجمع خراجه [3].

4. حفظُ تفسير القرآن الكريم من الزلل:

إن التفسير المذموم لآيات القرآن الكريم كان له أسوأ الأثر على معتقدات المسلمين،

---

(1) وهذا التدبر أخذ بنتائجه العلماء من بعده ممن كتبوا في السياسة الشرعية كأبي يوسف (صاحب أبي حنيفة) في كتابه الخراج، انظر: (ص ص23-25)، وكالإمام ابن تيمية في كتابه السياسة الشرعية، انظر: (ص ص46-47).

(2) الآيات من سورة الحشر الآية (5-10).

(3) انظر: أبو يوسف، كتاب الخراج (ص67).

حيث فسر بعضهم الآيات على غير هداها، فانحرف بذلك عقائد كثير من المسلمين واشتهر بذلك معظم الفرق الشيعية!

والتفسير المذموم، هو: ((ما خالف أصحابُه أصولاً وشروطاً متفقاً على ثباتها في التفسير، فهو يجافي قوانين العربية، أو لا يتفق مع الأدلة الشرعية، وقواعد الشريعة في البيان والأحكام، أو يكون مخالفاً للنص، ومعارضاً لدليلٍ صحيح، فمن ذلك أن يفسر القرآن بمجرد خاطر يخطر له دون استناد إلى نظر في أدلة اللغة العربية، ومقاصد الشريعة... ومن دون معرفة لأساليب الاستنباط منه كدلالات الألفاظ على معانيها...))(1).

ومن أمثلة التفسير المذموم بعض ما ذهب إليه المتصوفة كابن عربي وغيره، فهو يحمل النصوص على غير ظاهرها، ويغرق في التأويلات الباطنية البعيدة، ويجر إلى متاهات الإلحاد والزيغ، وقريباً منه كذلك التفسير الإشاري غير المنضبط بضوابط التفسير الصحيحة(2) .

ولقد ذُكر في هذا البحث أن طائفة من الناس وقعوا في هذا النوع المذموم من تفسير القرآن في عهد عمر، فقد شربوا الخمر بعد تحريمها، وتأولوا – أي فسروا– الآية (93) من سورة المائدة بما يستهوي عقولهم ولخاطر خطر بهم دون فهم دلالات الألفاظ، فلما سمع عمر بذلك واستشار عليّ بن أبي طالب، اتفقا وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جُلدوا، وإن أصروا على استحلالها قُتلوا(3).

5. تفسير بعض آيات القرآن الكريم:

كان الفاروق يسأل المسلمين عن معنى بعض الآيات، ليعلمهم ويبصرهم بها كما سمعها من النبي (ﷺ)، ونشر معاني القرآن بين المسلمين يُعتبر من أهم عوامل الحفاظ على القرآن الكريم ليكون المرتكز الأهم في حياة الناس.

ومن الأمثلة التوضيحيه لمعنى بعض آيات القرآن الكريم، أنه سأل أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: ((فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ: ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ**﴾[البقرة :266]؟ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ، فقالَ: قُولُوا: نَعْلَمُ، أَوْ لَا نَعْلَمُ، فقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي منها شَيْءٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قالَ عُمَرُ: يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلَا تَحْقِرْ نَفْسَكَ، قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قالَ

---

(1) يعقوب، أسباب الخطأ في التفسير (ج7/1) .

(2) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص ص 346–349).

(3) انظر: الفصل الثاني (ص 89).

عُمَرُ: أَيُّ عَمَلٍ؟ قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ. قالَ عُمَرُ: لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجلَّ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ))(1).

وسُئِلَ (رضي الله عنه) عَنْ آية (172) من سورة الأعراف، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ: ((إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال رسول الله (ﷺ): إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله الله الجنة. وإذا خلق الله العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله الله النار))(2)

ووضح المراد من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[المائدة:96]، فقال: ((صيده ما اصطيد، وطعامه ما رمى به))(3)، ووضح معنى كلمة الجبت التي وردت في (آية 51) من سورة النساء، فقال: الْجِبْتُ السِّحْرُ(4) .

6. تغيير القرار بما يوافق القرآن الكريم: -

وكان (رضي الله عنه) إذا قرر أمراً وظهر له مخالفته للقرآن الكريم رجع عنه، أياً كان مُذكِّره، وأياً كانت طبيعة القرار، فذات يوم أراد أن يحدد سقفاً أعلى للمهور، فوقف يخطب فقال: ((لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي القصة -يعني يزيد بن الحصين- فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة معترضة على ذلك: ما ذاك لك قال: ولم؟ قالت:

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير/ باب قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾، (ج31/6): رقم الحديث (4538).

(2) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة الأعراف (ج266/5): رقم الحديث (3075)، قال: حديث حسن، وضعفه الألباني بهذا الإسناد، ولكن ذكره أبو داود في سننه (4703) وسكت عنه أبو داود، لكن قال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)): صحيح.

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد/ باب ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ﴾، (ج89/7): رقم الحديث (5492).

(4) انظر: الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص 565).

لأن الله تعالى قال: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[النساء:20]، فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ))[(1)]

ثانياً: حفظه (ﷺ) السُنة النبوية: -

المتتبع لسيرة الفاروق عمر يظهر له جلياً حرصه ((على حفظ الدين على أصوله الصحيحة التي نزلت على رسول الله، -حيث- كان يعمل جاهداً للقضاء على البدع والعمل على احترام دين الله وإحياء سنة رسول الله))[(2)]، وحرصه هذا ظهر من خلال المنهج الذي خطه لنفسه في ذلك، حيث اعتمد منهجه في حفظ السنة النبوية على دعائم واضحة، هي:

1. **الرواية عن رسول الله (ﷺ): -**

روىِ عن رسول الله (ﷺ) خمسمائة وتسعةً وثلاثين حديثاً، وروى عنه كبار الصحابة على رأسهم عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب[(3)] .

2. **توضيح معنى الأحاديث النبوية: -**

وقام الفاروق بحفظ السنة بأن وضح مقصود رسول الله من بعض ما روي عنه (ﷺ)، فها هو يسمع أبا هريرة يقول: إن رسول الله (ﷺ) قال: " تظهر الفتن ويكثر الهرج ويرفع العلم"،

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج213/2) عزاه للزبير بن بكار وفيه انقطاع، أخرجه أبو حاتم في مسنده والبيهقي في السنن وقال مرسل جيد، وعلق ابن تيمية على هذه الحادثة بقوله: ((هذه القصة دليل على كمال فضل عمر ودينه وتقواه ورجوعه إلى الحق إذا تبين له، وأنه يقبل الحق حتى من امرأة، ويتواضع له، وأنه معترف بفضل الواحد عليه ولو في أدنى مسألة، وليس من شرطِ الأفضل أن لا ينبهه المفضول لأمرٍ من الأمور، فقد قال الهدهد لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ [النمل:22]، وقد قال موسى للخضر: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف:66]، والفرق بين موسى والخضر أعظم من الفرق بين عمر وبين أشباهه من الصحابة، ولم يكن هذا بالذي أوجب أن يكون الخضر قريباً من موسى فضلاً عن أن يكون مثله، بل الأنبياء المتّبِعون لموسى كهارون ويوشع وداود وسليمان وغيرهم أفضل من الخضر. وما كان عمر قد رآه فهو مما يقع مثله للمجتهد الفاضل. ((منهاج السنة (ج6/ 76-77)).

(2) الصلابي، فصل الخطاب (ص 318)، بتصرف

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص86).

فيوضح المقصود من رفع العلم بقوله: أما أنه ليس يُنزعُ من صدور العلماء ولكن يذهبُ العلماء[1].

3. **تنفيذ أوامر رسول الله (ﷺ):-**

لقد عمل على تنفيذ وصايا رسول الله (ﷺ)، ولعل من أبرزها: إخراج المشركين من جزيرة العرب، تنفيذاً لقول رسول الله قُبيل موته: ((أخرجوا المشركين من جزيرة العرب))[2]، فقد أخرج اليهود من الحجاز إلى الشام، وأخرج أهل نجران النصارى إلى الكوفة[3] ، وذلك في السنة العشرين للهجرة[4] .

ومنها – كذلك- نهيه (رضي الله عنه) الناس عن تناشد الأشعار في المسجد بعدما أقام رَحبَة في ناحية المسجد سماها البطحاء، وقال: ((مَن كان يريد أن ينشد شعراً، أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحبة، فقد نهى النبي (ﷺ) عن تناشد الأشعار في المسجد))[5]، وهنا ظهرت عبقريته (رضي الله عنه) في تهيئة الأمور لتنفيذ أوامر رسول الله ووصاياه، فعمد على إيجاد البديل الذي لا يعارض هدي رسول الله (ﷺ).

4. **التأكيد على مرجعية السنة النبوية بجانب القرآن الكريم:**

قال الإمام مالك: ((عمر بن الخطاب وعليٌّ وعامة خيار الصحابة كانت ترد عليهم المسائل – وهم خير القرون الذين بعث فيهم النبي (ﷺ) – فكانوا يجمعون أصحاب النبي (ﷺ) ويسألون، ثم حينئذ يفتون فيها))[6]، ومن أمثلة ذلك: أَنَّ عُمَرَ (رضي الله عنه) ذَكَرَ الْمَجُوسِيَّ، ولم يكن قد سمع شيئاً من رسول الله بشأنهم، فأخبره ((عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ (رضي الله عنه) أَخْبَرَنِي أَنَّ رَسُولَ

(1) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة/ مسند أبي هريرة، (ج16/163): رقم الحديث (10231)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة/ باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، (ج4/99): رقم الحديث (3168)، ومسلم: كتاب الوصية/ باب الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، رقم الحديث (1637).

(3) انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 107).

(4) انظر: ابن خياط، تاريخ خليفة (ص ص 124- 151).

(5) مالك، الموطأ (422)، البيهقي، السنن الكبرى (20053)، وانظر: هذا البحث (ص 97).

(6) القرضاوي، الإسلام والفن (ص42).

اللَّهِ (ﷺ) أَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ، فأرسل عمر (رضي الله عنه) لوالي مَنَاذِرَ بالأهواز: انْظُرْ مَجُوسَ مَنْ قِبَلَكَ فَخُذْ مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ))(1) .

وكان إذا استفتاه الناس في بعض الأمور استند لسنة رسول الله في جوابه، فها هو الحارث ابن معاوية الكندي يسأله عن الركعتين بعد العصر، فرد عليه ((نهانا عنهما رسول الله(ﷺ)))(2).

5. العمل بالسنة النبوية وترك غيرها حين التأكد من ثبوتها والفرح بموافقتها:

ومن معالم محافظته على سنة رسول الله، أنه كان يتراجع عن حكمه ورأيه إذا تبين له مخالفته لما ثبت عن رسول الله، وكان يُسرّ لذلك سروراً كبيرًا، فعن ((ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أُتِيَ عُمَرُ بِمَجْنُونَةٍ قَدْ زَنَتْ فَاسْتَشَارَ فِيهَا أُنَاسًا فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ أَنْ تُرْجَمَ، فمُرَّ بِهَا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه) فَقَالَ: مَا شَأْنُ هَذِهِ قَالُوا مَجْنُونَةُ بَنِي فُلَانٍ زَنَتْ فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ أَنْ تُرْجَمَ قَالَ: فَقَالَ: ارْجِعُوا بِهَا ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ رُفِعَ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَبْرَأَ، وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَعْقِلَ، قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَمَا بَالُ هَذِهِ تُرْجَمُ قَالَ: لَا شَيْءَ، قَالَ: فَأَرْسِلْهَا قَالَ: فَأَرْسَلَهَا، قَالَ فَجَعَلَ يُكَبِّرُ))(3)، وقد علقَ الأبادي على الحديث بقوله: ((أي فجعل عمر (رضي الله عنه) يكبر، وعادة العرب أنهم يكبرون على أمر عظيم وشأن فخيم، وكان عمر (رضي الله عنه) عَلِمَ عدم صواب رأيه، وظن على نفسه وقوع الخطأ برجم المرأة المجنونة إن لم يراجعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه))(4).

ومن توقيره لسنة النبي أنه إذا اجتهد في أمرٍ بعد تحريه بعدم وجود قول من رسول الله بشأنه، ثم جاءه علمٌ عن رسول الله (ﷺ) بما يوافق رأيه، كان ينشرح صدره ويحمد الله سبحانه،

---

(1) انظر: الترمذي: سنن الترمذي، كتاب السير عن رسول الله (ﷺ)/ باب ما جاء في أخذ الجزية من المجوس (ج 199/3): رقم الحديث (1587)، قال: هذا حديث حسن صحيح.

(2) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، (ج/266): رقم الحديث (111)، قال محققو المسند: إسناده حسن ورجاله ثقات.

(3) أبو داود: سنن أبي داوود، كتاب الحدود/ في المجنون يسرق أو يصيب حداً، (ج140/4): رقم الحديث (4399)، وصححه الألباني في إرواء العليل (ج5/2).

(4) آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داوود، شرح حديث (4399).

فحين خرج إلى الشام وعلم بوباء الطاعون(1)، استشار المهاجرين ثم الأنصار ثم مشيخة قريش، وكان الرأي الأرجح بالرجوع، حينها، ((فنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ، فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ"، فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ))(2).

6. التأكد من نسبة الروايات من السنة للنبي (ﷺ) ومن دقتها:-

لقد كثر في عصره نسبة بعض الكلام لرسول الله، وكثر اتخاذ البعض ما ينسب له باباً من أبواب التستر والتهرب من الإجابات والوعود، ولذلك أراد أن يضع حداً لذلك حتى لا يتوهم المسلمون شيئاً منسوباً إلى رسول هو غير ذلك، فأراد أن يضع حداً لهذا الأمر لتبقى أقوال النبي وأفعاله موثوقة، ولذلك حين جاءه عبد الله بن قيس المشهور بأبي موسى الأشعري (ﷺ) استجابةً لطلبه له، فاستأذن أبو موسى عليه ثلاثاً فلم يأذن له، فانصرف حينها أبو موسى الأشعري ثم عاد في اليوم التالي، فقال له عمر: ((لماذا استأذنت ثلاثاً وانصرفت فقال له: هكذا سمعت النبي (ﷺ) يقول، فقال له: هات شاهداً وإلا فعلت وفعلت بك))(3)وكان أبو موسى صادقاً وعمر يعرفه بالصدق ولكنه أراد أن يؤدب من عسى أن تسول له نفسه التقول على الرسول (ﷺ)، وشهد معه أبي بن كعب (ﷺ) (4).

---

(1) قال محقق تفسير القرطبي أحمد أطفيش: عمواس (روى بكسر أوله وسكون ثانيه، وروى بفتح أوله وثانيه وآخره سين مهملة): كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر رضى الله عنه، ثم فشا في أرض الشام فمات منه خلق كثير لا يحصون من الصحابة (رضى الله عنهم) ومن غيرهم، وذلك في (سنة 18) للهجرة، (ج235/3).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطب/ باب ما يُذكرُ في الطاعون، (ج130/7): رقم الحديث: (5730).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الآداب / باب الاستئذان، (ج1696/3): رقم الحديث (2154).

(4) انظر: لاشين، فتح المنعم (ج8/ص456-457).

وكان الفاروق يتحرجُ في الرواية عن رسول الله، مخافة أن يزيد حرفاً أو ينقص عند روايته عن رسول الله، فقد ذكر مولاه أسلم أنه قال: ((كنا إذا قلنا لعمر حدثنا عن رسول الله (ﷺ)، قال: أخافُ أن أزيد حرفاً أو أَنقُص، إن رسول الله (ﷺ) قال: مَن كذب عليَّ فهو في النار))[1].

المطلب الثاني: الحوار والمناقشة

لقد قرر الفاروق مسائلَ عقائدية عديدة من خلال الحوار والمناقشة مع غيره من الناس، وهذه المسائل أصبحت بعد ذلك مناط خلاف وجدل مذموم بين طوائف من المسلمين، وكلفت المسلمين الكثير من الشحناء والبغضاء بينهم، بل أدت إلى تكفير بعضهم لبعض[2] ، ولو رجعوا جميعاً لمنهج رسول الله وصحابته وعلى رأسهم الشيخان، ولما وصلوا لما هو معروف لدينا من تفرق وتمزق.

كما أن ما قرره الفاروق عمر (رضي الله عنه) من مسائل عقائدية إنما هي محصورة فيما احتاج من تقرير في عصره، أما بقية المسائل العقائدية فلم يتطرق لها الفاروق ولا الصحابة، لأنها كانت مقررة في النفوس ولم يظهر ما يناقضها من أفعال المسلمين.

ومن هذه المسائل التي قررها (رضي الله عنه):

1- تقرير أن الله على عرشه في السماء: -

وهذا الأمر ثبت عنه (رضي الله عنه) في موقفين مشهورين؛ **الأول:** حين قدم إلى الشام، فإذا به يستقبل الناس على بعيره، فقالوا: ((يا أمير المؤمنين لو ركبت برذواناً يلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر: ألا أراكم ههنا والأمر من ههنا، وأشار بيده إلى السماء))[3]

---

(1) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عمر بن الخطاب، (ج410/1): رقم الحديث (326)، قال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف دجين بن ثابت أبي الغصن، وقد روى البخاري حديثاً مرفوعاً بهذا المعى، لكنه عن عبد الله بن عمرو (صحيح البخاري (ج4، 170)، رقم الحديث: (3461)).

(2) وسنتعرض لهذه المسألة بشيئ من التفصيل في الفصل الخامس إن شاء الله.

(3) الذهبي، العلو للعلي الغفار (ص62)، وقال إسناده كالشمس، وقال الألباني في مختصر العلو (ص103): ((وهو إسناد صحيح على شرط الشيخين)).

ورُوي عنه بأكثر من صيغة وطريقة أنه قال ((ويلٌ لديّان الأرض من ديّان السماء يوم يلقونه))[1].

الثاني: إنصاته واستماعه لخولة بنت ثعلبة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، حيث استوقفته فوقف يحدثها، فقال له رجل: ((يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز؟ فقال: ويلك أتدري من هي؟ هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة التي أنزل الله فيها ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:1]))[2].

إذاً يقرر الخليفة الراشد الثاني (رضي الله عنه) أن الأمر يأتي من السماء، ويقرر أن الله ديّان السماء، كما يقرر أن الله في علوه فوق السماء السابعة، ويؤكد ذلك ما قاله الإمام اللالكائي حين ذكر أن عمر بن الخطاب، يقول في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه:5]، أي ((أن الله على عرشه في السماء))[3].

وكلام عمر هو ما ورثه عن صاحبيه الرسول (ﷺ) وأبي بكر (رضي الله عنه)، يقول الإمام الدارمي حين رد على بشر المريسي: ((فهذا رسول الله (ﷺ) وصاحباه أبو بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، وخيار أصحاب رسول الله (ﷺ)، حتى بني إسرائيل قد خالفوا الجهمية[5]))[4].

---

(1) انظر: ابن المبرد، محض الصواب (ج777/3)، قال المحقق: ذكره الدارمي في الرّدّ على المريسي (ص 104)، وإسناده صحيح.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4، ص408)، بتصرف، وانظر: ابن المبرد، محض الصواب (ج776/3-777).

(3) اللالكائي، أصول اعتقاد أهل السنة (ج388/2)، بتصرف، وانظر: ابن المبرد، محض الصواب (ج775/3).

(4) الجهمية هي فرقة تنتسب للإسلام لكنها فرقة ضالة، مؤسسها الجعد بن جرهم، قتله يوم الأضحى الأمير خالد بن عبد الله القسري سنة نيف وعشرين ومائة، ومن مشاهيرها الجهم بن صفوان والذي له تنتسب الطائفة ومات مقتولاً عام 128هـ، ثم بشر المريسي مات أيضًا في آخر عام 128هـ، ثم القاضي أحمد بن داوود وهو مَن كان وراء فتنة خلق القرآن، مات عام (240هـ)، كتب على ستار الكعبة: "ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، ولم يكتب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾"". من أهم معتقداتهم: إهمال توحيد الألوهية، تعطيل الرب تعالى من أسمائه وصفاته، إنكار رؤية الله تعالى، القول بالجبر، وأن العباد لا فعل لهم على الحقيقة، وإنما تنسب إليهم أعمالهم على المجاز، ونفي صفة العلو عن الله سبحانه، والقول بفناء الجنة والنار. (انظر: الدرر السنية (موقع إلكتروني)).

(5) الدارمي، الرد على المريسي (ص106).

2- تقرير عذاب القبر: -

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه من عقيدة المؤمنين الصادقين، ولكن للأسف أنكرته عدة فرق تنتسب للإسلام كالخوارج والجهمية ومن تبعهم من المعتزلة[1] ، وهذا ما حذر منه الفاروق، فقد روى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: ((سمعت عمر بن الخطاب (ﷺ) على المنبر وهو يقول: سيكون فيكم قوم من هذه الأمة يكذّبون بالرجم، ويكذّبون بالدجال، ويكذّبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذّبون بعذاب القبر، ويكذّبون بالشفاعة، ويكذّبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا، فلئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود))[2].

وتنبؤ عمر بذلك ما كان له أن يكون دون أن يكون سمع ذلك من رسول الله، لأن المستقبل أمر غيبي، ولا يمكن لأحد من الصحابة أن يتكلموا عن الغيبيات دون أن يكونوا سمعوا ذلك عن رسول الله، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ولذلك تحقق ما تنبأ به الفاروق (ﷺ).

وعلماء السلف لا يشكون بعذاب القبر ونعيمه، يقول ابن القيم: ((وأحاديث عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين تبلغ حد التواتر، فقد بلغت الأحاديث في ذلك سبعين حديثاً))[3].

كما قرر عذاب القبر وهو في نزاعه الأخير، حيث أوصى ابنه قُبيل وفاته، فقال له: ((اقتصدوا في كفني، فإنه إن كان لي عند الله خيرٌ أبدلني ما هو خيرٌ منه، وإن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سلبي، واقتصدوا في حفرتي، فإن كان لي عند الله خيراً أوسع لي فيها مدّ بصري، وإن كنت على غير ذلك ضيقها عليَّ حتى تختلف أضلاعي، ولا تُخرج معي امرأة، ولا تزكوني بما ليس فيَّ، فإن الله هو أعلم بي))[4].

3- تقريره (ﷺ) أن التوسل إلى الله يكون بالصالحين من الأحياء :-

تعتبر مسألة التوسل إلى الله من المسائل التي اختلف الناس فيها اختلافاً كبيراً، يقول الشيخ الألباني: ((اضطرب الناس في مسألة التوسل، وحكمها في الدين اضطراباً كبيراً، واختلفوا فيها اختلافاً عظيماً، بين محلل ومحرم، ومُغالٍ ومتساهل))[5].

---

(1) انظر: الفصل الثاني/ المبحث الأول/ المطلب الأول / (ص 91).

(2) الداني، السنن الواردة في الفتن (ج620/3)، قال الألباني في موسوعته العقائدية: وإسناده حسن (ج227/9).

(3) ابن القيم، الروح (ص 165).

(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص ص 113-114).

(5) الألباني، التوسل (ص9).

والتوسل إلى الله هو من لُبِّ توحيد الألوهية، لأن المقصود به أن نتخذ إلى الله وسيلة، وهذا مما أمرنا الله تعالى به ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[المائدة:35]، أي أن نتقرب إلى الله سبحانه برغبة، لتكون لنا منزلةً محمودةً عنده ودرجةً قريبة، وهذا هو المعنى مشتق من حديث رسول الله (ﷺ): ((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة))(1).

كما ذكر القرآن الكريم ما يُعضد هذا المعنى، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة:35]، حيث نقل ابن كثير عن جمهرة من المفسرين أن الوسيلة القربة(2)، ونقل عن قتادة أن ((تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه))(3)، وقوله سبحانه: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[الإسراء:75]، أي ((يبتغي المدعوّون أرباباً إلى ربهم القُربة والزُّلفة))(4).

الوسائل نوعان:

ظهر مما سبق أن الوسيلة هي السبب الموصل إلى المطلوب برغبة، وهذه الوسيلة قسمان: وسيلة كونية، ووسيلة شرعية(5).

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة/ باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، (ج288/1): رقم الحديث (384).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج52/2).

(3) المرجع السابق (ج52/2-53).

(4) الطبري، جامع البيان (ج17 /471).

(5) يقول الألباني (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): ((الوسيلة الكونية: فهي كل سبب طبيعي يوصل إلى المقصود بخلقته التي خلقها الله بها، ويؤدي إلى المطلوب بفطرته التي فطره الله عليها، وهي مشتركة بين المؤمن والكافر من غير تفريق، ومن أمثلتها: الماء فهو وسيلة إلى ريّ الإنسان، والطعام وسيلة إلى شبعه، واللباس وسيلة إلى حمايته من الحر والقر -البرد-، وهكذا، والوسائل الكونية منها ما هو مباح أذن الله بها ومنها ما هو حرام نهى الله عنه، ومن أمثلة ذلك التجارة والربا وسيلتان للكسب لكن الأولى مباحة والثانية محرمة.

وأما الوسيلة الشرعية: فهي كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالى، وبينه في كتابه وسنة نبيه، وهي خاصة بالمؤمن المتبع أمر الله ورسوله، ومن أمثلتها: النطق بالشهادتين - بإخلاص وفهم - وسيلة إلى دخول الجنة والنجاة من الخلود في النار، واتباعُ السيئةِ الحسنةُ وسيلةٌ إلى محو السيئة،=

التوسل إلى الله المتفق على مشروعيته[1] :

والتوسل المتفق على مشروعيته هو على ثلاثة أوجه:

1. التوسل باسم من أسماء الله تبارك وتعالى أو صفة من صفاته، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف:180]، ولثبوت ذلك في أحاديث عديدة منها، ما رواه أنس أن النبي (ﷺ) ((كان إذا حزبه أمرٌ قال: يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث))[2].
2. التوسل بعمل صالح قام به الداعي، كما صح ذلك في حديث قصة أصحاب الغار الثلاثة[3] .
3. التوسل بدعاء رجل صالح، وهذا ما دل عليه فعل عمر (ﷺ) باستسقائه بالعباس.

وأما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف، لأن الإمام أحمد أجاز التوسل بالرسول (ﷺ) وحده فقط، والشوكاني أجاز التوسل بالرسول وبغيره من الأنبياء والصالحين.

الفاروق (ﷺ) يقرر أحد الوسائل الشرعية الصحيحة:

فقد روى البخاري عن أنس بن مالك أن ((عمر بن الخطاب (ﷺ) كان إذا قَحَطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعَمِّ نبينا فاسقنا. قال: فيُسقون))[4].

وفي هذا الحديث دلالة واضحة أن عمر لم يتوسل بالنبي (ﷺ)، لأنه كان ميتاً (ﷺ)، ولو كان الفاروق يعلم أنه يجوز التوسل بالأموات لما ترك التوسل برسول الله ليتوسل بعمه!

=وقولُ الدعاء المأثور بعد الأذان وسيلة إلى نيل شفاعة النبي (ﷺ)، وصلة الأرحام وسيلة لطول العمر وسعة الرزق، وهكذا. إذاً فالوسائل الشرعية الصحيحة هو ما كان مبنياً على نص ثابت من القرآن الكريم أو سنة رسول الله (ﷺ)، وما عداها فهي وسائل مرفوضة قد تفضي إلى الشرك والعياذ بالله كإتيان السحرة والكهان وما شابه ذلك)) التوسل: (ص17–28)، بتصرف.

(1) انظر: الألباني، التوسل (ص ص29–49).

(2) الترمذي، التحفة (ج267/1)، وحسنه الألباني في كتاب التوسل أحكامه وأنواعه (ص32).

(3) انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع/ باب إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذنه فرضي (ج79/3): رقم الحديث (2215).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء/ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (ج27/2): رقم الحديث (1010).

وفهمُ الفاروق هذا يؤيده تصرفُ الرسول (ﷺ) وهو حيٌّ وتصرفُ صحابته، حيث حينما كان يصيب المسلمين القحط كانوا يذهبون للنبي ليدعو لهم، فكان يجمعهم ويصلي بهم صلاة الاستسقاء والتي منها الدعاء والتبتل إلى الله، ولم يتركهم ليتوسلوا إلى الله بجاهه (ﷺ) أو ذاته، وإلا فلا داعي لأن يجمعهم للصلاة أو أن يطلبوا الدعاء منه، بل لاكتفوا بأن دعوا الله بجاه نبيه وهم في بيوتهم وأماكنهم!

وإقرار الفاروق هذا يُعتبر إجماعاً لأن الصحابة لم يعترضوا على فعله هذا ولم يعارضه أحدٌ منهم، بخلاف بعض المسائل الاجتهادية الأخرى له، كتقسيم أرض العراق وغيرها، مع إدراكهم أن قضية التوسل قضية عقائدية.

المطلب الثالث: التصدي للبدع:-

بخلاف عصر أبي بكر الصديق بدأت العديد من البدع تظهر في عصر الفاروق، ولكنه كان لها بالمرصاد، ويعود سبب ذلك إلى توسع رقعة الدولة الإسلامية مع كثرة الفتوحات وانتشار الصحابة في هذه البلاد مما جعل تأثيرهم أقل نسبياً بحكم سعة الرقعة المكانية والسكانية، كما يعود ذلك لعدم تشرب الإسلام بشكل كامل في نفوس الكثير ممن دخلوا في دين الله من العرب والفرس والروم وغيرهم، ولوجود رواسب جاهلية في عقولهم.

وقبل استعراض بعض البدع التي ظهرت في خلافة الفاروق (رضي الله عنه) وطريقة تصديه لها، فسيتم التعرف على المقصود بالبدعة، وحكم البدعة في الدين وفي المعاملات، يقول الشيخ بن باز (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): ((البدعة في الشرع المطهر هي كل عبادة أحدثها الناس ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ولا في عمل الخلفاء الراشدين الأربعة... وتطلق البدعة في اللغة العربية على كل مُحدَثٍ على غير مثال سابق، لكن لا يتعلق بها حكم المنع إذا لم تكن من البدع في الدين، وأما في المعاملات فما وافق الشرع منها فهو عقد شرعي، وما خالفه فهو عقد فاسد، ولا يسمى بدعة في الشرع ؛ لأنه ليس من العبادة))(1).

والبدع العقائدية التي ظهرت وتصدى لها الفاروق (رضي الله عنه)، هي:

---

(1) ابن باز، البدع وآثارها السيئة (ص ص 23-24).

أ. **بدعة الغلو في الاهتمام بقبور الأنبياء وآثارهم:-**

لقد حذر رسول الله (ﷺ) من اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، وأكد أن من فعل ذلك فهم أشرار الناس، وكان ذلك من آخر ما أوصى به رسول الله قبيل موته، فعن أبي عبيدة بن الجرَّاح (رضي الله عنه) قال: آخرُ ما تكلَّم به النبيُّ (ﷺ): ((أخرجوا يهودَ أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[1]، وعن عائشة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) ، قالت: قال النبي (ﷺ) في مرضه الذي لم يقم منه: ((لعن الله اليهود؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، قالت عائشة: "لولا ذلك لأُبرز قبره، خُشي أن يُتخذ مسجداً"[2].

وهذا الهدي النبوي هو الذي سار عليه عمر (رضي الله عنه) في خلافته، فحين أرسل إليه أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) يذكر له أنه ظهر بتستر[3] قبر دانيال – وهو نبي- وعنده مصحف فيه أخبار ما سيكون، قد ذكر فيه أخبار المسلمين، وأنهم إذا أجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا، فأرسل إليه عمر يأمره أن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرًا ويدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يفتتوا به[4].

ومن وضوح الأمر لدى الفاروق ومن حُسن اطمئنان قلبه له، فقد رفض أن يتعلق المسلمون بآثار النبي محمد (ﷺ) بالرغم من عِظم مكانته لدى عمر والصحابة والمسلمين، وذلك حتى لا يدع مجالاً عند الناس ليسيروا على منهج الأقوام السابقة في أساليب الحياد عن العقيدة السليمة، حيث منع ذلك مرتين:

الأولى: حين نهى الناسَ تعمد الصلاة حيث صلى رسول الله خشية أن تصبح أماكن تُقدَّس، فعن المعرور بن سويد رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ((خرجنا مع عمر بن الخطاب فعرض في بعض الطريق مسجد فابتدره الناس يصلون فيه، فقال عمر ما شأنهم؟ فقالوا هذا مسجد صلى

---

(1) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند باقي العشرة المبشرين بالجنة/ باب حديث أبي عبيدة بن الجراح، (ج221/3): رقم الحديث (1691)، قال محققو المسند: إسناده صحيح، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (1132).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب مرض النبي ووفاته، (ج11/6)، رقم الحديث (4441).

(3) تُعرف باللغة الفارسية باسم شوشتر، وهي مدينةٌ تقع في إيران، في محافظة خوزستان، وشوش بإعجام الشينين، ومعناه النزه والحسن والطيب واللطيف. (الحموي، معجم البلدان (ج29/2)).

(4) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج48/2)؛ ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (ج339/1).

فيه رسول الله (ﷺ) فقال عمر: أيها الناس إنما هلك من قبلكم باتباعهم مثل هذا حتى أحدثوها بيعاً، فمن عرضت له صلاة فليمضِ))[1].

والثانية: حين قطع الشجرة التي بايع تحتها رسول الله (ﷺ) الصحابة يوم الحديبية بيعة الرضوان[2]، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: ((ثم وجدت عند ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أن عمر بلغه أن قوماً يأتون الشجرة فيصلون عندها، فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقُطعت))[3].

وهذا يدل على أن الفاروق بفعله هذا والصحابة الكرام بموافقتهم له قد أجمعوا أنه ليس من الإسلام في شيء البحث عن آثار الأنبياء والصالحين، وتعظيم الأماكن التي وقعت فيها الأحداث العظيمة. وقد بين الإمام بن حجر الحكمة من إخفاء تلك الشجرة وكيف أنها رحمة للعالمين كما قال ابن عمر[4] (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا)، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((وبيان الحكمة في ذلك وهو ألا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن من تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها نفعاً أو ضراً كما نراه اليوم مشاهداً فيما هو دونها، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله: " كانت رحمة " أي كان خفاؤها عليهم رحمة من الله تعالى))[5].

ولقد عَقب الشيخ ابن باز على تصرف الفاروق (ﷺ) مع هذه البدع بالقول: ((وكان (ﷺ) عنه حكيماً في أعماله وسيرته، حريصاً على سد ذرائع الشرك وحسم أسبابه، فجزاه الله عن أمة محمد خيراً، ولهذا لم يبنِ الصحابةُ على آثاره (ﷺ) في طريق مكة وتبوك وغيرهما مساجد، لعلمهم بأن ذلك يخالف شريعته، ويسبب الوقوع في الشرك الأكبر، ولأنه من البدع التي حذر منها عليه الصلاة والسلام))[6].

ب.بدعة تقليد الأمم السابقة في العبادات:-

كان الفاروق شديداً على مَن يحاول تقليد أهل الكتاب بأفعاله أياً كانت، فما كان يرى أو يسمع بشيء فعله مسلم من المسلمين شبيهاً بأفعال أهل الكتاب ومنافياً للقرآن إلا ونهاه عنه،

(1) ابن وضاح، البدع والنهي عنها (ج2/87-88)، وصححه الألباني في فضائل الشام (18).

(2) غانم، الإسلام وفقه عصر الرشد (ص80)، بتصرف.

(3) ابن حجر، فتح الباري (ج7/ 448).

(4) المرجع السابق (ج6 / 117).

(5) المرجع نفسه (ج6 / 118).

(6) ابن باز، البدع وآثارها السيئة (ص 91).

فقد أخبر عبد الله بن عباس أنه: ((ذُكر لعمر أنّ سمرة باع خمرًا قال: قاتل الله سمرة، إنّ رسول الله (ﷺ) قال: لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها))(1)، وروى مولاه نافع، قال: كان عبد الله بن عمر يقول: إني سمعت عمر بن الخطاب يقول: ((إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلرَّجُلِ إِلَّا ثَوْبٌ وَاحِدٌ، فَلْيَأْتَزِرْ بِهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ، وَيَقُولُ: لَا تَلْتَحِفُوا بِالثَّوْبِ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ كَمَا تَفْعَلُ الْيَهُودُ.))، قال نافع راوي الخبر: ولو قلت لكم إنه أسند ذلك إلى رسول الله (ﷺ) لرجوت ألا أكون كذبت(2).

وها هو حين دخل بيت المقدس فاتحاً يسأل كعباً: ((أين ترى أن أُصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر (ﷺ): ضاهيت اليهودية! لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله (ﷺ) فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس))(3).

وحين أراد الفاروق والصحابة أن يوثقوا الأحداث ويؤرخوها لم يرضوا تأريخها كتأريخ الفرس أو الروم، بل أرادوا لأمة الإسلام تاريخاً مميزاً، كما تميزت عقيدتهم وتميزت قبلتهم، فاختاروا حادثة الهجرة النبوية ليتخذوها بدايةً لتأريخهم، فقد رُفع إلى أمير المؤمنين عمر صك أي حجة يكون استحقاقها في شهر شعبان، فقال: ((أي شعبان؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها، أو السنة الماضية، أو الآتية؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تأريخ يتعرفون به حلول الديون، وغير ذلك، فقال قائل: أرخوا كتاريخ الفرس، فكره ذلك، وكانت الفرس يؤرخون بملوكهم واحدًا بعد واحد، وقال قائل: أرخوا بتاريخ الروم، وكانوا يؤرخون بملك إسكندر بن فيلبيس المقدوني، فكره ذلك، وقال آخرون: أرخوا بمولد رسول الله (ﷺ)، وقال آخرون: بل بمبعثه. وقال آخرون: بل بهجرته. وقال آخرون: بل بوفاته عليه (ﷺ). فمال عمر (رضي الله عنه) إلى التأريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره، واتفقوا معه على ذلك))(4)، ويمكن القول إنه ((بهذا الحدث

---

(1) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عمر بن الخطاب، (ج305/1): رقم الحديث (170)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عمر بن الخطاب، (ج256/1): رقم الحديث (96)، قال محققو المسند: إسناده حسن.

(3) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين مسند عمر بن الخطاب، (ج370/1): رقم الحديث (261)، قال محققو المسند: ((إسناده ضعيف لضعف أبي سنان: وهو عيسى بن سنان الحنفي القسملي، وأورده ابن كثير في مسند عمر (ج1/ 160) عن أحمد وقال: هذا حديث حسن الإسناد)).

(4) ابن كثير، البداية والنهاية (ج4 / 510).

الإداري المتميز أسهم الفاروق في إحداث وحدة شاملة بكل ما تحمله الكلمة من معنى في شبه الجزيرة، حيث ظهرت وحدة العقيدة بوجود دين واحد، ووحدة الأمة بإزالة الفوارق، ووحدة الاتجاه باتخاذ تاريخ واحد، فاستطاع أن يواجه عدوه وهو واثق من النصر))(1).

ت. بدعتا نفي القدر وجبريته:-

الناس المبتدعون في عقيدة القدر على صنفين، صنفٌ يرى أن الضلالة ليست كالهداية فهي ليست من قدر الله، والصنف الثاني يرى أن الإنسان مجبر على فعله ولا إرادة له، وسأتعرض لذلك ببعض من التفصيل.

وهذان الصنفان من البدع ظهرا في زمن عمر (ﷺ)، وقد عالجهما كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

أولاً: **الإيمان بالقدر في عقيدة المسلمين:** -

يُعتبر الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره الركن السادس والأخير من أركان الإيمان الستة، فمن لم يؤمن به فهو ليس من أهل الإيمان، وقدّرَ اللهُ أن يروي أهم الأحاديث النبوية الموضحة لذلك عمر بن الخطاب نفسُه، حيث هو مَن روى حديث جبريل المشهور والصحيح الذي جاء فيه: ((قال -أي جبريل- فأخبرني عن الإيمان، قال -أي رسول الله- أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال صدقت))(2) .

ولقد وضحت أحاديث عديدة صحيحة المفهوم الصحيح للقدر، حيث لا نفي ولا جبرية، ولعل من أوضح هذه الأحاديث حديث علي بن ابي طالب (ﷺ) حين قال: ((كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي (ﷺ)، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة(3) فنكس، فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: "ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها في الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة"، فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، قال: "أما أهل السعادة فيُيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة

(1) الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين (ص90).

(2) جزء من حديث: مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر، (ج36/1): رقم الحديث (8).

(3) عصا أو قضيب يشير به الخطيب إذا خاطب الناس (الفيومي، المصباح المنير ص105).

فييسرون لعمل أهل الشقاوة" ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[الليل:5-10]))[1].

وتمام الإيمان بالقدر لا يتم إلا بالإيمان بمراتبه الأربعة، وهي: العلم، والكتابة، والإرادة والمشيئة، وأخيراً مرتبة الخلق، يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): ((الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان، من أقَّر بها جميعاً فإن إيمانه بالقدر يكون مكتملٌ، ومَن انتقص واحداً منها أو أكثر فقد اختل إيمانه بالقدر))[2].

ثانياً: تصدي الفاروق (ﷺ) لأحد نفاة القدر:-

لم تذكر سيرة خلافة الفاروق إلا حالةً واحدةً تجرأ فيها أحدُ أهل الشام، وهو جاثليق النصارى[3]، على نفي أن الضلالة كالهداية تخضع لإرادة الله ومشيئته، حيث كان الفاروق يخطب في قرية الجابية بالشام، وأراد أن يوضح للناس سبب خروجه من الشام؛ لأن الطاعون قد انتشر في بلاد الشام، فقال: ((مَن يُضلل الله فلا هادي له ومن يهدي فلا مضل له، فقال جاثليق النصارى: إن الله لا يضل أحداً مرتين أو ثلاثة، فأنكر الصحابة ذلك عليه مرتين، فقال عمر لأصحاب رسول الله ما يقول؟ قالوا: يزعم أن الله لا يضل أحداً، فقال عمر: كذبت بل الله خلقك، والله أضلك، ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله، أما والله لولا عهد لك لضربت عنقك، وبعدها تفرق الناس وما يختلف في القدر اثنان))[4]، وذكر البعض أن عمر هدده بالقتل إن أظهر مقولته القدرية مرة أخرى[5].

وهذه الحادثة تُظهر أيضاً كيف أن الفاروق كان يحرص في كل وقت ومناسبة على حفظ عقيدة المسلمين دون انحراف عما كان عليه الرسول (ﷺ) وصاحبه أبوبكر الصديق (ﷺ)، وهو بذلك يُثبت لكل مَن يقوم على أمر المسلمين أن المحافظة على العقيدة الإسلامية الصحيحة كما جاء بها رسول الله (ﷺ) هي أول مهامه وواجباته نحو الدين والمؤمنين.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز/ باب موعظة المُحدّث عند القبر، (ج96/2): رقم الحديث: (1362).

(2) الأشقر، القضاء والقدر (ص26).

(3) قال الصلابي: "لعلها رتبة دينية عند النصارى"، انظر: الصلابي، الإيمان بالقدر (ص28).

(4) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (726/4).

(5) العقل، الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها (ص223).

الفرار من قدر الله إلى قدر الله:-

ولقد علمتنا سيرة النبي والخلفاء الراشدين أن نفر من قدر الله إلى قدر الله، وأن نأخذ بالأسباب، فبالرغم من إيماننا المطلق أنه لن يكون في مُلك الله إلا ما شاء، وأن كلاً مُيسرٌ لما خُلق له، فإن من تمام هذا الإيمان الصحيح أن نختار ما يُصلح شأننا، وهذا ما وضحه عمر (ﷺ) حين أخبره الصحابة وهو في طريقه للشام[1] أن وباء الطاعون بدأ ينتشر بالشام، فدعا المهاجرين الأولين واستشارهم، ثم دعا الأنصار واستشارهم، ثم دعا مَن كان مِن مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، وكان الرأي الراجح أن يعود ولا يدخلها، فنادى عمر (ﷺ) في الناس ((إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ فَقَالَ عُمَرُ لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ))[2].

ومما أثلج صدر عمر (ﷺ) ومَن معه أن قراره وافق ما أرشد إليه رسول الله (ﷺ) من قبل دون سابق عِلمٍ له به، وإلا لما احتاج أن يشاور أحداً، حيث ((جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ قَالَ فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ))[3]

ثالثاً: تصدي الفاروق (ﷺ) لبدعة جبرية القدر:-

في مقابل القدرية هناك عقول ضالة تميل إلى القول بجبرية القدر، أي ((إن العبد مُجبَر على أفعاله، ولا اختيار له، وأن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، وأن الله سبحانه أجبر العباد على الإيمان أو الكفر))[4]، وهذا القول الضال ينسبُ إلى ناشري هذا الرأي والمدافعين عنه وهم أتباع الجهم بن صفوان، الذي قتله سلم بن أحوز أمير خراسان سنة (128هـ)[5].

---

(1) وكان في قرية "سرغ"، وهي قرية بوادي تبوك في أرض الجزيرة.

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطب/ باب ما يُذكرُ في الطاعون، (ج7/130): رقم الحديث (5730).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطب/ باب ما يُذكرُ في الطاعون، (ج7/130): رقم الحديث (5730).

(4) الشهرستاني، الملل والنحل (ج 1 /87).

(5) الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج 2 /349).

وعرف أبو الحسن الأشعري الجبر أنه: ((إجبار الناس وإرغامهم على فعل شيءٍ من غير إرادةٍ أو مشيئة لهم، ويرى الجَبريَّة أن الناس لا اختيار لهم في أفعالهم، ولا قدرة لهم على أن يغيِّروا مما هم فيه شيئًا، وإنما الأفعال لله سبحانه؛ فهو الذي يفعل بهم ما يفعلونه، وجعلوا هذا مطلقًا في جميع أفعالهم، فإذا آمن العبد أو كفر فإن الإيمان أو الكفر الذي وقع منه، والطاعة أو المعصية، ليست فِعلَه إلا على سبيل المجاز، وإنما الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه؛ لأن العبد لا يستطيع أن يغير شيئًا من ذلك))(1).

ويُعتبرُ مذهب الجَبريَّة مِن أخبث المذاهب وأبطلِها؛ لأن مضمونه نعتُ الله (عز وجل) بصفة الظلم والعياذ بالله، فكيف يعذبهم وأفعالهم منه لا منهم؟! تعالى الله عما يقول غلاة الجَبريَّة علوًّا كبيرًا.

ولقد رأى الجهم بن صفوان أن ((الإيمان إنما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط، وإنْ أظهَرَ اليهودية والنصرانية وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته، فإذا عرَف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة))(2).

والاحتجاج بالقدر قال به المشركون من قبل، كما أخبرنا القرآن الكريم ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ**﴾[النحل:35]، ورد عليهم سبحانه وتعالى في نفس الآية، بقوله ﴿**كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ**﴾ [النحل:35].

فالله يخبر عن اغترار المشركين بما هم فيه من الشرك واعتذارهم محتجين بالقدر، في قولهم: ﴿**لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ**﴾، أي: ((من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك، مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم، ما لم ينزل الله به سلطاناً، ومضمون كلامهم: أنه لو كان تعالى كارها لِمَا فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة ولَما مكنا منه، قال الله تعالى رادّاً عليهم شبهتهم: ﴿**فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ**﴾، أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار، ونهاكم عنه آكد النهي))(3).

---

(1) الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج1 / 338).

(2) ابن حزم، الفصل في الملل والنحل (ج3 /105).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج751/2).

الفاروق يتصدى لهذا المنطق الضال: -

وأراد أحدُ العصاة أن يحتج بالقدر على معصيته في زمن الفاروق (ﷺ) بعدما ثبتت عليه جريمة السرقة وهمّ عمر (ﷺ) بقطع يده، فقال السارق: إني سرقت بقدر الله، فقال له عمر (ﷺ): وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره، يشهد بذلك قوله تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[يونس:39] [1]، وبذلك قطع عمر (ﷺ) أمر هذا الاعتقاد الفاسد إلى أن أعاد الجهم بن صفوان القول به بعد قرن من الزمان!

المطلب الرابع: تصويب الانحرافات العَقَدية الناشئة:

شاءت إرادة الله أن يكون كتابه الكريم منه آياتٌ محكماتٌ وأخرُ متشابهات، ومن كان في قلبه زيغ فسيتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران:7]، ولقد حذر رسول الله – أيضاً – من الذين يتبعون ما تشابه منه، فقد قالت عائشة: تلا رسول الله (ﷺ)،هذه الآية، وقال: ((فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم))[2].

والإحكام والتشابه يكون في القرآن على معنيين، المعنى العام والمعنى الخاص، وما تحدثَتْ به الآية السابقة فهو توضيح للمعنى الخاص له، أما المعنى العام فقد تحدثت عنه آياتٍ أخرى.

فالإحكام العام أشار له القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:1]، وقوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾[يونس:1]، ومعناه أن القرآن كله كلام متقن فصيح يميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، ولا يتطرق إليه نقص أو عيب، فهو كامل متكامل جاء في غاية من الإتقان والإحكام[3].

---

(1) الحنفي، شرع العقيدة الطحاوية (ص 105).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير/ باب ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾، (ج33/6): رقم الحديث (4547).

(3) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص 220)، وانظر: عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن (ص180).

والمتشابه العام أشار له القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[الزمر:23]، ومعناه: أن القرآن كله متشابه، أي يشبه بعضه بعضاً في الكمال والجودة، ويصدق بعضه بعضاً في المعنى ويماثله[1] .

وبالرجوع إلى التشابه الخاص في آية آل عمران، نرى أن ما حذَرنا منه الله ورسوله قد وقع بين المسلمين للأسف[2]، ولكنه لم يقع في زمن الفاروق لأنه كان له بالمرصاد ولله الحمد، حيث ((جاء صبيغ التميمي[3] إلى عمر بن الخطاب (ﷺ)، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الذاريات ذرواً، فقال (ﷺ) هي الرياح، ولولا أني سمعت رسول الله (ﷺ) يقوله، ماقلته... قال فأخبرني عن الجاريات يسراً، قال (ﷺ) هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله (ﷺ) يقوله ماقلته. ثم أمر بضربه فضرب مائة، وجُعل في بيت، فلما برأ، دعا به فضربه مائة أخرى، وحمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري (ﷺ): امنع الناس من مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى (ﷺ)، فحلف بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً، فكتب في ذلك إلى عمر (ﷺ)، فكتب عمر ما إخاله إلا قد صدق، فخل بينه وبين مجالسة الناس))[4].

وفعل الفاروق لذلك لأن صبيغاً ((كان مغرماً بالسؤال عن المتشابهات))[5]، و((لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتاً وعناداً))[6].

---

(1) انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (ص220).

(2) انظر الفصل الثالث والرابع من هذا البحث.

(3) هو صبيغ بن شريك بن المنذر بن قطن بن قشع بن عسل بن عمرو بن يربوع التميمي؛ فمن قال صبيغ بن عسل فقد نسبه إلى جده الأعلى، وله أخ اسمه ربيعة شهد الجمل. انتهى. " تبصير المنتبه بتحرير المشتبه" (ج3 /954).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج296/4)، رواه عن البزار بسنده عن سعيد بن المسيب. ثم علق ابن كثير على هذه الرواية قائلاً: ((فهذا الحديث ضعيف رفعه، وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر (ﷺ)، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر (ﷺ))).

(5) رواه الدارمي (ج66/1)، والآجري في ((الشريعة)) (ص71)، واللالكائي في ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) (ج635/4). وقال محققه حسين أسد: رجاله ثقات غير أنه منقطع سليمان بن يسار لم يدرك عمر بن الخطاب.

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج296/4).

ولقد علّقَ الإمام الغزالي على صنيع عمر (ﷺ) بصبيغ قائلاً: ((و(عمر) هو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين[1] في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره))[2].

وعلق – أيضاً – ابن تيمية على قصة صبيغ، فقال: ((وقصة صبيغ بن عسل مع عمر ابن الخطاب من أشهر القضايا فإنه بلغه أنه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر فسأل عمر عن الذاريات ذرواً فقال ما اسمك، قال: عبد الله صبيغ، فقال: وأنا عبد الله عمر، وضربه الضرب الشديد، وكان ابن عباس إذا ألح عليه رجل فى مسألة من هذا الجنس يقول ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ، وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد والاستفهام))[3].

وفِعلُ الفاروق مع صبيغ أخذ به الإمام الشافعي، فقال: ((حُكمي في أهل الكلام حكم عمر (ﷺ) في صبيغ))[4].

ولكن بعد زمن عمر (ﷺ) خاض البعض في المتشابه، فكانت الفتنة التي حذرت منه الآية وتفرقت الأمة لفِرقٍ مختلفة ومتباينة للأسف، وقاموا بتأويل مذموم، فصرفوا اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، حيث لجأ كثيرٌ من المتأخرين لذلك مبالغةً منهم في تنزيه الله تعالى من مماثلة المخلوقين كما يزعمون، فأولوا – مثلاً– القدرة باليد هروباً من تشبيه الخالق بالمخلوقين![5] .

(1) أي أن صبيغ اعتقد أن هناك تعارض بين آيتين من كتاب الله، وبالرغم من توضيح عمر (ﷺ) له أنه لا تعارض بينهما أصر على رأيه، ففعل فيه ما فعل.

(2) الغزالي، إحياء علوم الدين (ج30/1).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج311/13).

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام (ج 4 / 66).

(5) يقول القطان: ((وهذا زعمٌ باطل أوقعهم في مثل ما هربوا منه أو أشد))، مباحث في علوم القرآن (ص225).

المطلب الخامس: الجهاد في سبيل الله

يُعدُّ الجهاد أحد أهم ركائز حفظ العقيدة الإسلامية، حيث به يُمكّنُ لدولة الإسلام، ويدخل في الإسلام بشرٌ كثير، فالخليفة يقع على عاتقه واجبان جليلان، هما: ((الأول: حراسة الدين وحماية البَيْضة، وحفظ الأرواح والأعراض والأموال. والثاني: نشر الإسلام وإبلاغ الدعوة))[1]، وهذا يعني أن أول أهداف الجهاد في دين الله هو حماية معتقدات المسلمين وأرواحهم وأموالهم، وليكون الدين كله لله، وهذا مضمون قوله تعالى: ﴿**وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾[البقرة:193]، يقول الإمام الطبري: ((وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة، يعني: حتى لا يكون شركٌ بالله، وحتى لا يُعبد دونه أحدٌ، وتضمحلَّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكونَ العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان...فإن انتهى الذين يقاتلونكم من الكفار عن قتالكم، ودَخلوا في ملّتكم، وأقرُّوا بما ألزمكم الله من فرائضه، وتركوا ما هم عليه من عبادة الأوثان، فدعوا الاعتداءَ عليهم وقتالَهم وجهادَهم، فإنه لا ينبغي أن يُعتدى إلا على الظالمين –وهم المشركون بالله، والذين تركوا عبادته وعبدوا غيرَ خالقهم))[2].

ولذلك كان أول مَا فعله عمر في صباح أول يوم له في الخلافة أن ندب المسلمين لقتال الفرس، واستمر ثلاثة أيام يندبهم لذلك، فكان أولَ مَن ندب نفسه لذلك، أبو عبيد بن مسعود الثقفي، فجعله عمر أميراً للجيش مع أنه ليس بصحابي[3] ، وجعل نائبه الصحابي سليط بن قيس الأنصاري، لأنه ثاني رجل ندب نفسه لقتال الفرس، وحين اعترض البعض على ذلك، وقالوا: هلا أمّرت عليهم رجلاً من الصحابة؟ فقال: إنما أؤمر أول من استجاب، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذي استجاب قبلكم[4] .

لقد رسخ الفاروق أمراً مهماً ينبغي أن تنتبه إليه أجيال المسلمين، هذا الأمر أن الذي يُقدّمُ من الناس للقيادة والريادة هو مَن كان له السبق بنصرة الدين، لأن نصرة الدين معيارٌ

---

(1) الشيخ، الخليفة الراشدي العظيم (ص392).

(2) الطبري، جامع البيان (ج3 / 572)

(3) يقول الطبري في تاريخه: "وأوصاه بالحذر والتيقُّظ واستشارة أصحاب النبي (ﷺ)، وبعدم التسرُّع في الحرب"، (ج3 /448).

(4) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج7/ 26)، وانظر: الأنصار في العصر الراشدي (ص216).

لصدق التوحيد في نفوس الناس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[محمد:7].

لقد بلغ من اهتمام الفاروق بالجهاد في سبيل الله أنه كان يطلب من قادته أن يخبروه وبشكل دوري ويومي أخبار الجبهات، فقد((كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو متجه إلى القادسية: اكتب لي كل يوم، واجعلني من أمرك على الجَلِيّة حتى كأنني أراك!، وكان يخرج إلى ظاهر المدينة ينتظر الوافدين إليها أو البريد أو بشائر الفتح))[1]، وكان يُرجع المال المخصص للجهاد إلى المسلمين إن لم يقم آخذوه بحق الجهاد، فكان يقول للناس: ((إنّ ناساً يأخذون من هذا المال، يجاهدون في سبيل الله، ثم يُخالفون ولا يُجاهدون، فمن فعل ذلك منهم فنحن أحقُّ بماله، حتى نأخذ منه ما أخذ))[2].

ومن المظاهر العظيمة التي تدل على اهتمامه بالجهاد، أنه ((فتح الفتوحات الواسعة المباركة، وسارت جيوشه إلى جبهات: الشام، والعراق وفارس، ومصر، وكان يعين القادة الكبار على الجيوش، وقادة الفِرق ضمن الجيش، ويستنفر المجاهدين، ويسيّرهم إمداداً هنا وهناك، وخصص قوات احتياطية للطوارىء، وكان يحمل المقاتلين على (30 ألفاً) أو (40 ألفاً) بعير كل عام، ويوجه المعارك ويكتب الكتب ويرسل الرسل، ويأمر القواد أن يكتبوا له بمواقعهم ومواقع العدو وعدده وعدته...ويتابع أمر الجيوش والجند والقادة، ويخرج إلى ظاهر المدينة ينتظر الوافدين إليها أو البريد أو بشائر الفتح))[3] .

لقد كان يربط المقاتلين بما وعدهم الله في الآخرة وهو يودعهم للقتال، ويحذرهم من الدنيا وملذاتها، ويأمرهم بتنزيه الجهاد من أعراضها، ومن حظوظ النفس، فعن حيوة بن شريح ((أنَّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، كان إذا بعث الجيوش أوصاهم بتقوى الله، ثم قال عند عقد الألوية: بسم الله وعلى عون الله، امضو بتأييد الله، والنصر ولزوم الحق والصبر، قاتلوا في سبيل الله، من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ثم لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تتكلموا عند الجهاد، ولا تقتلوا امرأةً ولا هرماً ولا وليداً، وتَوَقَوا قتلهم إذا التقى الجمعان، وعند حمة النهضات، وفي شن الغارات، ولا تغلوا عند الغناء،

---

(1) الشيخ، الخليفة الراشدي العظيم (ص15)، بتصرف.

(2) البخاري، التاريخ الكبير، باب عَمرو بْن أَبي قُرَّة، (ج572/3): رقم الحديث (2651)، وصححه الحافظ في الفتح: (ج542/7).

(3) الشيخ، الخليفة الراشدي العظيم (ص15)، بتصرف.

ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا، وأبشروا بالأرباح في البيع الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم))[1].

وللوقوف على عظمة الفتوحات الإسلامية في زمن الفاروق واتساعها، فسيتم التعرض لها بالإجمال، حيث انتدب الناس للجهاد ضد الفرس بعد يوم من توليه الخلافة في صباح الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة (13 هـ)، وفي (14هـ) تم فتح دمشق ما بين صلح وعنوة، وفتح حمص وبعلبك صلحاً، والبصرة والأبلَّه عنوة[2] سنة أربع عشرة للهجرة [3]، واستمرت الفتوحات حتى وفاته لأربع بقين من ذي الحجة لسنة (23 هـ)، حيث تم فتح كرمان، وسجستان، ومكران من بلاد الجيل وأصبهان ونواحيها[4] .

وفي سنة خمس عشرة للهجرة فتحت الأردن كلها، وفيها كانت موقعة اليرموك المشهورة، ووقعت فيها معركة القادسية في العراق، وفي سنة ست عشرة فتحت الأهواز، والمدائن، وفيها كانت وقعة جلولاء، وفيها أقيمت أول جمعة في العراق، وفيها فتحت تكريت، وفيها سار عمر وفتح بيت المقدس، وفيها فتحت حلب، وأنطاكية، وغيرها، وفي سنة سبع عشرة زاد عمر في المسجد النبوي، وفي سنة ثمان عشرة فتحت جنديسابور، وحلوان، وفيها فتحت الرها، وسميساط، وحران، ونصيبين، وطائفة من الجزيرة، والموصل ونواحيها، وفي سنة تسع عشرة فتحت قيسارية، وفي سنة عشرين فتحت مصر، وفيها فتحت تستر، وفيها هلك قيصر عظيم الروم، وفيها أجلى عمر اليهود عن خيبر، وعن نجران، وفي سنة إحدى وعشرين فتحت الإسكندرية، ونهاوند، وبَرْقَةُ، وغيرها، وفي سنة اثنتين وعشرين فتحت أذربيجان، والدِّينَوَرُ، وماسبذان، وهمذان، وطرابلس المغرب، والري، وعسكر، وقومس، وفي سنة ثلاث وعشرين كان فتح كِرْمَان، وسجستان، ومُكْرَانُ من بلاد الجبل، وأصبهان ونواحيها، وغيرها[5].

---

(1) ابن الجوزي، مناقب عمر (ص 76).

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص102)، بتصرف.

(3) ابن الجوزي، مناقب عمر (ص 9، وص 89– 92).

(4) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 100–106).

(5) انظر: بن خياط، تاريخ خليفة (ص 124– 151)، بتصرف.

الفصل الثالث

جهود عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في تقرير العقيدة الصحيحة

المبحث الأول

المحافظة على العقيدة التي رسخها النبي (ﷺ) وأبو بكر وعمر (رضي الله عنهما)

قام الخليفة الراشد الثالث (رضي الله عنه) بالحفاظ على العقيدة التي ورثها عن رسول الله (ﷺ) وصاحبيه (رضي الله عنهما)، وذلك بأساليب عديدة، سأحاول التعرض لها إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: حفظه (رضي الله عنه) للعقيدة من خلال خطبه ورسائله ووصاياه

المتتبع لخطب أمير المؤمنين عثمان (رضي الله عنه) ورسائله ووصاياه يُدرك حرصه الدائم على أن تبقى العقيدة الإسلامية نقية وصافية كما ورثها عن رسول الله (ﷺ) وصاحبَيه، ويتضح ذلك جلياً من خلال:

أ. النصح للمسلمين:-

لقد أوجب رسول الله (ﷺ) النصح على المسلمين فيما بينهم حكاماً كانوا أو محكومين، فعن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ (رضي الله عنه)، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: (("الدِّينُ النَّصِيحَةُ"، قُلْنَا لِمَنْ ؟، قال: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم))[(1)].

ومن شدة أهمية النصح بين المسلمين، جعل (ﷺ) النصح لكل مسلم شرطاً في البيعة لبعض صحابته، فقد أخبر جرير بن عبد الله البجلي (رضي الله عنه)، فقال: ((فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ: "وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"))[(2)].

ولقد كانت أول رسالة كتبها عثمان (رضي الله عنه) لعامة الناس بعد توليه الخلافة متضمنة لنصيحة لهم تنص على تحذيرهم من الابتداع في الدين، وكانت نصيحته هذه دلالة قوية على عمق فهم الخليفة الجديد لواقع المسلمين، وما قد يؤول بالأمر بعد ذلك، فنصحهم قائلاً: ((أما بعد، فإنكم إنما بلغتم بالاقتداء والاتباع، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الدنيا صائرة إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب أن الدين النصيحة، (ج74/1): رقم الحديث (55).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان/ باب قول النبي (ﷺ): الدين النصيحة، (ج21/1)، رقم الحديث (58).

والأعاجم القرآن، فإن رسول الله (ﷺ) قال: "الكفر في العُجمة[1]، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا"))[2]، وما حذر عثمان (رضي الله عنه) منه المسلمون وقع تاريخياً[3]، فقد قال الإمام السيوطي: ((وقد وجدت السلف قبل الشافعي أشاروا إلى ما أشار إليه من أن سبب الابتداع الجهل بلسان العرب...، وأخرج البخاري في تاريخه الكبير عن الحسن البصري، قال: إنما أهلكتهم – أي أصحاب البدع– العُجمة))[4].

وكما بدأ الخليفة الراشد الثالث فترة حكمه بنصيحة عميقة وراشدة للمسلمين، ليحفظوا دينهم وعقيدتهم، فقد أنهى حياته كذلك بنصيحة مزلزلة لهم تمس عقيدتهم ووحدتهم، فقد خاطب المارقين الخارجين عنه: ((...وأما أن تقتلوني فوالله لئن قتلتموني لا تحابّون بعدي أبداً، ولا تصلون بعدي جميعاً أبداً، ولا تقاتلون بعدي عدواً جميعاً أبداً))[5].

ب. الحرص على محافظة الناس القيام بأركان الإسلام:-

حرص ذو النورين (رضي الله عنه) على أن تبقى أركان الإسلام راسخة في حياة المسلمين عملاً وأثرًا، حتى أنه وهو محاصر من قبل أصحاب الفتنة كان يوصي بأن يستمر المسلمون بالصلاة جماعةً ولو خلف إمامٍ من أهل الفتنة، فقد روى البخاري أن عبيد الله بن عدي بن الخيار تحرج من الصلاة خلف الإمام من أهل الفتنة[6] ، فاستشار عثمان (رضي الله عنه) في ذلك، فأشار إليه أن يصلي خلفه، وقال له: ((الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم))[7].

---

(1) يقول الراغب الأصفهاني في "مفردات غريب القرآن" (ص549): ((العُجْمَةُ: خلاف الإبانة، والإِعْجَامُ: الإبهام))، ويقول الفيروز آبادي في "القاموس المحيط": (ج 149/4): ((العجمة من العجم، وهو خلاف العرب)).

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج245/5).

(3) انظر: عرجون، عثمان بن عفان (ص199).

(4) السيوطي، صون المنطق (ج56/1-57).

(5) ابن كثير، البداية والنهاية (ج305/7)، نقله عن خليفة بن الخياط بسند متصل عن (وثاب)، و (وثاب) ممن أدركه عتق عثمان، وكان يقوم بين يديه، وكان قد أرسله (للأشتر) يسأله ماذا يريد الناس منه وهو محاصر (رضي الله عنه) في بيته.

(6) روي أن الذي كان يصلي بالناس أمير أهل الفتنة المعروف بالغافقي، ولكن هذه رواية ضعيفة. انظر: الصبحي، فتنة مقتل عثمان (ج145/1).

(7) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان/ باب إمامة المفتون والمبتدع، (ج141/1): رقم الحديث (695).

ومن حرصه على قيام المسلمين بالأركان كان يجتهد قدر استطاعته لييسر عليهم أمر القيام بها، ((فقد كان (ﷺ) يقدم القنوت في صلاة الصبح قبل الركوع ليتسنى لعدد أكبر من الناس أن يلتحقوا بصلاة الجماعة))[1]، وجاء ذات مرة إلى صلاة العشاء، فرأى أهل المسجد قليلاً، فاضطجع في مؤخر المسجد ينتظر الناس أن يكثروا[2]، وحين شعر بأن الناس تتأخر عن صلاة الجمعة لانشغالها بالتجارة، أمر أحدَ المسلمين بأن يؤذن على الزوراء[3] قبيل صلاة الجمعة ليتجهز الناس للصلاة[4] .

وأباح للناس أن يُخرجوا زكاة أموالهم بأنفسهم حين رأى أن في تتبعها زيادة ضرر بأربابها، حيث رأى من المصلحة أن يُفوض أداءها لأصحابها، فصار أربابها كالوكلاء عن الإمام[5] ، كما أنه كان يذكِّر الناس ليدفعوا زكاة مالهم، فعن عائشة بنت قدامة بن مظعون عن أبيها قالت: ((كنت إذا جئت عثمان (ﷺ) أقبض منه عطائي سألني: هل عندك من مال وجبت زكاته؟ فإن قلت نعم، أخذ من عطائي زكاة مالي، وإن قلت لا، دفع إليّ عطائي))[6].

وكان (ﷺ) ينصح الناس أن يشترطوا عند عقد نية الحج حتى لا يُكلفوا بما لا يُطيقوا عند حدوث ما يمنع حجهم ولرفع الحرج عنهم، فقد رأى (ﷺ) رجلاً واقفاً بعرفة فقال له: اشترطت؟ قال: نعم[7] ، وكان لا يشترط أن يرقى الصفا إلى قمته أو المروة إلى قمته، بل يكفي أن يقف عنده في أسفله، فعن ابن أبي نجيح عن أبيه قال: أخبرني من رأى عثمان يقوم في

---

(1) ابن قدامة، المغني (ج52/2)، بتصرف. فقد نقل ابن حجر عن طريق حميد عن أنس: ((أن أول مَن جعل القنوت قبل الركوع أى دائما عثمان لكي يدرك الناس الركعة)) (فتح الباري (ج491/2)).

(2) القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من أسانيد (ج352/23): رقم الحديث (247)، قال القرطبي معقباً: ((وهذا أيضا لا يكون مثله رأيا ولا يدرك مثل هذا بالرأي وقد روي مرفوعا عن النبي (ﷺ))).

(3) الزَّوراء: موضع بالمدينة قرب المسجد، وهو الذي زاد عليه عثمان النداء الثالث يوم الجمعة لما كَثُر الناس. (محققو مسند أحمد (ج155/20) في الحاشية).

(4) انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة/ باب الأذان يوم الجمعة، (ج8/2): رقم الحديث (912).

(5) انظر: الكاساني، بدائع الصنائع (ج7/2)، وانظر قلعه جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان (ص 192)، يقول صاحب الموسوعة: "تعتبر الدولة المسؤولة الأولى عن جباية الزكاة، ويُصدق صاحب المال فيها إن كانت من الأموال الباطنة– النقود– أما الأموال الظاهرة كالأنعام والزروع فإن الدولة تحصيها عليه".

(6) مالك: الموطأ، كتاب الزكاة/ باب بَابُ الزَّكَاةِ فِي الْعَيْنِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، (ج246/1): رقم الحديث (5)، قال صهيب عبد الجبار: إسناده صحيح (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (ج43/30))

(7) ابن أبي شيبة، المصنف (ج190/1)، قال الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح، إلا أن فيه انقطاعاً بين محمد بن سيرين وبين عثمان بن عفان (انظر: الطحاوي، شرح مشكل الآثار (ج155/15) في الحاشية).

حوض في أسفل الصفا ولا يظهر عليه[1] ، وكان – أيضاً– يُخرجُ إبل الصدقة معه لمكة ليحمل عليها الناس[2].

ت. تصويب الأخطاء التعبدية عند الناس:-

بلغ ذو النورين (ﷺ) أن رجالاً من أهل البصرة يسيئون استخدام رخصة القصر في السفر، فكتب إليهم: ((أما بعد: فإنه بلغني أن رجالاً منكم يخرجون إلى سوادهم إما في جشر – أي رعي غنم– وإما في جباية، وإما في تجارة، فيُقصرون الصلاة ولا يُتمون، فلا تفعلوا، إنما يُقصر الصلاة من كان شاخصاً–أي ترك بلده وتجاوزها– أو بحضرة عدو))[3].

ث. الحرص على إزالة ما يعيق تعبد الناس لرب العالمين: -

كان عثمان (ﷺ) من أحبِّ الأشخاص إلى الناس (وخاصة قريش) لما كان فيه من لين ورأفة، ولِما وسّع عليهم في الأعطيات، مما أثر على عبادات ضعاف النفوس والإيمان منهم، فأخذ بعضهم يقضون أوقاتهم في الملهيات، فتصدى لهم، وأمر بكسر هذه الملهيات وإتلافها، فقد علم أن بعض الناس تلعب الميسر –أي النرد– في بيوتها، فقام فيهم خطيباً، وقال: يا أيها الناس، إياكم والميسر – يريد النرد – فإنها قد ذكرت لي أنها في بيوت الناس معكم، فمن كانت في بيته فليحرقها أو فليكسرها، ثم علم أن البعض ما زال على غيه في هذا الأمر، فقام في الناس خطيباً مرة أخرى، فقال: يا أيها الناس إني قد كلمتكم في هذا النرد ولم أركم أخرجتموها، فلقد هممت أن آمر بحزم الحطب، ثم أرسلُ إلى بيوت الذين هم في بيوتهم فأحرقها عليهم[4].

كما لاحظ (ﷺ) أن الناس بدأت تنشغل عن العبادات والفرائض في تطيير الحمام[5]،

---

(1) انظر: الشافعي في "الأم" (325/2)، كتاب الحج: باب الخروج إلى الصفا، والبيهقي في "السنن الكبرى (ج95/5)، كتاب الحج: باب الخروج إلى الصفا والمروة والسعي بينهما والذكر عليهما.

(2) انظر: ابن أبي شيبة، المصنف (ج422/2): رقم الحديث (10648).

(3) انظر: ابن أبي شيبة، المصنف (ج203/2): رقم الحديث (8151)، وانظر: البيهقي، السنن الكبرى (ج137/3)، وانظر: قلعه جي، موسوعة فقه عثمان (ص 208).

(4) البيهقي: السنن الكبرى، باب كراهية اللعب بالنرد، (ج364/10): رقم الحديث (20956).

(5) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج415/5).

وكذلك بالاعتناء بالكلاب، فخطب الناس يوماً وأمرهم بقتل الكلاب وذبح الحمام(1)، كما ظهر الرمي بالجلاهق(2)، فاستعمل عثمان (ﷺ) رجلاً من بني ليث يقصُّ ريش الحمام ويكسر الجلاهق(3)، وما قام به عثمان (ﷺ) هو من الواجبات الرئيسة للخليفة والإمام (4).

وحين بنى مسجد الرسول (ﷺ) ووسعه في عهده ((جعل البناءون في سقفه أُترُجَّة، فكان الداخل إذا دخل يسمو ببصره إليها، فأمر عثمان بإزالتها حتى لا تشغل الناس عن الخشوع في الصلاة))(5).

ج. الرأفة بالمسلمين وإعانتهم على تأدية الفرائض: -

تميز الخلفاء الراشدون – ولا سيما عثمان (ﷺ) – برحمتهم بالناس، والعمل على إعانتهم لتأدية الفرائض وأخذ الأجر والثواب ما أمكن ذلك، وهذا ما يجب أن يكون عليه الإمام.

ومن الأمثلة على حرصه (ﷺ) ليؤدي الناس الفرائض ويُحصلوا أعلى الثواب وأتمه، فقد كان يقدم القنوت في صلاة الصبح قبل الركوع ليتسنى لعدد أكبر من الناس أن يلتحقوا بصلاة الجماعة(6)، وجاء ذات مرة إلى صلاة العشاء، فرأى أهل المسجد قليلاً، فاضطجع في مؤخر المسجد ينتظر الناس أن يكثروا(7)، وذهب ذات يوم ليغتسل غير غسل الجنابة، وإذا بالمنادي

---

(1) البخاري: الأدب المفرد، باب ذبح الحمام، (رقم 1307)، يقول قلعه جي: ((لقد شاع وانتشر أيام عثمان اللعب بالحمام وتطييره وترتب على ذلك أمور منها: الإلتهاء عن أداء الواجبات كذكر الله تعالى ونحوه، وضياع الوقت من غير ما فائدة، والاطلاع على عورات الناس بارتقاء الأسطح لتطيير الحمام، ولذلك اتخذ عثمان تدبيراً حازماً ضد الذين يلعبون ويطيرون الحمام، فأمر بذبح الحمام باعتباره آلة الجريمة))، موسوعة فقه عثمان (ص 151).

(2) الجلاهق: البُنْدُقُ الذي يُرْمَى به، وأصْلُهُ بالفارِسيَّةِ: جُلَهْ، وهي كُبَّةُ غَزْلٍ، (الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ص872)).

(3) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج386/10).

(4) انظر: أبوفارس، النظام السياسي في الإسلام (ص ص199–200).

(5) المصنف، ابن أبي شيبة (ج 69/2)، رواه عن عطاء الخرساني، بتصرف.

(6) انظر: ابن قدامة، المغني (ج152/2).

(7) سبق تخريجه (ص 144).

يناديه للصلاة فخرج ولم يكمل اغتساله حتى لا يؤخر الناس ويملوا، فخرج وقد غسل إحدى شقي رأسه، فقال: إن المنادي جاء فأعجلني، فكرهت أن أحبسه[1] .

ح. العمل على الوقاية من الفتن: -

ذكر القرآن الكريم كلمة "فتنة" ما يقارب الثلاثين مرة، وجاءت بمعاني عديدة أوصلها العلماء إلى أحد عشر معنى، وعقب ابن حجر على هذه المعاني بقوله: ((ويُعرفُ المراد حيثما ورد بالسياق والقرائن))[2]، وهذه المعاني هي: الابتلاء والاختبار، الصد عن السبيل والرد، العذاب، الشرك والكفر، الوقوع في المعاصي، اشتباه الحق بالباطل، الإضلال، القتل والأسر، اختلاف الناس وعدم اجتماع قلوبهم، الجنون، الإحراق بالنار[3]، ويرى ابن عاشور أن ((الفتنة لفظٌ يجمع معنى مرج واضطراب أحوال أحد وتشتت باله بالخوف والخطر على الأنفس والأموال على غير عدلٍ ولا نظامٍ، وقد تُخصص وتُعمم بحسب ما تضاف إليه أو بحسب المقام، يقال فتنة المال وفتنة الدين))[4]، ووضح الأمر -أيضاً- ابن القيم، فقال: ((وأما الفتنة التي يضيفها الله سبحانه إلى نفسه أو يضيفها رسوله إليه فهي بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر بالنعم والمصائب فهذه لون، وفتنة المشركين لون، وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون آخر، والفتنة التي يوقعها بين أهل الإسلام كالفتنة التي أوقعها بين أصحاب علي ومعاوية وبين أهل الجمل، وبين المسلمين حتى يتقاتلوا ويتهاجروا لون آخر))[5].

والفتن من أكثر الأمور التي أمرنا الله بأن نتقيها، وخاصة إن كانت فتنةً في العقيدة والعبادة، ولذلك جعل الله فتنة العقيدة أشد من القتل، فقال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:191]، أي ((الشرك أشد من القتل))[6]، وحذر الله عباده المؤمنين من عدم اتقاء الفتن وحذرهم من السكوت عنها وعدم دفعها ومدافعتها، فقال سبحانه ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الأنفال:25] أي أن الله ((أمر المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم الله بالعذاب))[7]، وهذا المعنى جاء عن رسول الله، حيث

---

(1) ابن أبي شيبة، المصنف (ج1/53)، وانظر: قلعه جي، موسوعة عثمان بن عفان (ص 237).
(2) ابن حجر، فتح الباري (ج11/177).
(3) انظر: الإسلام سؤال وجواب، (موقع إلكتروني)، تاريخ النشر: 2011/11/19.
(4) ابن عاشور، التحرير والتوير (ج1/643).
(5) ابن القيم، زاد المعاد (ج3 /170)، بتصرف.
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج1 / 30).
(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج2 /396)، وهذه رواية عن ابن عباس رواها عنه علي بن أبي طلحة.

قال (ﷺ): ((إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة))[1]، وحين ظهرت الفتنة التي أدت لمقتل عثمان (رضي الله عنه)، قال الزبير عن هذه الآية: ((لقد خُوِّفنا بهذه الآية ونحن مع رسول الله وما ظننا أننا خُصصنا بها خاصة))[2].

ولقد تصدى عثمان (رضي الله عنه) لأنواع عديدة من الفتن، كان من أبرزها فتنة الاقتتال على أوجه القراءة في القرآن، فيسر الله له جمع القرآن على حرفٍ واحدٍ، ومنع بذلك فتنة اختلاف القراءات، وفتنة اقتتال المسلمين فيما بينهم، كما تصدى لفتنة الخروج على الإمام الشرعي دون سبب شرعي معتبر، كما قام بأمورٍ عديدة تمنع أنواع أُخَر من الفتن بين المسلمين، كالفصل بين الرجال والنساء عند الخروج من المسجد مخافة الفتنة، وذلك حين جمع عثمان (رضي الله عنه) الرجال والنساء على قارئ واحد هو سليمان بن أبي حثمة ليصلي بالناس صلاة التراويح في الناس، فأمر النساء فيُحبسن حتى يمضي الرجال ثم يُرسلن[3] ، لعِلمه (رضي الله عنه) أن فتنة النساء على الرجال من أعظم الفتن على المسلم والتي قد تُفسد عليه عقيدته ودينه، ولا أدل على ذلك من قول النبي (ﷺ): ((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء))[4].

خ. التحذير من الابتداع في العبادات:-

الابتداع في العبادات يُفسدها ويُبطلها، لأنّ الله وحده هو الذي يشرع كيفية التعبد، وهذا من لوازم الانقياد والتسليم لله سبحانه، وهي ثمرة توحيد الألوهية، فلا يُعبدُ اللهُ إلا كما أمر.

وقد تصدى عثمان (رضي الله عنه) لكل بدعة في الإسلام، فحين جاءه عبد الله بن عامر إلى المدينة وكان قبلها قد قام بالإحرام من خراسان بهدف العمرة شكراً لله على النصر الذي تحقق على يده، قال له عثمان: ((لَيْتَكَ تَضْبِطُ مِنَ الْوَقْتِ الَّذِي يُحْرِمُ مِنْهُ النَّاسُ))[5].

---

(1) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين/ باب حديث بن عميرة الكندي، (ج258/29): رقم الحديث (17720)، قال محققو السند: "حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي عن الصحابي، وباقي رجال الإسناد ثقات".

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج2 /396)، وهذه رواية الحسن عن الزبير، وهناك روايات عديدة تشير لهذا المعنى.

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى، باب سليمان بن أبي حثمة (ج26/5).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح/ باب ما يُتقى به شؤم المرأة، (ج8/7): رقم الحديث (5096).

(5) البيهقي، السنن الكبرى (ج46/5): رقم الحديث (8933).

وفي رواية أخرى قال له: ((لقد غُرِرْتَ بعمرتك حين أحرمت من نيسابور))[1]!

كما رفض للمرأة المعتدة أن تسافر للحج أو العمرة وهي في عدتها، فهي لا ينبغي لها أن تبيت إلا في بيتها، ولذلك كان يُرجع المعتدة حاجةً كانت أو معتمرة من الجحفة وذي الحُليفة[2].

وتم الحديث عن رجالٍ من أهل البصرة أساءوا استخدام رخصة القصر في السفر، فكتب إليهم: ((أما بعد: فإنه بلغني أن رجالاً منكم يخرجون إلى سوادهم إما في جشر – أي رعي غنم– وإما في جباية، وإما في تجارة، فيُقصرون الصلاة ولا يُتمون، فلا تفعلوا، إنما يُقصر الصلاة من كان شاخصاً–أي ترك بلده وتجاوزها– أو بحضرة عدو))[3].

المطلب الثاني: اتباع منهج النبي (ﷺ) وأبي بكر وعمر (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا):

إن أول ما قاله (رضي الله عنه) بعد يوم من بيعته في خطبة وجهها للناس: ((أما بعد، فإني قد حُمّلتُ وقد قبلت، ألا وإني متبِّع، ولست بمبتدع، ألا وإن لكم علي بعد كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه (ﷺ) ثلاثًا: اتِّبَاعُ مَنْ كَانَ قَبْلِي فِيمَا اجْتَمَعْتُمْ عَلَيْهِ وَسَنَنْتُمْ، وَسَنُّ سُنَّةَ أَهْلِ الْخَيْرِ فِيمَا لَمْ تَسِنُّوا عَنْ مَلإٍ، وَالْكَفُّ عَنْكُمْ إلا فِيمَا اسْتَوْجَبْتُمْ...))[4]، وبذلك وضح طريقة حكمه للمسلمين، حيث يُعلن التزامه بالشرط الذي اشترطه عليه عبدالرحمن بن عوف قبيل بيعته، وهو أن يسير في حكم المسلمين ((عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ))[5]!

(1) البيهقي، السنن الكبرى: رقم الحديث (8934).
(2) انظر: عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، باب أين تعتد المتوفى عنها، (ج33/7): رقم الحديث (12071)، وانظر: ابن قدامة، المغني (ج166/8).
(3) سبق تخريجه (ص 145).
(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج 5/ 149).
(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأحكام/ باب كيف يبايع الإمام الناس، (ج78/9): رقم الحديث (7207).

إن سياج حفظ المسلم لعقيدته هو في اتباع كتاب الله وسنة رسوله، قال رَسُولَ اللهِ (ﷺ): ((تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ))[1] ، وكذلك في اتباع سنة الخلفاء الراشدين من بعده كما أرشد المعصوم (ﷺ): ((عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاء المهديِّين الراشِدين، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذِ))[2]، وحث عليه الصلاة والسلام على الاقتداء بأبي بكر وعمر خاصة، فقال: ((اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ))[3] .

ومن الأمثلة التي تُظهر اتباع عثمان للرسول وصاحبيه، أنه حين جُلد عبدُ الله بن جعفر الوليدَ بن عقبة[4] لشربه الخمر بأمر من عثمان وكان عليّ بن ابي طالب يعدُّ حتى بلغ أربعين جلدة، فقال عثمان: أمسك، ثم قال: جلد النبي أربعين، وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين، وكلٌّ سُنّة، وهذا أحبُّ إلي[5]، وإنما فعل ذلك لأن الوليد لم يُعرف بشرب الخمر، وكان يأخذ بسنة عمر فيجلد ثمانين لمن اعتاد شرب الخمر، فكأن الأربعين الأولى حداً والثانية تعزيراً[6].

ولقد تمثل اتباع عثمان لمنهج الرسول وصاحبيه جلياً، بأنه عمل على تنفيذ وصاياهم والاستمرار على ما كانوا عليه، وسنعرض فيما يلي ما يوضح ذلك:

أولاً: تنفيذه لوصايا رسول الله (ﷺ) والمحافظة عليها: -

لم يألُ عثمان (ﷺ) جهداً في تنفيذ وصايا رسول الله (ﷺ)، والمحافظة عليها، وتمثل بعضُ ذلك في:

---

(1) الإمام مالك، الموطأ (3338)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع (2937)، قال ابن عبد البر في التمهيد: "هَذَا مَحْفُوظٌ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، شُهْرَةً يَكَادُ يُسْتَغْنَى بِهَا عَنِ الْإِسْنَادِ (ج331/24).

(2) سبق تخريجه (ص 3).

(3) الترمذي: سنن لترمذي، أبواب المناقب/ باب مناقب عبد الله بن مسعود، (ج673/5): رقم الحديث (3807)، قال: حسنٌ صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، رقم (2944).

(4) هو: الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطِ بْنِ أَبِي عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَيُكْنَى أَبَا وَهْبٍ وَأُمُّهُ أَرْوَى بِنْتُ كُرَيْزِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَهِيَ أُمُّ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ مُعْتَزِلًا لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُعَاوِيَةَ، فَنَزَلَ الْجَزِيرَةَ بِالرَّقَّةِ، وَمَاتَ بِهَا، وَلَهُ بِهَا الْيَوْمَ عَقِبٌ.(ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج467/7)، بتصرف).

(5) انظر: مسلم: صحيح مسلم، كتاب الحدود/ باب حد الخمر، (ج1330/3): رقم الحديث (1707).

(6) انظر: قلعه جي، موسوعة فقه عثمان (ص 64).

1- محافظته (ﷺ) على آل النبي (ﷺ): -

إن حُبَّ رسول الله وأهل بيته والمحافظة عليهم من الإيمان، وقد وصى الرسول المسلمين بأهل بيته بمنطقة (بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا)(1) بين مكة والمدينة، وهو راجع من حجته، فخطب الناس قائلاً: ((أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي(2)، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي))(3)، وعن زَيد بن أرقمَ أن رسول الله (ﷺ) قال: ((إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا بعدي – أحدُهما أعظمُ من الآخَر –: كتاب الله، حبْلٌ ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما))(4).

قال ابن تيمية معلقاً على هذا الحديث: ((إنَّ النبيَّ (ﷺ) قال عن عِترته: إنَّها والكتاب لن يَفترقَا حتى يرِدَا عليه الحوضَ، وهو الصادقُ المصدوق؛ فيدلُّ على أنَّ إجماع العِترة حُجَّة، وهذا قولُ طائفةٍ من أصحابنا، وذكره القاضي في المعتمَد، لكن العترة هم بنو هاشم كلهم: ولد العبَّاس، وولد عليٍّ، وولد الحارث بن عبد المُطَّلب، وسائر بني أبي طالب وغيرُهم، وعليٌّ وحده ليس هو العِترة، وسيِّد العِترة هو رسولُ الله (ﷺ)... [و] إجماع الأمَّة حُجَّة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، والعترة بعضُ الأمَّة، فيلزم من ثُبوت إجماعِ الأمَّة إجماعُ العِترة.))(5) .

---

(1) يقول محمد فؤاد عبد الباقي: (((خما) اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة غدير مشهور يضاف إلى الغيضة فيقال غدير خم))، (المسند الصحيح – صحيح مسلم (ج1873/4))

(2) وفي الحديث نفسه، سأل حُصين راوي الحديث زيد بن أرقم (ﷺ): ((وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ)). (صحيح مسلم، رقم 2408).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل عليّ بن أبي طالب (ﷺ)، (ج1873/3): رقم الحديث (2408).

(4) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب المناقب/ باب مناقب أهل بيت النبي، (ج663/5): رقم الحديث (3788)، قال: حسن غريب، صححه الألباني في صحيح الترمذي (3788).

(5) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (ج393/7–397).

وسار على الدرب أبو بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) من قَبل، فقد قال أبو بكر (رضي الله عنه): ((ارقبوا محمداً (ﷺ) في أهل بيته))[1]، وقال الصدّيق أيضاً لعليّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا): ((والله لقرابة رسول الله (ﷺ) أحب إلى أن أصل من قرابتي))[2]، وعلى نفس الدرب سار الفاروق، حيث قال للعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ((والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله (ﷺ) من إسلام الخطاب))[3].

فحُبُّ النبي وآل بيته من علامات دخول الإيمان قلب الإنسان، فقد روى الإمام أحمد أن ((العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً، لقوهم ببشر حسن، وإذا لقونا، لقونا بوجوه لا نعرفها، قال فغضب النبي (ﷺ) غضباً شديداً، وقال: "والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لِلَّه ورسوله"، ثم قال: "يا أيها الناس مَن آذى العباس فقد آذاني إنما عم الرجل صنو أبيه"))[4].

والجدير ذكره في هذا المقام، أن الله عزوجل أرشد نبيه (ﷺ) ليقول لقريش في مكة وهو يدعوهم: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الشورى:23]، أي ((قل لا أسألكم عليه أجراً، لكن أسألكم المودّة في القُربى))[5]، فكان لرسول الله نسبٌ مع كل بطون مكة، فأحرى بالمؤمنين أن يودوا قرابة رسول الله (ﷺ).

ومن مظاهر محافظة عثمان على آل رسول الله (ﷺ) وتقديره لهم:-

- ضربه لمن استخف بالعباس عمِّ النبي (ﷺ): حيث ضرب رجلاً لأنه استخف بالعباس عمِّ النبي (ﷺ) وهو في منازعة معه، فقيل له عن مبررات ضربه، فقال: نعم، أيُفَخِمُ رسولُ الله (ﷺ) عمَهُ وأرخص في الاستخفاف به، لقد خالف رسول الله (ﷺ) من فعل ذلك ومن رضي الله به منه[6].

---

(1) سبق تخريجه (ص52).

(2) سبق تخريجه (ص 52)

(3) ابن القيم، زاد المعاد (ج354/3).

(4) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب المناقب/ باب مناقب أبي الفضل عم النبي (ﷺ)، (ج652/5): رقم الحديث (3758)، قال حديث حسن صحيح، قال الألباني: ضعيف إلا قوله عم الرجل فصحيح.

(5) الطبري، جامع البيان (ج524/21).

(6) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير (ج92/3)؛ وانظر: تاريخ الرسل والملوك (ج402/4).

❖ كان (ﷺ) إذا مر به العباس (ﷺ) وهو راكب نزل حتى يزول العباس احتراماً وتقديراً له[1] .

❖ تجاوزه عن حفصة بنت عمر زوج النبي (ﷺ): حيث إن جارية لها سحرتها، فاعترفت الجارية بذلك، فأمرت حفصة بها عبد الرحمن بن زيد فقتلها، فأنكر عليها ذو النورين، لأن ذلك من حق الخليفة لا حقها، فقال له ابن عمر: ما تنكر على أم المؤمنين امرأة سحرتها واعترفت، فسكت عثمان (ﷺ) [2].

❖ بعثه(ﷺ للشرطة عند لحد عمِّ رسول الله العباس(ﷺ، حيث تكاثر الناس على القبر فلم يستطع بنو هاشم لحده، فقامت الشرطة بإقصاء الناس جانباً حتى تمكن بنو هاشم من لحد العباس بن عبد المطلب (ﷺ) في قبره [3].

2- محافظته (ﷺ) على المدينة من أي سوء: -

إن مدينة رسول الله، هي ثغر الإسلام، ومأرِزُ الإيمان، وهي مُدخل الصدق، وهي دار الهجرة، وهي محرمة كمكة، وهي طيبة، وفيها جزء من الجنة، فالمحافظة عليها وعلى مسجدها وأهلها من الإيمان، والاعتداء عليها وعلى أهلها من الفسوق والعصيان، فحب المدينة والشوق إليها من حب رسول الله والشوق إليه، قال النَّبِيَّ (ﷺ): ((إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا))[4]، وصح عن النبي (ﷺ) أنه قال: ((مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةَ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ))[5]، وصح عنه أيضاً (ﷺ) قوله: ((وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ))[6] .

وقال ابن عباس، كان النبي (ﷺ) بمكة، ثم أُمر بالهجرة، فنزلت عليه ﴿**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً**﴾ [الإسراء: 80]

---

(1) ابن قدامة، التبيين في أنساب القريشيين (ص153).

(2) انظر: البيهقي، السنن الكبرى (ج8/136)، من طرق عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ به، ورجال إسناده ثقات.

(3) الحميداني، ولاية الشرطة في الإسلام (ص106).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة / باب الايمان يأزر للمدينة، (ج3/21): رقم الحديث (1876).

(5) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج/ باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله، (ج2/1007): رقم الحديث (1386).

(6) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج/ باب فضل المدينة، (ج2/992): رقم الحديث (1363).

فمخرج الصدق هي (مكة) ومدخل الصدق (المدينة)، وهذا أشهر الأقوال وأصحها في هذا المقام[1].

والنصوص الثابتة في فضائل المدينة ومكانتها كثيرة والحمد لله.

ومن مظاهر محافظة الخليفة عثمان على المدينة والأخذ بوصايا رسول الله بشأنها:

❖ إخراجه من يراه على شر أو يشهر سلاحاً في المدينة: لقد كثر الساكنون في المدينة المنورة من خارجها من الأعاجم ومن حديثي الدخول في الإسلام وذلك في نهاية خلافة الفاروق وفي زمن خلافة عثمان، فاختلفت العديد من السلوكيات، ولم تعد البيئة السكانية للمدينة نقية كما كانت من قبل، فظهر فيها بعضُ مَن كان يُشهر سلاحه فيها وينشر الشر بين أهلها، فجعل ((عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شر أو شهر سلاح، عصا فما فوقها إلا سيره))[2] ، والصحابة يعلمون تحذير النبي (ﷺ) من تخويف أهل المدينة ظلماً –كما مر معنا–، ولما رواه الإمام أحمد في مسنده مِن حَدِيثِ السَّائِبِ بنِ خَلَّادٍ (ﷺ)، أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: ((مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللهُ، وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا[3]))[4] .

❖ رفضه الخروج منها وإيثاره الموت فيها: فحين اشتدت الفتنة التي أدت لاستشهاده (ﷺ)، بعث للولاة ليستشيرهم، وكان ممن حضر المدينة معاوية بن أبي سفيان واليه على الشام، فأشار عليه معاوية بأمرين، أولها أن يخرج معه إلى الشام، قائلاً له: يا أمير المؤمنين: انطلق معي إلى الشام، قبل أن يهجم عليك من الأمور والأحداث ما لا قِبل لك به، فرد

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج82/3).

(2) انظر: تاريخ الرسل والملوك (ج416/5)، رواه عن سالم بن عبد الله (ﷺ).

(3) قال النووي في كتاب شرح النووي على مسلم (حديث 1366): ((قال المازري: اختلفوا في تفسيرهما، فقيل: الصرف: الفريضة، والعدل: النافلة، وقال الحسن البصري: الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة، عكس قول الجمهور، وقال الأصمعي: الصرف: التوبة، والعدل: الفدية، وروي ذلك عن النبي (ﷺ)، وقال يونس: الصرف الاكتساب، والعدل: الفدية، وقال أبو عبيدة: العدل: الحيلة، وقيل: العدل : المثل. وقيل: الصرف: الدية، والعدل: الزيادة، قال القاضي: وقيل: المعنى: لا تقبل فريضته ولا نافلته قبول رضا، وإن قبلت قبول جزاء، وقيل: يكون القبول هنا بمعنى تكفير الذنب بهما، قال: وقد يكون معنى الفدية هنا: أنه لا يجد في القيامة فداء يفتدي به بخلاف غيره من المذنبين الذين يتفضل الله عز وجل على من يشاء منهم بأن يفديه من النار بيهودي أو نصراني، كما ثبت في الصحيح)).

(4) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند المدنيين/ باب حديث السائب بن خلاد، (ج92/27): رقم الحديث (16557)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على قلب في اسم أحد رواته.

عليه عثمان (رضي الله عنه): أنا لا أبيع جوار رسول الله (ﷺ) بشيء ولو كان فيه قطعُ خيطِ عنقي[1].

فعثمان (رضي الله عنه) يعمل بذلك بوصية رسول الله (ﷺ)، حيث قال أبو سعيد الخدري: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا))[2]، وروى أبو هريرة أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: ((يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ! هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ! وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))[3]، وعثمان (رضي الله عنه) بذلك يسير على سنة الفاروق عمر حين دعا ربه قائلاً: ((اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك (ﷺ)))[4] .

ولولا أنَّ عدم الخروج من المدينة أمر عقائدي بالنسبة لعثمان (رضي الله عنه) لما قال لمعاوية: أنا لا أبيع جوار رسول الله (ﷺ) بشيء ولو كان فيه قطعُ خيطِ عنقي[5] ، ولقد كرر نفس الموقف حين عرض بعض الصحابة عليه الخروج إلى مكة فرفض، كذلك ولم يرضَ عن المدينة بديلاً[6]، حيث كان رده على المغيرة بن شعبة واضحاً كذلك حين عرض عليه عروضاً منها الخروج لمكة، فقال له: سمعت رسول الله يقول: يُلحد رجلٌ من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم"، ولن أكون أنا، ثم أردف قائلاً: لن أفارق دار هجرتي ومجاورة الرسول(ﷺ)[7].

❖ رفضه إدخال الجيوش إليها أو رفع السلاح فيها ضد الخارجين عليه: لقد رفض عثمان (رضي الله عنه) أن يرسل له معاوية جنوداً من الشام كخيار آخر بعدما رفض الخروج من المدينة، قال له معاوية: إذاً أبعث لك جيشاً من أهل الشام، يقيم في المدينة، لمواجهة الأخطار المتوقعة ليدافع عنك وعن أهل المدينة، فرد عليه الخليفة العظيم (رضي الله عنه) رافضاً لذلك: لا حتى لا أُقتِّر على جيران رسول الله الأرزاق، بجند تساكنهم ولا أضيق على أهل الهجرة

(1) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج353/5).
(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج/ باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها، (ج1002/2): رقم الحديث (1374).
(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج/ باب المدينة تنفي شرارها، (ج1002/2): رقم الحديث (1381).
(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة / باب (12)، (ج23/3): حديث رقم (1890).
(5) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج353/5).
(6) انظر: الصبحي، فتنة مقتل عثمان (ج166/1).
(7) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج211/7).

والنصرة، فقال له معاوية: يا أمير المؤمنين لتُغتالنَّ أو لتُغزينَّ، فرد عليه الخليفة الوفي لرسوله ولمدينته: حسبي الله ونعم الوكيل[1].

وبذلك عمل ذو النورين (ﷺ) بوصية رسول الله (ﷺ)، فعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ (ﷺ): أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: ((اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا، مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا[2]، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ))[3]، ولقد دفع (ﷺ) روحه ثمن ذلك، فقُتلَ شهيداً.

❖ رفضه إراقة الدماء فيها عند محاصرته: حاصر أهل الفتنة عثمان في داره، فعرض عليه الكثير من الصحابة وزعماء الأنصار أن يردوا هؤلاء ويقاتلوهم، ولكنه كان يرد عليهم بالرفض، وبأن يكفوا أسلحتهم ويلتزموا بيوتهم[4]! إنَّ هذا الفعل مِن قِبل الخليفة المظلوم منسجم مع نصائح رسول الله (ﷺ) وتحذيره من ترويع أهل المدينة وسفك الدماء فيها، فقدد روى جابر ابن عبد الله أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: ((من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي))[5]، وقال عليه الصلاة والسلام ((من أخاف أهل المدينة، أخافه الله))[6] .

إن النبيَّ (ﷺ) حرم قطع شجرها، فكيف بإراقة الدماء فيها، وجعل لعنة الله والملائكة الناس أجمعين على من أحدث فيها حدثاً، فقد روى أنس أن النبي (ﷺ) قال: ((المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يُقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين))[7].

---

(1) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج353/5)

(2) مأْزِمَيْهَا: وضحهما رسول الله (ﷺ) في الحديث: "الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ"، انظر: صحيح مسلم رقم (1370).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل المدينة/ باب الترغيب في سكن المدينة، (ج1001/2): رقم الحديث (1374).

(4) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج70/3)، قال الصلابي في سيرة عثمان (ص 381): إسناده صحيح.

(5) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة/ باب مسند جابر بن عبد الله، (ج121/23): رقم الحديث (14818)، قال محققو المسند: الحديث صحيح.

(6) سبق تخريجه (ص 154).

(7) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة/ باب حرم المدينة، (ج20/3): رقم الحديث (1867).

3- المحافظة على عهد الخلافة:-

إنّ من وصايا رسول الله (ﷺ) لعثمان (ﷺ) أن يحافظ على مقام الخلافة والخليفة، وهذه الوصية دفع عثمان دمه ثمناً للحفاظ عليها، فقد قال (ﷺ) يوم الدار حين حُصر: ((إن النبي (ﷺ) عهد إليَّ عهدًا فأنا صابر عليه، قال قيس- وهو راوي الحديث عن أبي سهلة- فكانوا يرونه ذلك اليوم))(1)، وهو يشير بذلك إلى ما رواه عبد الله بن عامر عن النعمان بن بشير عن عائشة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قالت: ((أرسل رسول الله (ﷺ) إلى عثمان بن عفان، فأقبل عليه رسول الله (ﷺ) ، فلما رأينا رسول الله (ﷺ) أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان آخر كلام كلَّمه أن ضرب منكبه وقال: يا عثمان، إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني، يا عثمان، إن الله عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني، ثلاثا"))(2)، وأكد ذلك أبو هريرة (ﷺ) حيث استأذن عثمان (ﷺ) في الكلام وهو محاصر، فأذن له: ((فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً، أو قال "اختلافا وفتنة"، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: "عليكم بالأمين وأصحابه"، وهو يشير إلى عثمان بذلك))(3)

4- إخراج المشركين من جزيرة العرب: -

مضى عثمان (ﷺ) على إنفاذ عهد رسول الله والحفاظ على ما فعله الفاروق من قبله حيث لم يرخص لأحد من أهل الذمة أن يقيم في الحجاز عامة وفي المدينة المنورة خاصة، ورخص لمن قدم منهم تاجراً أن يقيم ثلاثة أيام – فقط – لينفق بضاعته(4) .

5- مناصرة الأنصار والذود عنهم: -

كان المسلمون يعرفون مكانة بعضهم بعضاً في دين الله، فكان المهاجرون يعرفون فضل الأنصار، والأنصار يعرفون فضل المهاجرين، وكان من آخر ما أوصى به رسول الله

---

(1) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عثمان بن عفان (ﷺ)، (ج467/1): رقم الحديث (407)، قال محققو المسند: إسناده حسن.

(2) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند النساء/ مسند الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر، (ج467/41): رقم الحديث (24566)، قال محققو المسند: إسناده صحيح.

(3) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة/ مسند أبي هريرة (ﷺ)، (220/14): رقم الحديث (8541)، قال محققو المسند: إسناده حسن.

(4) انظر: قلعه جي، موسوعة فقه عثمان (ص 149).

(ﷺ) صحابته هو وصيته بالأنصار خيراً، حيث صعد (ﷺ) المنبر في مرضه الأخير، وقال بعدما حمد الله وأثنى عليه: ((أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي – أي بطانتي وخاصتي- وقد قضوا الذي عليهم[1] وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم))[2]، وعلى هذا النهج سار أبو بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) من بعده.

وبقي عثمان على عهد رسول الله (ﷺ) وصاحبيه، فحين شكا الأنصار ضابئ البرجمي[3] لهجائه قوماً منهم حبسه وبقي فيه حتى موته، فقد ذكر الطبري في تاريخه أن ((ضابئ بن الحارث البرجمي، هجا قوماً من الأنصار، وكان قد استعار منهم كلباً في زمن الوليد بن عقبة، يدعى (قرحان) يصيد الظباء، فحبسه ضابئ عنهم فانتزعوه " الأنصار" منه قهراً فهجاهم إلى أن قال :

فكلبكم لا تتركوا فهو أمكم *** فإن عقوق الأمهات كبير

فلما شكاه الأنصاريون إلى عثمان (رضي الله عنه) عزره وحبسه فما زال في محبسه حتى مات فيه))[4] .

ثانياً: اتباع هدي أبي بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا): –

إن قناعات الصحابة وفي مقدمتهم عثمان (رضي الله عنه) مبنية على أن أبا بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) يُهتدى بهم ويُقتدى وإن اختلفا في الحكم على المسألة الواحدة، ولذلك كانوا لا يحبون مخالفتهم في حياتهما ولا بعد موتهما، ويدل على ذلك أن عمر في آخر عهده أراد أن يُغيّر في رأيه بخصوص توريث الجد[5]، فقال لمن حوله وكان فيهم عثمان: إني رأيت في الجد رأياً، فإن رأيتم أن تتبعوه فاتبعوه، فقال له عثمان: ((إن نتبع رأيك فإن رأيك رُشد، وإن نتبع رأي الشيخ قبلك –

---

(1) يقول ابن حجر: ((يشير إلى ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة، فإنهم بايعوا على أن يؤووا النبي (ﷺ) وينصروه على أن لهم الجنة، فوفوا بذلك)) انظر: فتح الباري (ج7/122).

(2) سبق تخريجه (ص 98).

(3) ضابئ بن الحارث بن أرطاة التميمي البرجمي: شاعر، خبيث اللسان، كثير الشر، عرف في الجاهلية، وأدرك الإسلام، فعاش بالمدينة إلى أيام عثمان، وكان مولعا بالصيد، وله خيل، ومن شعره أحد أبيات الشواهد: (فمن بك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب)، وكان ضعيف البصر، ولما انطلق هجا قوماً من الأنصار، فأعيد إلى السجن، وعُرِضَ السُجناءُ يوماً فإذا هو قد أعد سكيناً في نعله يريد أن يغتال بها عثمان، فلم يزل في السجن إلى أن مات. (انظر: الزركلي، الأعلام (ج3/212)).

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج5/417).

(5) للوقوف على التفاصيل الفقهية للمسألة، يمكن الرجوع لموسوعة عثمان الفقهية (ص ص41-42).

يعني أبا بكر الصديق- فنعم ذو الرأي كان))[1]، فبالرغم من اختلاف حكم أبي بكر وعمر (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) في المسألة الواحدة إلا أن الصحابة كانوا يعتبرون الرأيين مقبولين، لأن رسول الله (ﷺ) وصاهم بذلك فسنتهم تلي سنة رسول الله (ﷺ) في المكانة[2].

واستمر الخليفة الراشد الثالث على نهج الخليفتين الراشدين من قبله في إدارة شؤون المسلمين ودولة الإسلام، ولا أدل على ذلك من استمراره في الجهاد في سبيل الله والفتوحات لنشر العقيدة الإسلامية بين الأجناس جميعها[3] ، وكذلك عمل على إبقاء مكانة آل الرسول مُهابة في صدور المسلمين[4] .

كما استمر على ما كان عليه الفاروق من معاملة لأهل الكتاب حيث أخرجهم الفاروق من جزيرة العرب؛ لأن ذلك كان تنفيذاً لوصية رسول الله (ﷺ)[5] ، وعلى نفس الخطى صار عثمان حيث لم يرخص لأحد من أهل الذمة أن يقيم في الحجاز عامة وفي المدينة المنورة خاصة، ورخص لمن قدم منهم تاجراً أن يقيم ثلاثة ايام لينفق بضاعته[6] .

وبقي عثمان على نهج سابِقيْه في العديد من احتهاداتهما الفقهية، ففي أحد مسائل الميراث وهو علم الفرائض رويَ ((أن ابن عباس قال لعثمان ﷺ: الأخوان في لسان قومك ليسا إخوة، فلم تحجب بهما الأم؟؟ من الثلث إلى السدس في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾[النساء:11]، فقال: لا أستطيع أن أنقض أمراً كان قبلي توارثه الناس ومضى في الأمصار))[7] أي ما عمل به أبو بكر وعمر (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا).

ومن الأمثلة على استمراره على اجتهاداتهما الفقهية، هو الاستمرار على جمع الناس على إمامٍ لهم في التراويح كما سنَّ الفاروق ذلك، وبنى عليه أن جعل للرجال والنساء إماماً واحداً لا إمامين، وهو سليمان بن أبي حثمة، وكان يأمر النساء فيُحبسن حتى يمضي الرجال ثم يُرسلن[8].

---

(1) البيهقي، السنن الكبرى، باب من لم يورث مع الجد (ج122/7): رقم الحديث (12421).
(2) انظر: الفصل التمهيدي.
(3) انظر: الفصل الثالث/ المبحث الثاني / المطلب الرابع.
(4) انظر: الفقرة السابقة.
(5) انظر: الفصل الثاني /المبحث الأول/ المطلب الثاني / أولاً، الفقرة (1).
(6) انظر: قلعه جي، موسوعة فقه عثمان (ص 149).
(7) ابن حزم، المحلى (ج258/9).
(8) ابن سعد، الطبقات الكبرى، باب سليمان بن أبي حثمة (ج26/5).

ولعل أعظم أمرٍ قام به عثمان وهو يقتدي بالشيخين من قبله أنه حافظ على هيبة الخليفة والخلافة، وحافظ على هيبة الأمة وعلى وحدتها ودفع دمه وحياته ثمناً لذلك (ﷺ).

المطلب الثالث: تقريره لمكانة الإمامة في الإسلام، ووجوب بقاء الأمة الإسلامية موحدة:

ذكرتُ أن أعظم أمرٍ قام به عثمان (ﷺ) هو حفظه لهيبة الخلافة والإمامة، ورفضه أن تصبح كالكرة يتنازع عليها صبية العقول وسفهاء الأحلام والغوغائيون، فإن كان أبو بكر (ﷺ) حفظها بأن أرسى قواعدها المبنية على الشورى والقرشية والعدل والجهاد وحفظ العقيدة.

وإن كان عمر (ﷺ) أرسى قواعدها أيضاً على ما كان عليه الأمر في عهد أبي بكر (ﷺ)، وأضاف عليها ضرورة الاجتهاد الرشيد المناسب لتوسع الدولة المسلمة وللتغير الحادث في المجتمع مع عدم المساس بأصول الدين والعقيدة والعبادات.

فإنّ عثمان (ﷺ) سار على دربيّ أبي بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، بل ضحى ببغي الغوغائيين عليه وصولاً لقتله لكي يبقى للأمة المسلمة خليفةٌ واحدٌ وقائدٌ واحدٌ وأن يبقى منصبُ الخليفة مهاباً ومصاناً.

1. تقريره أن من واجبات الإمام المحافظة على عقيدة المسلمين:-

إن أول واجبٍ ينبغي أن يقوم به الإمام والخليفة هو المحافظة على عقيدة المسلمين، وإن أفضل ما تُحفظ به العقيدة هو التذكير باليوم الآخر، وبوضاعة هذه الدنيا، وبالاستقامة وبالتدبر بمن سبق من الأقوام، وهذا ما بدأ به الخليفة الراشد الثالث خلافته حيث خاطب المسلمين قائلاً لهم: ((إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم صبحتهم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، اعتبروا بمن مضى، ثم جدوا ولا تغفلوا، فإنه لا يغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلاً؟ ألم تلفظهم؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلاً والذي هو خير فقال: ﴿**وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿**أَمَلًا**﴾[الكهف:45-46]))[1] .

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج153/7)، وانظر تاريخ الرسل والملوك (ج43/5).

وكان يوجه المسلمين للالتزام بكلمة التوحيد والعلم بها؛ لأنها تدخل الجنة، فقد روى (ﷺ) عن رسول النبي (ﷺ) قوله: ((من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة))[1]، كما كان يوجههم لخطورة الابتداع، ويبصرهم بأسباب حدوثه، ولا يوجد شيءٌ أضرّ على عقيدة المسلم من الابتداع من تقليد الأمم الأخرى بدلاً من الاقتداء والاتباع، فكتب (ﷺ) للناس كتاباً قال لهم فيه: ((أما بعد، فإنكم إنما بلغتم بالاقتداء والاتباع، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الدنيا صائرة إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فإن رسول الله (ﷺ) قال: "الكفر في العُجمة، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا"))[2] .

ومعلومٌ أن استقامة عقيدة الإنسان وعبادته وسلوكه منوطة بدوام ذكره للآخرة ولثوابها وعقابها، لذا نراه يعلم الناس ذلك فيقول: ((لَوْ أَنِّي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَلَا أَدْرِي إِلَى أَيَّتِهِمَا يُؤْمَرُ بِي لَاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيَّتِهِمَا أَصِيرُ))[3].

2. تقريره (ﷺ) أن من واجبات الإمام المحافظة على حقوق المسلمين وأموالهم:-

لقد كانت تصرفات عثمان (ﷺ) فيما يخص الحفاظ على حقوق الناس دليلاً دامغاً على أنّ ذلك من واجبات الإمام، فعمل على الحفاظ على هذه الحقوق للصغير والكبير، والقوي والضعيف، والذكر والأنثى، فقد أمر بحفظ ما يُعطى للصغير حتى يكبر ولو كان العاطي والده، فقال: ((مَن نحل ولداً صغيراً نحلةً لم يبلغ أن يحرز نحلته فأعلن ذلك وأشهد على نفسه فهي جائزة، وإن وليها أبوه))[4].

ولقد ورّثَ المرأة التي يطلقها زوجها في مرض موته، حيث ورث طليقة عبد الرحمن بن عوف بعد وفاته لأنه طلقها وهو في مرض الوفاة، وبذلك يقوم عثمان بمعاملة الزوج بنقيض قصده، لأن الزوج بطلاقه في مرض الموت يعتبر فاراً من توريث زوجته[5]، وأمر بأن تُعقل الإبل الضالة وتباع، ويبقى ثمنها أمانة في بيت المال حتى إذا سأل عنها صاحبها أُعطيت

---

(1) أحمد: مسند أحمد، باب مسند عثمان بن عفان، (ج509/1): رقم الحديث (464)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (ج245/4)، ومثال ذلك قول الحسن البصري في بعض المبتدعة: ((أهلكتهم العُجمة)) (البخاري، التاريخ الكبير (ج93/5)).

(3) أبو نعيم: حلية الأولياء، المهاجرون من الصحابة / عثمان بن عفان، (ج60/1).

(4) ابن قدامة، المغني (ج602/5).

(5) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج8/ 219)، قال الألباني في إرواء الغليل رقم: (1721): صحيح.

له[1]، ومن حرصه على أموال الناس وصيانتها، فقد نهى عن جباية كرائم الأموال في الزكاة، وأمر في استئذان زكاة الثمر[2]، بل كان (رضي الله عنه) يرى أن الإمام إن كان غنياً أن لا يأخذ شيئاً من بيت مال المسلمين، وكان ينفق على نفسه وعياله من ماله، ولم يأخذ شيئاً من بيت مال المسلمين.

3. تقريره (رضي الله عنه) أن إقامة الحدود والعقوبات من حق الخليفة لا غيره:-

العقوبات والحدود يقوم بها الإمام أو مَن ينوب عنه من مؤسسات الدولة، ولا يجوز لأحد أن يأخذ بتطبيق ذلك لوحده، وإلا أصبحت الحياة فوضى وانعدم النظام والأمان، وهذا ما أراد عثمان (رضي الله عنه) توضيحه لأم المؤمنين حفصة، حيث أنكر عليها قتل جارية لها كانت قد سحرتها، واعترفت الجارية بذلك دون الافتئات على حق الإمام، وقد كانت حفصة أمرت عبد الرحمن بن زيد ليقتلها فقتلها، فأنكر ذلك عليها عثمان، فقال: ابن عمر: ما تنكر على أم المؤمنين امرأة سحرتها واعترفت، فسكت عثمان [3].

(1) انظر: القرطبي الأندلسي، المنتقى شرح الموطأ (ج143/6).

(2) انظر: قطب، السياسة المالية لعثمان (ص 64).

(3) سبق تخريجه (ص 153).

المبحث الثاني:
منهج عثمان بن عقان (رضي الله عنه) في تقرير العقيدة

اختط الخليفة الراشد الثالث منهجاً واضحَ المعالم في تقرير العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، وهذا المنهج لا يختلف عن منهج سابقيْه (رضي الله عنهما)، إلا بإضافة منهجية الشعر والوصايا بشكل يعكس طبيعة شخصية ذي النورين والتي تتسم بالحياء، فهو الذي تستحي منه الملائكة.

وسيتمُ تفحص العناصر الستة المكونة لهذا المنهج ليكون لنا نبراساً ومرشداً بجانب عناصر منهج مَن سبقه، وسأتعرض لكل مَعْلم من معالم هذا المنهج الراشد القويم في مطلب لوحده.

المطلب الأول : المحافظة (رضي الله عنه) على مصادر العقيدة.

إنّ أول عنصر وأول مَعْلمٍ من معالم منهجه (رضي الله عنه) هو المحافظة على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والثابتة عن رسول الله (ﷺ)، وهذه المحافظة انتهج لها طرقاً ووسائل عديدة، تناسبت مع المتغيرات التي طرأت على مجتمع أهل مدينة رسول الله (ﷺ)، وعلى توسع الدولة المسلمة حيث دخلت أفواجاً مهولة من الناس في دين الله سبحانه.

أولاً: المحافظة على القرآن الكريم: -

إذا ذُكر القرآن ذُكر عثمان، وإذا ذُكر عثمان ذُكر القرآن، بل قلما تجد صحابياً قد قضى معظم أوقاته مع القرآن قراءةً وتدبراً وإتقاناً وحفظاً كعثمان بن عفان، وعلاوةً على ذلك كان من كتبة الوحي في عهد رسول الله (ﷺ)[1]، ولا أدلّ على ذلك تصرفه حين استشهاده، فحين حرق المنافقون المسلحون باب بيته، وتصدى لهم بعض الصحابة، كان عثمان (رضي الله عنه) يُصلي ويتلو من سورة طه، ويُسرع في القراءة ليُنهي السورة قبل وصولهم إليه، فما تلعثم وما تعتع في آية، فأنهاها قبل أن يصلوا إليه، ثم دعا فجلس وقرأ ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ**

(1) حين قتله أحد المجرمين الخوارج هوى عليه بالسيف فتلقاه بيميه فقطعه، فقال عثمان: "أما والله إنها لأول كف خطت المفصل"، أي كانت يده أول من كتبت المصحف بإملاء من رسول الله. (تاريخ الرسل والملوك (ج5/398)).

﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[آل عمران:137][(1)]، ثم نشر المصحف بين يديه وأخذ يقرأ منه فقتلوه وهو على هذه الهيئة فانتضح دمه الشريف على المصحف عند قوله تعالى: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:137][(2)].

وقد عمل الخليفة الراشد الثالث على حفظ القرآن الكريم بين المسلمين بوسائلَ عديدة، فحفظه (ﷺ) من خلال:

1. كثرة قراءته له: -

لقد اشتهر عثمان (ﷺ) بكثرة قراءته للقرآن، حتى أنه قرأ القرآن ذات ليلة بركعة وتر واحدة لم يصلِّ غيرها في تلك الليلة[(3)]، وكان معروفاً بين المسلمين بكثرة قيامه في الليل ساجداً وقائماً، فكان عبد الله بن عمر يقول: إنّ عثمان هو المقصود في قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾[الزمر:9] [(4)]، وقد ذكر ذلك القحطاني في نونيته، حيث قال واصفاً عثمان:

مَنْ كَانَ يَسْهَرُ لَيْلَهُ في رَكْعَةٍ *** وِتْرًا فَيُكْمِلُ خَتْمَةَ الْقُرْآنِ[(5)].

وما ذهب إليه القحطاني كان قد أشار إلى مثله حسان بن ثابت حين رثى عثمان لما قتلوه، فقال:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به *** يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً[(6)]

وقال الحسن البصري: ((وما مات عثمان حتى خَرِق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه))[(7)].

(1) انظر: الصبحي، فتنة مقتل عثمان (ج169/1)، وانظر: تاريخ الرسل والملوك (ج404/5).

(2) انظر: تاريخ الرسل والملوك (ج398/5)، يقول الصلابي: ((الخبر له طرق عديدة بمجموعها يرتقي لدرجة الحسن لغيره))، (الصلابي، فتنة مقتل عثمان (ص134)).

(3) انظر: البيهقي، السنن الكبرى (ج24/3)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (ج76/3)، قال الشيخ محمد بن صامل السلمي في كتابه تاريخ الخلفاء الراشدين (ص 352): صححه الذهبي في تاريخ الإسلام.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية (ج388/10).

(5) الإمام القحطاني الأندلسي، النونية القحطانية، طبعة دار الحرمين، القاهرة، الطبعة الأولى لعام 1418هـ.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية (ج388/10).

(7) المرجع السابق، نفس الصفحة.

2. **تعليمه للناس: -**

لقد قام عثمان (ﷺ) بإبلاغ الناس عن حديثٍ عظيم عن رسول الله (ﷺ) في فضل تعليم وتعلم القرآن الكريم، واشتهر هذا الحديث بين المسلمين عبر العصور، فعن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ ﷺ)، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))، قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ، قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا[1].

3. **جمعه وتعظيمه: -**

يُعتبر جمعُ القرآن على حرفٍ أهم الإنجازات العقائدية والتشريعية التي قام بها الخليفة الراشد الثالث، فبه حفظ الله كتابه كما وعد سبحانه ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**﴾[الحجر:9]، وبحفظ كتاب الله يتم حفظ سنة رسول الله (ﷺ) وحفظ دين الله.

كان القرآن قد جُمع في عهد أبي بكر الصديق[2]، وانتقلت نسخة الخليفة الأول للثاني ثم لابنته حفصة أم المؤمنين، وحين عزم عثمان (ﷺ) على جمع القرآن على حرفٍ واحد، أرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القُرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا كما أمرهم.

وسبب هذا الجمع للقرآن أن حذيفة بن اليمان (ﷺ) كان في الغزو وشارك أهل الشام والعراق في فتح أرمينية وأذربيجان، ورأى اختلاف قراءات الناس للقرآن، حيث أهل الكوفة يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، وأهل البصرة بقراءة أبي موسى الأشعري[3] ، وأهل الشام يقرأون

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن/ باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، (ح192/6): رقم الحديث (5027).

(2) انظر: الفصل الأول (ص49).

(3) ابن حجر، الإصابة (ج360/2).

بقراءة أبي الدرداء[1] ، فقدم حذيفة (ﷺ) إلى عثمان (ﷺ) في المدينة، وقال له: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كاختلاف اليهود والنصارى[2] .

قال مالك ابن أنس: اختلفوا في القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون فبلغ ذلك عثمان بن عفان، فقال: عندي تكذبون به وتُلحنون فيه! فمن نأى عني كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً، يا أصحاب محمد: اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً فاجتَمَعوا وكتبوا[3] .

وبعدما انتهى الأربعة – زيد بن ثابت الأنصاري والقُريشيون الثلاثة – من نسخ الصحف في المصاحف أرجع عثمان الصحف لحفصة، وأرسل إلى كل أُفقٍ مصحفاً مما نسخوا وأبقى لديه مصحفاً واحداً[4] ، وأمر بسواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يُحرق، بل وأمر عبدالله ابن مسعود أن يمحوا كل الإضافات والشروحات التي كان وضعها على مصحفه، وكان ذلك من توفيق الله لعثمان حيث لم تبقَ شروحات ابن مسعود في الأرض حتى لا تختلط بالقرآن[5] .

وهنا لا بد من وقفات، وهي:

- قام الخليفة عثمان (ﷺ) بجمعه للقرآن بأهم واجبين من واجبات الإمام نحو الأمة، وهما حفظ عقيدتها من التحريف، وحفظ أفرادها من الاختلاف.

---

(1) أبو الدرداء هو: عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي حكيم الأمة، وأحد الذين جمعوا القرآن حفظاً على عهد النبي (ﷺ) بلا خلاف، أرسله عمر بن الخطاب إلى بلاد الشام مع معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت، وُليَ قضاء دمشق زمن عثمان وهو أول قاض وليها، وكان من العلماء الحكماء. توفي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، ولم يخلف بعده بالشام مثله، نبغ من تلامذته في القراءة أهم قُراء أهل الشام وأحد القراء السبعة وهو عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي. (انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج4/14–19)).

(2) انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن/ باب جمع القرآن، (ج6/183): رقم الحديث (4986).

(3) انظر: عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن (ص105).

(4) أرسل عثمان إلى كلٍ من: الشام والكوفة والبصرة واليمن مصحفاً، حيث نسخوا خمسة مصاحف وبقي الخامس لديه. (انظر: مدوخ، المختصر المفيد (ص26)).

(5) انظر: العواصم من القواصم (ص ص 78–79).

- كما أثبت الخليفة بحرقه للنسخ الأخرى من الصحف أن قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[1] يمكن تطبيقها على الوسائل التي تقرر المسائل العقائدية، حيث يجب على الإمام الحق الثقة أن يقوم بإيجاد الوسائل التي تُساعد على حفظ عقيدة المسلمين ودينهم بشرط عدم تعارض هذه الوسائل مع أصول العقيدة والدين، وذلك بعد استشارة أهل العلم العُدول، ومن ثمّ إجبار المسلمين على الأخذ بها، وذلك بغرض وحدة الأمة وصيانتها من الاختلاف، وهذا تمثل أيضاً في إجباره بن مسعود على محو الرسومات على مصحفه، وإلزامه بالترتيب المُجمع عليه.
- أن فعل عثمان في زمن مازال معظم الصحابة يشهدونه دون اعتراضٍ منهم بل وإقرارهم عليه يُعتبر إجماعاً على فعله كما كان الحال حين جمع أبو بكر القرآن مِن قبل.
- أنّ كل فعلٍ يعمل على وحدة عقيدة المسلمين ودينهم ورأيهم يبقى أثره في نفوس المؤمنين إلى قيام الساعة، فها نحن نقرأ المصحف على هذا الحرف الذي جمع عثمان القرآن عليه، وبالرسم المتعلق باسمه وهو الرسم العثماني، بالرغم من مرور أكثر من أربعة عشر قرناً على ذلك الجمع.

الفرق بين جمع أبي بكر (رضي الله عنه) وجمع عثمان (رضي الله عنه) للقرآن:

يقول الشيخ حمدي مدوخ (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)[2] : ((إنّ جمع أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حفاظه وحملته من الصحابة لمقتل سبعين من القراء في حروب الردة، ولأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد مرتباً كما أخبرهم رسول الله (ﷺ)، أما جمع عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فكان لما كثر الاختلاف بين المسلمين في وجود القُرّاء، حتى قرأوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض))[3]، وكادت تنشب بين كل فريق وآخر خلافات ينتج عنها تعصبٌ مذموم، فوقى الله الأمة من ذلك والحمد لله رب العالمين.

---

(1) يقول الإمام ابن الفراء في كتابه العدة في أصول الفقه شارحاً لهذه القاعدة: ((إذا أمر الله تعالى [عبده] بفعل من الأفعال وأوجبه عليه، وكان المأمور لا يتوصل إلى فعله إلا بفعل غيره؛ وجب عليه كل فعل لا يتوصل إلى فعل الواجب إلا به))، (ج419/2)، وانظر: آل تيمية، المسودة في أصول الفقه (ج60/1-62).

(2) هو: الشيخ المقريء حمدي سعيد حامد مدوخ من غزة، توفي في أغسطس (2001م)، وكان شيخ المقاريء الفلسطينية حتى وفاته، وما زال منصبه شاغراً حتى اليوم.

(3) مدوخ، المختصر المفيد (ص ص26-27)، بتصرف

ومن معالم تعظيم المسلمين للقرآن في عهده، أنهم بدأوا بتحلية المصاحف بعدما جمعه عثمان، وكانوا يزينونه بالفضة[1] !

4. استحضار فقه آياته: -

كان عثمان (ﷺ) دائم استحضار آيات القرآن الكريم، والنزول على حكمها وإن كان خلاف ما يريد، فقد أراد أحد غلمانه أن يكاتبه[2] مقابل عتقه، فأخذ الغلام معه عبد الله بن الزبير، فقال الزبير لعثمان: يا أمير المؤمنين كاتب فلاناً، فقطب عثمان جبينه، ثم قال: نعم، ولولا أنه في كتاب الله ما فعلت ذلك[3] ، وهو يعني قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[النور:33].

وقد تميّزت خُطبُ عثمان (ﷺ) ورسائلُه بكثرة الآيات التي تحتويها والتي يَستشهدُ بها، حتى وهو مُحاصَر ومُهدد بالقتل، ولا أدل على ذلك من رسالته للناس في الحج والخوارج يحاصرونه حيث انتدب عبد الله بن عباس للحج، وأمره أن يقرأ هذه الرسالة على المسلمين في الحج، بيّن فيه قصته مع الخوارج عليه، وموقفه منهم، وطلباتهم منه[4] .

5. تدبر آياته: -

كان عثمان (ﷺ) إذا سأله أحد الناس مسألة، تدبر في كتاب الله ليستخرج حكمها، فيجمع بين النصوص الخاصة بهذه المسالة ثم يُعطي حكمه، فقد سأله دينار الأسلمي عن وطء الأَمَة وأختها بملك اليمين؟ فقال عثمان: ((أحلتهما آية، وحرمتهما آية أخرى[5] ، ولم أكن لأفعل ذلك))[6].

---

(1) روى الإمام المستغفري النسفي أن ((الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس عن حلية السيوف والمصاحف فقال: كان مَن أدركت من التابعين لا يرون بذلك بأساً وهذا مصحف جدي مفضض بالفضة، حدثني أبي أن أباه أخبره أنه كان يكتب المصاحف حين جمع عثمان المصاحب على قراءة واحدة، وأنه فضضه في تلك الأيام، قال الوليد: فسألته أن يخرجه إلي فأخرجه فإذا مساميره فضة))، (فضائل القرآن (ج240/1))، وانظر قلعه جي، موسوعة فقه عثمان (ص 150).

(2) المكاتبة: هي الإعتاق على مال يؤديه الرقيق (قلعه جي، موسوعة فقه عثمان (ص 179)).

(3) ابن حزم، المحلى (ج223/9).

(4) انظر: الخالدي، الخلفاء الراشدون (ص ص167–168)، وللاطلاع على نص الرسالة كاملة، انظر: تاريخ الرسل والملوك (ج5 / 425–431).

(5) الآية التي أحلتهما هي الآية السادسة من سورة المؤمنون، والآية التي حرمتهما هي الآية (23) من سورة النساء.

(6) ابن حزم، المحلى (ج133/3).

وفي رواية أخرى قوله ((أحلتهما آية، وحرمتهما آية أخرى، وما كنت لأمنع ذلك))[1].

6. حفظ تفسيره من الزلل: -

لم يكن عثمان (ﷺ) مُعلماً لتلاوة القرآن أو قارئاً له فقط، بل كان فقيهاً لآياته، فهو قد جمع القرآن في عهد رسول الله (ﷺ)، وربما لم يتعاهد أحدٌ القرآن كما تعاهده عثمان لا من الصحابة ولا مَن بعدهم، فكان يفقه آياته، ويَعلَمُ حلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، وأسباب النزول وغيرها من الجوانب التي تعتني بالقرآن الكريم، فحين أراد المنافقون البغاة القادمون من مصر أن يحاججوه في توسيعه لأرض الحمى، طلبوا منه أن يقرأ سورة يونس حتى وصل قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[يونس:59]، فقالوا له: قف، أرأيت ما حميتَ من الحمى، آالله أذن لك ذلك أم على الله تفتري، فقال: امضه، نزلت في كذا وكذا[2]، فأمى الحمى فإن عمر حمى قبلي لإبل الصدقة، فلما ولّيتُ زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لِما زاد في إبل الصدقة[3].

ثانياً: حفظه للسُنّة النبوية: -

لقد تعددت وسائل الخليفة الراشد الثالث في حفظه لسنة رسول الله (ﷺ)، ومن هذه الوسائل:

1. تعليم الناس السُنّة وذكر أجرها: -

عُرف عن عثمان (ﷺ) أنه كان يوضح للناس السُنّة وخاصة الفعلية منها كما شهدها من رسول الله (ﷺ)، ويذكر لهم أجر فعلها كما بينه له رسول الله (ﷺ)، يقول الحارث مولى عثمان: ((جلس عثمان يوماً وجلسنا معه فجاءه المؤذن فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مد، فتوضأ، ثم قال: رأيت رسول الله (ﷺ) يتوضأ وضوئي هذا، ثم قال: ومَن توضأ وضوئي ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح، ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب ثم لعله أن يبيت يتمرغ ليلته ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له

(1) مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي (ص222).

(2) ((يقصد أنها نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يُحلّون ويُحرمون من البحائر والسوائب والوصايل))، انظر: قلعه جي، موسوعة فقه عثمان (ص 151).

(3) انظر: البيهقي، السنن الكبرى (ج 147/6)، انظر: قلعه جي، موسوعة فقه عثمان (ص 151).

ما بينها وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يذهبن السيئات قالوا: هذه الحسنات فما الباقيات يا عثمان قال هنَّ لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله))[1].

2. العمل بالسُنّة: -

إن أوجب درجات اتباع سنة النبي في هديه (ﷺ) بما يتعلق بالعبادات، وهذا ما كان يحرص عليه عثمان (رضي الله عنه)، فقد جاء ذات مرة إلى صلاة العشاء، فرأى أهل المسجد قليلاً، فاضطجع في مؤخر المسجد ينتظر الناس أن يكثروا[2] ، وهذا الفعل هو ما كان يقوم به رسول الله (ﷺ)، قَالَ الْبَاجِيُّ معلقاً على ذلك: ((لِأَنَّ مِنْ أَدَبِ الْأَئِمَّةِ بِالنَّاسِ انْتِظَارَهُمْ بِالصَّلَاةِ إذَا تَأَخَّرُوا وَتَعْجِيلَهَا إذَا اجْتَمَعُوا، وَقَدْ فَعَلَهُ (ﷺ) فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ))[3]، وهو بذلك يشير إلى حديث جابر بن عبد الله في مواقيت الصلوات الخمس لرسول الله (ﷺ)، والذي جاء فيه أن رسول الله (ﷺ): ((كان يصلي الْعِشَاءَ أَحْيَانًا يُؤَخِّرُهَا، وَأَحْيَانًا يُعَجِّلُ، كَانَ إِذَا رَآهُمْ قَدِ اجْتَمَعُوا عَجَّلَ، وَإِذَا رَآهُمْ قَدْ أَبْطَئُوا أَخَّرَ))[4].

ومن مظاهر تمسك عثمان (رضي الله عنه) بسنة حبيبه رسول الله (ﷺ)، استدراكه لما فاته من سنة رسول الله (ﷺ) حتى وإن كان ناسياً، فها هو ذات يوم يصعد المنبر ليخطب بالناس الجمعة فتذكر أنه نسي أن يستاك، فقال للناس: ((أيها الناس إني نسيت السواك، فنزل فاستن ثم رجع إلى المنبر))[5].

ومن أمثلة عمله بالسُنة وإحيائه لها، أنه حين تُوُفِّيَ له ولد ((وَهُوَ مُحْرِمٌ فَلَمْ يُخَمِّرْ رَأْسَهُ ، وَلَمْ يُقَرِّبْهُ طِيبًا))[6]، وفعل ذلك مع عبد الله بن الوليد حين خرج مع عثمان معتمراً فمات بالسُقيا وهو مُحرم، فلم يُغيّب عثمان رأسه، ولم يُمسسه طيباً[7] ، وذلك لأن النبي فعل مثل

---

(1) أحمد: مسند أحمد، مسند الخلفاء الراشدين، مسند عثمان بن عفان، (ج537/1): رقم الحديث (513)، قال محققو المسند: إسناده صحيح.

(2) القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من أسانيد (ج352/23): رقم الحديث (247)، وانظر: قلعه جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان (ص 236).

(3) الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (ج471/1).

(4) مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب استحباب التبكير بالصبح، (ج446/1): رقم الحديث (646).

(5) عبد الرزاق، المصنف (ج307/3): رقم الحديث (5745).

(6) البيهقي، السنن الكبرى (ج115/5): رقم الحديث (9198).

(7) البيهقي، السنن الكبرى (ج553/3): رقم الحديث (6650).

ذلك مع مَن مات محرماً، حيث توفي رجل بعرفة وهو واقفٌ مع رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ): ((اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً))[1].

بل كان يقلد رسول الله (ﷺ) في حركاته عند الإتيان بسنته، فقد روى حمران بن أبان عن عثمان (رضي الله عنه): ((أنه دعا بماء فتوضأ ثم ضحك فقال لأصحابه: ألا تسألوني ما أضحكني؟ فقالوا: ما أضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال رأيت رسول الله (ﷺ) توضأ كما توضأت ثم ضحك، فقال: "ألا تسألوني ما أضحكك؟"، فقالوا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: "إن العبد إذا دعا بوضوء فغسل وجهه حط الله عنه كل خطيئة أصابها بوجهه، فإذا غسل ذراعيه كان كذلك، وإذا طهر قدميه كان كذلك))[2].

3. تنفيذ أوامر رسول الله (ﷺ) والعمل على ذلك: -

كان عثمان شديد الالتزام بأوامر رسول الله (ﷺ)، ويكفي هنا أن نذكر كيف ضحى بنفسه ليطيع رسول الله (ﷺ)، فقد روى قيس عن أبي سهلة أن عثمان، قال يوم الدار حين حصر: ((إنَّ النبي (ﷺ) عهد إليَّ عهداً فأنا صابر عليه، قال قيس فكانوا يرونه ذلك اليوم))[3] .

4. التأكيد على مرجعية السُنة بجانب القرآن الكريم: -

لقد نهى القرآن الكريم عن شرب الخمر ولكنه لم يتحدث عن النبيذ، إلا أن رسول الله (ﷺ) نهى[4] من الانتباذ في الدّباء والنقير والمُزَفت والحنتم[5] ، وأجازه فيما غير ذلك، ولقد جلد عثمان ابن عفان رجلاً أُتي به إليه معه نبيذ في دباءة يحمله، وأهرق الشراب وكسر الدباءة[6] .

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز/ باب الكفن في ثوبين، (ج75/2): رقم الحديث (1265).

(2) أحمد: مسند أحمد، مسند الخلفاء الراشدين، مسند عثمان بن عفان، (ج474/1): رقم الحديث (415)، قال محققو السند: صحيح لغيره.

(3) أحمد: مسند أحمد، مسند الخلفاء الراشدين، مسند عثمان بن عفان، (ج530/1): رقم الحديث (501)، قال محققو السند: إسناده حسن.

(4) انظر: البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الإيمان / باب أداء الخُمس من الإيمان، (ج20/1): رقم الحديث (53).

(5) الدُّبَّاء: القَرْعُ- وهو: اليَقْطِينُ- واحدها دُبَّاءة، كانوا ينتبذون فيها فتُسْرِعُ الشدَّةُ في الشَّراب، والمُزَفَّت: هو الوعاء المدهون بالزفت وهو القار، أما النقير: فهو النخلة تُنْقَر أي تحفر في جوفها أو جانبها، ويلقى فيها الماء والتمر للانتباذ. (الطبراني، المعجم الكبير (ج183/13)).

(6) عبد الرزاق، المصنف (ج 227/9)، وانظر: موسوعة فقه عثمان بن عفان (ص ص 60-61).

5. التأكد من نسبتها للنبي (ﷺ): -

كان عثمان (ﷺ) لا يقبل سُنةً عن رسول الله (ﷺ) حتى يتأكد من نسبتها له (ﷺ)، وكان يطبق ذلك على نفسه (ﷺ)، حيث إن المؤذن ذات يوم أذن لصلاة العصر، فدعا عثمان (ﷺ) بطهور فتطهر، ثم قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (("من تطهر كما أمر، وصلى كما أمر كفرت عنه ذنوبه"، فاستشهد على ذلك أربعة من أصحاب رسول الله (ﷺ) قال: فشهدوا له بذلك على النبي (ﷺ)))(1)، وما كان لرجل مثل عثمان إلا ويفعل ذلك، فقد حدّثَ الناس أن رسول الله (ﷺ) قال: ((مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا، فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتًا فِي النَّارِ))(2).

المطلب الثاني: الحوار والمناقشة:

إن طبيعة نفسية عثمان مبنية على التواضع والتسامح والحياء، وقد عاش تاجراً، فكل تلك الصفات تصقل في نفس صاحبها سعة الصدر وضبط الكلمات واعتماد الحوار والمناقشة كوسيلة رئيسة في التعامل مع الآخرين، كون الحوار والمناقشة وسيلة طبيعية ومفضلة في نفس عثمان، فإنه من الطبيعي أن يستخدمها لتقرير العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، واتضح ذلك في:

1- تقرير جواز ذكر المرءِ مناقبَه عند الحاجة:-

لقد أمر الله المؤمنين أن لا يزكوا أنفسهم ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[النجم:32]، إلا أننا رأينا أن عثمان يُظهرُ بعض مناقبه، ويذكرُ الناس بها وذلك في معرض رده على مَن أرادوا النيل من مقامه كخليفة للمسلمين، وذلك بالتشكيك في مناقبه وفضله، فقد ورد أن عثمان ذكّرَ الناس وأصحاب الفتنة بمناقبه التي شهد له بها رسول الله (ﷺ)، وذلك حين بشره بالشهادة وهو على الجبل، وحين بيعة الرضوان حيث بايع الرسول نيابة عنه وكان رسولَ رسولِ الله لقريش، ويوم توسيعه المسجد مقابل بيت له في الجنة، وتجهيزه نصف جيش العسرة استجابةً لأمر رسول الله (ﷺ)، وكذلك شراؤه لبئر رومة ثم جعلها سبيلاً

(1) أحمد: مسند أحمد، مسند الخلفاء الراشدين، مسند عثمان بن عفان، (ج522/1): رقم الحديث (486)، قال محققو المسند: حسن لغيره.

(2) أحمد: مسند أحمد، مسند الخلفاء الراشدين، مسند عثمان بن عفان، (ج533/1): رقم الحديث (507)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

للمسلمين[1] ، وذكر أبو يوسف الفسوي أن عثمان قال لأبي ثور الفهمي راداً على انتقاص أحد زعماء الفتنة منه، وهو ابن عديس البلوي: ((كذب ابن عديس، ولولا ما ذكر ما ذكرتُ، إني رابع أربعة في الإسلام، ولقد أنكحني رسول الله (ﷺ) ابنته، ثم توفيت، فأنكحني الأخرى، ولا زنيتُ ولا سرقتُ في جاهليةٍ ولا إسلام، ولا تغنيتُ ولا تمنيت منذ أسلمت، ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله (ﷺ)، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله (ﷺ)، ولا أتت عليَّ جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة، فأجمعها في الجمعة الثانية))[2].

مما سبق يتبين أن تذكير عثمان بمناقبه لم يكن للمباهاة المذمومة او تكبراً أو رياءً، والدليل قوله لأبي ثور الفهمي: (ولولا ما ذكر ما ذكرتُ)، ولكن كان للأسباب التالية:

1. أن انتقاص مكانة عثمان (ﷺ) في الإسلام هو انتقاص من رسول الله (ﷺ) نفسه، وهو انتقاصٌ لدين الله.

2. وأن انتقاص مكانته –أيضاً– فيها طعنٌ بصحابة رسول الله (ﷺ) الذين أجمعوا على خلافته وبيعته، وهو اتهام ضمنيٌ لهم بعدم أهليتهم لحفظ أمانة رسول الله (ﷺ) وتوصيلها كما هي للناس.

3. كما أن ذكر مناقبه هو إثباتٌ لكذب هؤلاء الأشرار، وإثباتٌ لسوء نياتهم.

4. وفي ذكره لمناقبه إعلامه لشريحة كبيرة من الناس جزءاً من سيرة رسول الله (ﷺ) وتوضيحاً لبعض أفعاله (ﷺ)، حيث إن هناك جيلاً كاملاً نشأ في المدينة بعد وفاة رسول الله (ﷺ)، وكذلك فإن مجتمع المدينة اختلط بحديثي الإسلام وبالموالي والسبايا وغير العرب!

5. أن في رده على هذه الاتهامات الباطلة دفاعاً عن هيبة إمام المسلمين ودولة الإسلام، ودفاعاً عن مناقبها وأُسس تكوينها ومرتكزاتها.

وهنا أذكر تعليق الأستاذ عبد الستار الشيخ على حلم عثمان (رضي الله عنه) مع أهل الفتنة، حيث قال: ((كان عثمان (رضي الله عنه) يريد أن يسير مع هؤلاء لآخر الطريق حتى لا يترك لهم حجة

---

(1) انظر: أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عثمان بن عفان، (ج535/1): رقم الحديث (512)، قال محققو المسند: حديث صحيح لغيره.

(2) الفسوي، المعرفة والتاريخ (ج2 / 488).

عند الله وعند الناس، فيفضحهم في الدنيا والآخرة، وتلك مصابرة عظيمة من هذا الإمام العادل العظيم))[1].

2-تقرير لعذاب القبر: -

لقد بيَّنت في الفصل السابق كيف أن عمر (رضي الله عنه) قد أقر بعذاب القبر[2] ، وهو من الأمور العقائدية عند المسلمين ولله الحمد، والآثار الواردة عن عثمان (رضي الله عنه) توضح إقراره بعذاب القبر، لأنه سمع من رسول الله (ﷺ) ذلك، فقد روى مولاه هانىء العديد من الروايات التي سمعها وشاهدها من عثمان (رضي الله عنه) تثبت وقوع عذاب القبر ونعيمه بلا ريبٍ أو شك!

فقد روى هانئ مولى عثمان، قال: ((كان عثمان بن عفان (رضي الله عنه) إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكرُ الجنة والنار ولا تبكي، وتبكي من هذا! قال: إن رسول الله (ﷺ) قال: إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه، قال: وقال رسول الله (ﷺ): والله ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه))[3].

وروى هانىء – أيضاً– عن مولاه عثمان (رضي الله عنه) أنه قال: ((كان النبي (ﷺ) إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، ثم قال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل))[4].

وخطب يوماً، فقال: ((...، وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نوراً لقبره))[5].

3-تقرير محاورة المرتد قبل الحكم بقتله:-

الردة هي: إتيان المسلم ما يُخرجه عن الإسلام من قول أو فعل أو اعتقاد[6] ، وحكمه القتل للرجل والمرأة بعد الاستتابة ثلاث مرات، ولقد قال عثمان نفسُه: ((من كفر بعد إيمانه طائعاً يُقتل))[7].

---

(1) الشيخ، عثمان بن عفان...الخليفة الشاكر الصابر (ص214).

(2) انظر الفصل الثاني (ص51-52)

(3) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، (ج503/1): رقم الحديث (454)، قال محققو المسند: إسناده صحيح.

(4) التبريزي، مشكاة المصابيح، الفصل الثاني (ج48/1)، صححه الألباني.

(5) السيد، صحيح التوثيق (ص 107).

(6) قلعه جي، موسوعة فقه عثمان (ص 176).

(7) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب المرتد/ باب قتل من ارتد عن الإسلام، (ج355/8): رقم الحديث (16874).

ولقد ثبت عن النبي (ﷺ) أنه قال: ((مَن بدل دينه فاقتلوه))[(1)]، وثبت عنه (ﷺ) أنه همّ بقتال المرتدين بعدما رفضوا أن يعودوا لرشدهم فيعودوا للتوحيد الخالص لله، وتوُفي رسول الله (ﷺ) فقاتلهم أبو بكر (رضي الله عنه).

وفي زمن عثمان (رضي الله عنه) ظهرت بوادر ردة، هي امتداد لما كان عليه مسيلمة الكذاب، فقد ظهر في الكوفة رجالٌ يُنعشون حديث مسيلمة الكذاب، فقبض عليهم عبد الله بن مسعود والي الكوفة وأرسل إلى عثمان يستشيره في أمرهم، فرد عليه عثمان: ((أعرض عليهم دين الحق وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن قبلها وبريء من مسيلمة فلا تقتله، ومن لزم دين مسيلمة فاقتله، ولقد نفذ عبد الله بن مسعود أمر الخليفة، فقبل رجال منهم فتركوا، ولزم دين مسيلمة رجالٌ فقُتلوا))[(2)].

4-تقرير محاورة الخارجين على الإمام ابتداءً وقتلهم ليس واجباً:-

كل الروايات تقر أن عثمان (رضي الله عنه) رفض استخدام القوة مع الخارجين عليه، واستبدل ذلك بمحاورتهم، والرد على افتراءاتهم، وهذا دليل على أن الخروج على الحاكم لا يُشرعُ فيه قتال الخارجين والبغاة ابتداءً، بل يدل على محاورتهم ورد حججهم، ويدل على الاستجابة لبعض مطالبهم ما لم تكن ظلماً إذا كانوا أهل شوكة وقوة، وإذا كان قتالهم ستسيل بسببه دماءٌ كثيرةٌ من المسلمين، وتمثل ذلك بقوله: ((والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها))[(3)]، وأكد ذلك حواره مع معاوية بن أبي سفيان حين رفض أن يذهب معه للشام ثم رفض أن يرسل له بقوة إلى المدينة تحميه، حينها قال له معاوية: ((يا أمير المؤمنين لتغتالن أو لتغزين، فقال له عثمان: حسبي الله ونعم الوكيل))[(4)].

وأكد ذلك الخالدي والسالمي، حيث ذكرا أن ((عثمان (رضي الله عنه) رفض التنكيل بمثيري الشغب في المدينة وعاملهم بالحسنى واللين، بل وطلب من عماله الرجوع إلى أقاليمهم ليزاولوا أعمالهم المنوطة بهم بعدما استدعاهم للتشاور))[(5)]، بل حين تيقن من أنهم يريدون الفتنة والتآمر عليه،

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتيد/ باب حكم المرتد واستتابتهم (ج15/9): رقم الحديث (6922).

(2) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب المرتد / باب ما يحرم به الدم من الإسلام، (ج350/8): رقم الحديث (16852).

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج350/5).

(4) المصدر السابق (ج353/5).

(5) الصلابي، فتنة مقتل عثمان (ص92)، بتصرف.

وذلك من خلال عيونه بينهم، رفض أيضاً قتلهم بعدما أشار عليه البعض بذلك، وقال: ((لا نقتلهم، بل نعفو ونصفح، ونبصرهم بجهدنا، ولا نقتل أحداً من المسلمين، إلا إذا ارتكب حداً يوجب القتل، أو أظهر ردة وكفرا))[1].

وما ذهب إليه عثمان (ﷺ) من عدم سل سيفه ضد الخارجين عليه، استشعر المسلمون حكمته عبر السنوات بعد ذلك[2]. مما دفع الشهرستاني للقول: ((وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذا ما سُلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سُل على الإمامة في كل زمان))[3].

5-تقرير مشروعية تأويل الرؤيا ووقوعها: -

الرؤيا: ((ما يُرى في المنام))[4]، و((رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))[5]، بل إن ((أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح))[6]، فلذلك فإن ((الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان)) [7]

وتأويل الرؤيا سنة نبوية لمن قدر عليها، فقد كان رسول الله يفسر للمسلمين رؤاهم، فقد كان النبيُّ (ﷺ) إذا صلى الصبحَ أقبل عليهم بوجهِهِ فقال: ((هل رأى أحدٌ منكم البارحةَ رُؤْيا؟))[8]، ووضح لهم أنه مَن رآه في المنام فقد رآه حقا، فقال (ﷺ) ((من رآني في المنام فقد رآني ؛ فإن الشيطان لا يتمثّل في صورتي))[9].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج5/ 354-355)، بتصرف.

(2) أخرج الطبري عن مصعب قال: ((ذكر مصعب بن عبد الله الزبيري أن أباه عبد الله بن مصعب أخبره أن الرشيد قال له: ما تقول في الذين طعنوا على عثمان؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، طعن عليه ناس، وكان معه ناس، فأما الذين طعنوا عليه فتفرقوا عنه، فهم أنواع الشيع، وأهل البدع، وأنواع الخوارج، وأما الذين كانوا معه فهم أهل الجماعة إلى اليوم فقال لي: ما أحتاج أن أسأل بعد هذا))، (ج353/8).

(3) الشهرستاني، الملل والنحل (ص25).

(4) يقول الخفاجي: ((العرب تجعل الرؤية لما يرى في اليقظة. والرؤيا لما يرى في المنام))، (شرح درة الغواص ص385).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التعبير/ باب الرؤيا الصالحة، (ج30/9): رقم الحديث (6988).

(6) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير/ باب (ما ودعك ربك وما قلى)، (ج137/6): رقم الحديث (4953).

(7) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التعبير/ باب الرؤيا من الله، (ج30/9): رقم الحديث (6984).

(8) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الرؤيا/ باب رؤيا النبي (ﷺ)، (ج1781/4): رقم الحديث (2275).

(9) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم/ باب إثم من كذب على النبي، (ج33/1): رقم الحديث (110).

فقد جاء أن زوجة عثمان هلال بنت وكيع، قالت: ((أغفي عثمان- وهو محاصر من الخوارج -، فلما استيقظ قال: إن القوم يقتلونني، قلت: كلا يا أمير المؤمنين، قال إني رأيت رسول الله (ﷺ) وأبا بكر وعمر فقالوا: افطر عندنا الليلة، أو قال: إنك تفطر عندنا الليلة))(1).

6- تقرير أن التوبة تُقبل من العبد مهما كان ذنبه ما لم يُشرك: -

فقد جاء في السنن الكبرى للبيهقي أن رجلاً قال لعثمان: يا أمير المؤمنين إني قتلت فهل لي من توبة، فقرأ عليه عثمان من أول سورة غافر: ﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ * غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر:1-3]، ثم قال له: اعمل ولا تيأس(2).

7- تقرير عظمة أجر بناء المساجد: -

عَلِم عثمان (رضي الله عنه) عظم أجر بناء المساجد من رسول الله (ﷺ)، ولذلك أراد في بداية عهده أن يوسع في المسجد النبوي لضيقه على الناس يوم الجمعة نظراً لزيادة أعداد الداخلين في الإسلام والقاطنين في المدينة، فكره الناس ذلك فحاورهم بما سمعه من رسول الله (ﷺ) فوافقوا وقام بتوسعته (رضي الله عنه)، فقد روى أحمد في مسنده أن ((عثمان (رضي الله عنه) أراد أن يبني مسجد المدينة فكره الناس ذاك وأحبوا أن يدعوه على هيئته فقال عثمان (رضي الله عنه) سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: مَن بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة مثله))(3) .

المطلب الثالث: التصدي للشرك والبدع:

قام الخليفة الراشد عثمان (رضي الله عنه) بالتصدي للشرك المنافي للتوحيد، ولكل بدعة كانت تظهر بين المسلمين، ومن أمثلة ذلك:

1. التصدي للشرك وبناء بيوت أصنام: -

هدمه (رضي الله عنه) بيتاً لصنم بصنعاء: قال ابن الجوزي (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في معرض بيانه لبيوت الأصنام التي كانت في بعض البلاد: والخامس بيت غمدان بصنعاء بناه الضحاك على اسم

---

(1) ابن أبي شيبة، المصنف، ما ذُكر عن عثمان (رضي الله عنه)، (ج181/6): رقم الحديث (30510).

(2) البيهقي، السنن الكبرى (ج31/8): رقم الحديث (15834)، وانظر: قلعه جي، موسوعة فقه عثمان (ص111).

(3) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عثمان بن عفان، (ج533/1): رقم الحديث (506)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الزهرة، فخربه عثمان بن عفان [1](رضي الله عنه)، وهذا يدل على حرصه (رضي الله عنه) على أمر التوحيد، وعنايته الشديدة بإزالة معاقل المنكرات الشركية ومظاهرها بهدمها وطمسها، وبذاك يسير الخليفة عثمان على نهج رسول الله (ﷺ) حين تمكن من مكة وفتحها حيث هدم أصنامها وبدأ بما هي في الكعبة وحولها.

2. التصدي لبدعة رفع القبور عن الأرض بشكل مخل: -

رأى عثمان (رضي الله عنه) أن بعضهم يُعلي من القبور عن سطح الأرض، فأمر بتسوية هذه الزيادات ويبقى منها ارتفاعاً بسيطاً فوق الأرض لتمييزها عن سطح الأرض، وحتى لا يمشي عليها المارة، فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه أنَّ ((عثمان خرج فأمر بتسويَة القبور، قال: " ولكن يرفع من الأرض شيئاً " فسويت إلا قبر أم عمرو، ابنة عثمان، فقال: ما هذا القبر؟ فقالوا: قبر أم عمرو فأمر به فسوِّي))[2]، وهذا الفعل هو هدي رسول الله (ﷺ) من قبل، فقد بعث رسول الله (ﷺ) ذات يومٍ عليّاً، وقال له: ((لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته))[3]، وسار على ذلك صحابة رسول الله، حيث إن الصحابي الجليل فضالة بن عبيد كان بأرض الروم برودس فتُوفيَ صاحبٌ له فأمر مَن معه بقبره فسوي، ثم قال: ((سمعت رسول الله (ﷺ) وسلم يأمر بتسويته))[4]، قال النووي معلقاً على هذه الأحاديث: ((قوله: "يأمر بتسويتها" وفي الرواية الأخرى: "ولا قبراً مشرفاً إلا سويته". فيه أن السنة أن القبر لا يرفع على الأرض رفعاً كثيراً، ولا يسنم، بل يرفع نحو شبر ويسطح، وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه، ونقل القاضي عياض عن أكثر العلماء أن الأفضل عندهم تسنيمها وهو مذهب مالك))[5].

3. التصدي للبدع في العبادات: -

ممارسة العبادات أمر توقيفي على ما كان عليه رسول الله (ﷺ)، فلن تُقبل أي عبادة إلا إذا تحقق فيها شرطان، الإخلاص ومتابعة العبادة كما فعلها رسول الله.

---

(1) انظر: ابن الجوزي، تلبيس إبليس (ج56/1)، ثم قال: ((وَالسَّادِسُ بَنَاهُ قَابُوسٌ وَالْمَلِكُ عَلَى اسْمِ الشَّمْسِ بِمَدِينَةِ فَرْغَانَةَ فَخَرَّبَهُ الْمُعْتَصِمُ)).

(2) ابن أبي شيبة، المصنف، (ج28/3): رقم الحديث (11795).

(3) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الجنائز/ باب ما جاء في تسوية القبور، (ج357/3): رقم الحديث (1049)، قال: حديث حسن، وصححه الألباني.

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنائز/ باب الأمر بتسوية القبر، (ج666/3): رقم الحديث (968).

(5) النووي، شرح النووي على مسلم، باب أمر تسوية القبور (ج36/7).

وشرط الإخلاص لقول النبي (ﷺ): ((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))(1) ، ولقوله أيضاً (ﷺ): ((قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))(2).

أما شرط القيام بها كما فعلها رسول الله، لقوله (ﷺ): ((مَن عَمِل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))(3)، وعقب ابن رجب (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) على هذا الحديث بالقول: ((هذا الحديث أصلٌ عظيمٌ من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث " إنما الأعمال بالنيات " ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يُراد به وجه الله تعالى، فليس لعامله فيه ثواب ، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء))(4).

فكل ما يُحدَثُ في العبادات على غير هدي رسول الله فهو بدعة، والبدعة ضلالة، والضلالة في النار، لقول رسول الله (ﷺ): ((إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار))(5)، قال الفضيل بن عياض: ((العمل الحسن: أخلصه وأصوبه، فقيل له: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة))(6).

وعثمان (ﷺ) (خليفة للمسلمين) من واجبه الحفاظ على عقيدة المسلمين وعباداتهم، لتكون على منهج رسول الله (ﷺ)، فها هو يعلى ابن أمية يقول: ((طفت مع عثمان فاستلمنا الركن قال يعلى: فكنت مما يلي البيت فلما بلغنا الركن الغربي الذي يلي الأسود جررت بيده ليستلم، فقال

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي / باب كيف كان بدء الوحي على النبي (ﷺ)، (ج6/1): رقم الحديث (1).

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق/ باب من أشرك في عمله غير الله، (ج2289/4): رقم الحديث (2985).

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأقضية/ باب نقض الأحكام الباطلة، (ج1343/3): رقم الحديث (1718).

(4) ابن رجب: جامع العلوم والحكم (ج176/1).

(5) النسائي: سنن النسائي، كتاب صلاة العيدين/ باب كيفية الخطبة، (ج308/2): رقم الحديث (1799)، صححه الألباني.

(6) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (ج72/1)، بتصرف.

ما شأنك؟ فقلت: ألا تستلم؟ قال: فقال ألم تطف مع رسول الله (ﷺ) ؟ فقلت بلى! قال: أرأيته يستلم هذين الركنين الغربيين؟ قلت: لا، قال أفليس لك فيه أسوة حسنة؟ قلت: بلى، قال فانفذ عنك)) [1].

وعَلِمَ عثمان أن بعض الناس في البصرة تقصر الصلاة وهي في مزارعها، أو تجارتها، أو مراعيها، فأرسل إليهم كتاباً يوضح لهم أسباب قصر الصلاة، قائلا: ((أما بعد: فإنه بلغني أن بعضكم يكون في جشرة– رعي الغنم– أو تجارة، أو يكون جابياً فيقصر الصلاة، إنما قصر الصلاة من كان شاخصاً أو بحضرة عدوّ))[2]، فحَصَر قصر الصلاة في حال السفر وعند مقاتلة العدو.

ومن البدع التي ظهرت في العبادات في عصره أن بعض النسوة كن يخرجن للعمرة أو الحج وهن في عدتهن حيث يجب عليهن البقاء في بيوتهن حتى تنتهي عدتهن، فأنكر عليهن ذلك، وكان يرجعهن حواج ومعتمرات من الجحفة وذوي الحليفة [3] .

المطلب الرابع: تصويب الانحرافات العقائدية الناشئة:

إن الباحث في حقبة خلافة عثمان (ﷺ) للمسلمين لا يكاد تظهر له أيّ مظاهرَ لانحرافات عقائدية أخذت صدىً ورواجاً ظاهراً، حتى الأفكار العقائدية الخاطئة التي حاول بثها السبئيون بين الناس لم تجد لها أنصاراً، وهذا يعود قطعاً لوعي الأمة الإسلامية، وخاصة أهل المدينة والصحابة المنتشرين في أصقاع أرض الخلافة، وكان لهم شأناً عظيماً عند الناس.

ومما يشير لذلك ما أورده ابن كثير أن ابن سبأ[4] كان يقول لأهل مصر في خلافة عثمان: ((أليس قد ثبت ظهور أن عيسى (عليه السلام) سيعود إلى الدنيا؟ فيقول الرجل: نعم،

---

(1) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عثمان بن عفان، (ج536/1): رقم الحديث (521)، قال محققو المسند: صحيح لغيره.

(2) سبق تخريجه (ص 145).

(3) سبق تخريجه (ص 149).

(4) هو عبد الله بن سبأ، أصله من صنعاء من اليمن، وكانت أمه سوداء، وكان يهودياً وأظهر الإسلام، وإليه تنسب السبئية (انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج340/4)، وانظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ج3/29)، يقول الدكتور نايف محمد معروف في كتابه الخوارج في العصر الأموي (ص48): ((بعد استعراضنا لآراء القدامى والمحدثين من الرواة والباحثين، يمكننا القول: إن عبد الله بن سبأ لم يكن وهماً ولا أسطورة، بل كان شخصيةً سياسية قوية، وأنه كان يترأس جمعية سياسية منظمة تعمل في الخفاء وفي العلن، ونسبت هذه الجمعية إلى شهرة مؤسسها فعرفت بالسبئية)).

فيقول له: فرسول الله (ﷺ) أفضل منه، فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا وهو أشرف من عيسى، ثم يقول: وقد كان أوصى إلى عليّ، فمحمد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم الأوصياء، ثم يقول: فهو أحق بالأمر من عثمان، وعثمان مُعتَدٍ في ولايته ما ليس له، فأنكروا عليه، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))[1]!

وهذه الأفكار لم تنتشر بين الناس بشكل ملحوظ، حتى لم يتجرأ أن يناقش ابن سبأ وعصابته بها عثمان والصحابة حين حاصروه وقتلوه، وكل اعتراضاتهم كان ظاهرها حرصهم على الدين وسلامته وعلى العدل والمساواة، فاتهموه بأمور أرادوا أن تظهر للناس على أنها بدع في الدين[2]: كبدعة الجمع في منى، وبدعة تحريق المصاحف بعد جمع المسلمين على مصحف واحد؛ أو فيها ظلم كتولية بعض أقاربه أو فيها تعدي على المال العام كتوسيعه حمى الخيول، ثم أرادوا النيل من شخصه العظيم وغير ذلك، وحين لم يجدوا أن ما ذهبوا إليه قد يؤلب الناس عليه استعجلوا في قتله، فقتلوه شهيداً (رضي الله عنه).

وحسب ما توصل له الباحث فإن السبئيين لم يتمكنوا من زرع أفكارهم العقائدية المنحرفة في حقبة عثمان (رضي الله عنه) بين عوام المسلمين وستظهر هذه الانحرافات جلياً في حقبة خلافة عليّ بن أبي طالب وما بعده، وبقيت إلى يومنا هذا، وهي بذور التشيع ونشأة الفرق الباطنية وما فيها من انحرافات كالقول بخاتم الأوصياء، ورجوع النبي للدنيا، وغيرها من البدع العقائدية التي تأسست عليها الكثير من المذاهب الشيعية ولا سيما الإثنا عشرية منها.

المطلب الخامس : الجهاد في سبيل الله عزوجل:-

الجهاد في سبيل الله من أعظم واجبات الخليفة والإمام، لأن بدونه تهدد الدولة المسلمة ومن ثم تُهدد العقيدة، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي: ((الجهاد نوعان؛ جهاد يُقصدُ به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وجميع شؤونهم الدينية والدنيوية، وفي تربيتهم العلمية، وهذا النوع هو الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس النوع الثاني، وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع أعداء الدين

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج7 / 183)، ثم أردف ابن كثير القول: ((فافتتن به – أي بابن سبأ– بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام الكوفة والبصرة، فتمالئوا على ذلك، وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان)).

(2) انظر: الصلابي، فتنة مقتل عثمان (ص ص 49–52)، (ص ص 94–96).

ومقاومتهم، وهذان نوعان: جهاد بالحجة والبرهان واللسان، وجهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان))[1].

والجهاد بالسلاح قسمان عند أهل الفقه، وهما: جهاد الدفع وجهاد الطلب.

أ. **ويُقصد بجهاد الطلب:** ((الذي يُطْلَب فيه العدو في أرضه، ويغزو المسلمون فيه الكفارَ في أرضهم، كما فعل رسول الله (ﷺ)، وفعَلَ الصحابة مِن بعده، والسلف الصالح مِن بعدهم.))[2]، والعلماء مختلفون في حكمه، حيث إن ((جمهور الفقهاء على أن الجهاد فرض كفاية، وإن ذهب بعضهم إلى أنه فرض عين، كما روي عن بعض السلف: أنه من باب التطوع لا الفرض))[3].

ب. **أما جهاد الدفع** فهو: ((أن يدهم العدو بلاد المسلمين فيدفعونه))[4]. وبالمعنى الحديث، هو: ((جهاد المقاومة والمطاردة للغزاة، لتحرير أرض الإسلام وأهل الإسلام منهم))[5]، وحُكم هذا النوع من الجهاد هو فرض عين، أي يجب على كل مسلم قادر بالغ عاقل، ولا يسقط عن المسلم بقيام البعض به، ولقد ذكر الشيخ سيد سابق (رحمه الله) ثلاث صور يكون فيها الجهاد فرض عين، أحدها: ((إذا حضر العدو المكان أو البلد الذي يقيم به المسلمون، فإنه يجب على أهل البلد جميعاً أن يخرجوا لقتاله، ولا يحل لأحد أن يتخلى عن القيام بواجبه نحو مقاتلته إذا كان لا يمكن دفعه إلا بتكتلهم عامة، ومناجزتهم إياه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة:123]))[6].

وذكر الإمام القرافي أن صاحب كتاب (التلقين) قال: ((ولا يُظنُّ أحداً يقول : لا يجب، مع إفضاء تركه إلى استباحة دم المسلمين))[7]، وأما ((جهاد الدفع والمقاومة للعدو الغازي، فهذا لا يماري أحد في وجوبه))[8].

---

(1) السعدي، وجوب التعاون بين المسلمين (ص5).

(2) الشنقيطي، شرح زاد المستقنع (رقم الدرس 13/136).

(3) القرضاوي، فقه الجهاد (ج1/ 88).

(4) الشنقيطي، شرح زاد المستقنع (رقم الدرس 13/136).

(5) القرضاوي، فقه الجهاد (ج1، ص102).

(6) سيد سابق، فقه السنة (ج3، ص 11-12).

(7) القرافي، الذخيرة (ج3/ 385).

(8) القرضاوي، فقه الجهاد (ج1، 92).

ولقد أخذ الجهاد بالسيف في عصر عثمان (ﷺ) أربعة مسارات مهمة، جعلت الفتح الإسلامي يتمدد والدولة ثابتة وقوية، وهذه المسارات هي:

أ. استكمال الفتح الإسلامي: -

حين تولى الخليفة الراشد عثمان الخلافة كانت الفتوحات الإسلامية قد وصلت حدود تركمانستان والإمبراطورية البيزنطية شمالاً، وكانت ما بعد خراسان شرقاً، وكانت شبه الجزيرة العربية كاملة واليمن والعراق وأرض الشام ومصر وصولاً لما بعد طرابلس الغرب في إفريقيا غرباً، وإلى حدود النوبة جنوباً[1]، فأكمل عثمان (ﷺ) الفتح لنشر دين الإسلام وحماية عقيدة المسلمين ولتحصين حدود الدولة المسلمة، فبعث ولاة البصرة والكوفة وجيوشهم إلى خراسان شرقاً وأذربيجان شمالاً لاستكمال الفتوح التي برز فيها القائد التميمي الأحنف بن قيس[2]، وقُتل يزدجرد على يد أتباعه لتنتهي الإمبراطورية الساسانية للأبد[3] ، ففتح أهل الكوفة أذربيجان عام (24هـ)، وطبرستان عام 30 هـ، وقتل ملك الفرس يزدجر عام (31هـ) وانتهت بقتله دولة الفرس، وفتح عبد الله بن عامر خراسان عام (31هـ)، وفتح سعيد بن العاص مدينة سلمان الباب وبلنجر عام (32هـ)، وفتح ابن عامر مناطق الطالقان والفاريات والجوزجان وطخارستان عام (32هـ) أيضاً[4].

واستمرت فتوحات المسلمين من جهة الشام بقيادة حبيب بن مسلمة[5] ضد تحالف الروم والترك، ففتح بلاد أرمينية وأذربيجان إما صلحاً وإما عنوة، وغزا ما يلي من ثغور الجزيرة العراقية من أرض الروم، فافتتح حصوناًعديدة، مثل شمشاط وملطية وغيرهما[6].

---

(1) انظر: المغلوث، أطلس الخليفة عثمان (ص42).

(2) كان أبو بحر الأحنف بن قيس التميمي من سادات التابعين وأكابرهم، وسيداً مطاعاً في قومه، وسيد أهل البصرة، وكان معروفاً بالحكمة والدهاء والذكاء والفصاحة والتقوى والورع؛ روى عن عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعليّ بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري، قال عنه خالد بن صفوان: كان الأحنف يفر من الشرف، والشرف يتبعه. (انظر: الصلابي، عثمان بن عفان (ص ص 179-186)).

(3) انظر: الفيصل، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري (ص ص62-83).

(4) انظر: الصلابي، عثمان بن عفان (ص ص 163-179)، حيث قام الصلابي بعمل بحثي مكثف من المصادر التاريخية المعتمدة، فأخذ الباحث خلاصة بحثه.

(5) هو حبيب بن مسلمة الفهري، قدم المدينة وهو شاب، شارك في غزوة تبوك مع رسول الله، عينه عمر أميناً على خزائن السلاح، وتولى قيادة مجموعة في معركة اليرموك، ولاه عمر أرمينية وأذربيجان وهو ابن 33 عاماً، ومن شجاعته أنه كان يتقدم جيشه ويأمرهم باتباعه. انظر: قادة الفتح الإسلامي في أرمينية (ص ص187-192).

(6) باشميل، حروب الإسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين (ص577).

و ((زحف عمرو بن العاص لفتح بلاد النوبة واضطر للصلح معهم، ثم حاول عبد الله بن سعد بن أبي السرح عام (31هـ) فتحها مرة أخرى ثم اضطر للصلح معهم واستمر الصلح ستة قرون))[1]، ثم أمر عثمان عبدالله بن سعد أن يكمل فتح إفريقية بعدما استشار صحابة رسول الله في المدينة وأمد جيش المسلمين بإفريقية بعشرين ألفاً من المقاتلين كان فيهم الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وابن جعفر وأبناء الصحابة، وزودهم بألف بعير وجعل عليهم الحارث بن الحكم، ثم انضم إلى الجيوش عقبة بن نافع، وكانوا جميعاً تحت إمرة عبدالله ابن سعد، ثم جاء مدد بقيادة عبدالله بن الزبير وكانت معركةُ سبيطلة غرب تونس معركةً فاصلة حيث كان حاكم إفريقية جرجير ومعه مائتا ألف مقاتل، فقتله عبد الله بن الزبير وفُتحت إفريقية في معركة من أعجب معارك التاريخ وأشرسها[2] .

بناء الأسطول الحربي البحري:

أذِن عثمانُ بن عفان ببناء أسطولٍ عسكريٍ بحريٍ عسكريٍ للمسلمين على خلاف ما كان رأي عمر بن الخطاب، فبنى الأسطول معاوية بن أبي سفيان، وغزا به قبرص منطلقاً من عكا عام (28 هـ)[3]، و ((صالح المسلمون أهلها على خمسة شروط كان من أهمها ألا يساعد أهل قبرص الروم إذا حاولو غزو بلاد المسلمين، ولا يطلعوهم على أسرارهم))[4].

معجزة نبوية:

حين ركب معاوية البحر لفتح قبرص ركبت معه زوجته فاختة بنت قرظة، وركب معه – كذلك– عبادة بن الصامت (﵁) وزوجته أم حرام بنت ملحان، فماتت حين وقعت عن دابتها لحظة خروجها من البحر، ولقد بشرها رسول الله (ﷺ) بهذه الشهادة بعد ركوبها للبحر، فقد روى أنس بن مالك (﵁) أن رسول الله (ﷺ) كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ((فدخل عليها رسول الله (ﷺ) فأطعمته وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله (ﷺ) ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: "ناسٌ من أمتي عُرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ." فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله

(1) الصلابي، عثمان بن عفان (ص 198)، بتصرف.

(2) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج3/45–46)، وانظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ج7/158).

(3) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج5/ 258 –260).

(4) المصدر السابق (ج5/261)، بتصرف

(ﷺ) ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: "ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله"، كما قال في الأول، قالت: فقلتُ: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم قال" :أنت من الأولين))[1].

معركة ذات الصواري:

لا يمكن لأي باحث أن يمر بالفتوحات في عصر عثمان بن عفان دون أن يمر على معركة ذات الصواري البحرية في البحر المتوسط، حيث خاضها المسلمون من جند الشام ومصر بمائتي سفينة ضد أسطول قسطنطين بن هرقل البالغ تعداده ألف سفينة، إضافة إلى قلة خبرة المسلمين بركوب البحر والقتال فوق السفن مقارنة بالروم خبراء البحار والأساطيل!

هزم المسلمون الروم، وفر قسطنطين لسقلية فقتله أهلها وتركوا المراكب التي معه، واتهموه بإهانة النصرانية، وبإضعاف النصارى بهزيمته غير المتوقعة والتي أشبهت يوم اليرموك[2].

ب. ردع محاولات بعض المناطق التمرد والانسلاخ عن الدولة المسلمة: -

بدأت بعض المناطق في عهد الخليفة عثمان المحاولة للتمرد على الدولة الإسلامية والانسلاخ عنها أو نقض اتفاقيات الصلح المبرمة بينهما، فعمل على ردعها وإخضاعها للدولة الإسلامية أو إرغامها على الصلح معها، فبعد أربع سنوات نقض القبارصة أهم شروط الصلح مع المسلمين حيث أمدوا جيش الروم بالسفن ليغزوا بها بلاد المسلمين، فحاصرهم معاوية بن أبي سفيان من جهة وعبد الله بن أبي السرح من الجهة الأخرى، واستولى المسلمون على الجزيرة وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوا منهم الكثير وأقروهم على شروط الصلح الأول، وعززها معاوية باثني ألف جندي، وبنى فيها مسجداً، فبقيت آمنة تحت حماية المسلمين لأن الروم كانوا يستضعفون أهلها ويذلوهم[3].

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير / باب غزو المرأة البحر، (ج33/4): رقم الحديث (2877-2878).

(2) انظر: أبو خليل، ذات الصواري (ص ص 64-76).

(3) الوكيل، جولة تاريخية في عصر الراشدين (ص ص 359-360).

حاول أهل الإسكندرية التمرد على الدولة الإسلامية والخروج عن سلطانها فتواصلوا مع قسطنطين بن هرقل، فأرسل قوة من البحر بقيادة منويل الحصى فدخل الإسكندرية فنهبها وخربها، ثم انتقل للقرى المجاورة لها فنهبها وخربها، حتى وصل إلى حصن نقيوس على شاطيء نهر النيل، وهناك التقى بعمرو بن العاص وجيشه وهزمهم المسلمون في معركة شرسة وعنيفة، ولاحقهم عمرو بن العاص حتى دخل الإسكندرية وقُتل مانيول، وفر جنوده عبر السفن من البحر، واستقر أمرها للمسمين وبنى فيها عمرو بن العاص مسجد الرحمة[1] .

ث. تقديم أهل الجهاد وتفضيلهم على غيرهم: -

كانت سياسة عثمان (ﷺ) تقوم على تقديم أهل الجهاد والفتح على غيرهم طالما بقوا على درب الجهاد، فكانت أعطياتهم أكثر من غيرهم، وكانوا يُقدمون في المجالس ويعُرفون بأهل الشرف، ويدل على ذلك أنه حين ولى عثمانُ سعيدَ بن العاص على الكوفة خلفاً للوليد بن عقبة، قام سعيد ابن العاص بالتعرف على أخبار أهلها وحالهم ثم شكاهم للخليفة عثمان، حيث علا الأعراب وغير ذي الشرف على أهل الشرف، وتصدروا المجالس، فكتب إليه عثمان: ((أنْ فضِّل أهل السابقة والقُدْمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به، وقام به هؤلاء، واحفظ لكلٍ منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل))[2].

وتقديم المجاهدين على غيرهم كانت سمة المسلمين في العصور الأولى ولا سيما عصور الراشدين، وما أدل على ذلك من أن الخارجين على عثمان (ﷺ) طعنوا في أهليته بالإمامة والخلافة مستندين إلى أسباب عديدة منها: عدم مشاركته في غزوة بدر مع النبي (ﷺ)، فرد عليهم عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) بأن رسول الله (ﷺ) أبقاه في المدينة ليهتم ببنت رسول الله رقية وهي زوجة عثمان حيث توفيت مع رجوع الرسول للمدينة ؛ ومنها فراره يوم أحد، ورد عليهم بأن الله عفا عنه وعن باقي الصحابة الذين فروا من المعركة حينها؛ ومنها عدم مبايعته على الموت في بيعة الرضوان بيعة ما تحت الشجرة، وكان رده أن رسول الله (ﷺ) بعثه لأهل مكة لينقل لهم رسالة المسلمين بأن غرضهم العمرة لا الحرب وأن رسول الله (ﷺ) وضع كفاً

(1) المرجع السابق (ص338).

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج 279/4)، بتصرف.

على كفٍّ وقال هذه بيعة عثمان[1]؛ ولولا أن هؤلاء المُفترين يعلمون أن هذه المواقف تساعدهم في النيل من عثمان لما للجهاد من مكانة بين أفراد المجتمع المسلم آنذاك، لما حاولوا إثارتها والعمل على انتشارها بين الناس كسبب للخروج عليه.

وحين بدأ الخليفة عثمان خلافته استهلها بإرسال عدة رسائل كان منها رسالة إلى قادة الجنود، فكتب لهم: ((أما بعد فإنكم حماة المسلمين وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا، بل كان على ملأ منا، ولا يبلغني عن أحدٍ منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله بكم، ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإني انظر فيما ألزمني الله النظر فيه القيام عليه))[2].

ففي هذا الكتاب يوضح عثمان لقادته أموراً مهمة وأساسية، منها أن مكانتهم كقادة في المناصب والأعطيات والسؤدد منوطٌ بالقيام بواجب الجهاد المطلوب منهم، وإلا فسيفقدون هذه المميزات وتلك الأعطيات.

المطلب السادس : استخدام الشعر والوصايا:-

إن الناظر فيما يُروى من شعر ووصايا عن الخليفة الراشد الثالث يرى أنها تركز على تثبيت أمور العقيدة في النفوس، فكان يُذكر الناس برهبة الموت والقبر والآخرة، وأن ما بعد الموت لأصعب منه، فنصح المسلمين في خطبةٍ يوماً قائلاً لهم: ((وإنّ أكيس الناس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر، وليخش العبد أن يحشره الله أعمى، وقد كان بصيراً))[3]، وحين رأى الموت أمامه أنشد ناصحاً ومتذكراً ومذكراً، فقال حين دخل عليه البغاة الظلمة ليقتلوه:

أَرَى الْمَوْتَ لَا يُبْقِي عَزِيزًا وَلَمْ يَدَعْ *** لِعَادٍ مَلَاذًا فِي الْبِلَادِ وَمُرْتَقَى[4]

(1) الرواية بأكملها ذكرها البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة / باب فضل عثمان بن عفان (ﷺ)، (ج15/5): رقم الحديث: (3698).

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج244/5).

(3) السيد، صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذو النورين (ص 107).

(4) ابن كثير، البداية والنهاية (ج304/10).

وكان يُعلم مَن خلفه دوام الاستغفار ومراجعة النفس حتى وهي في الشدائد، وذلك حتى تنجو من عذاب الله، ويعلم المسامحة والعفو لينال الأجر والثواب، وما الحاكم إلا ظالماً أومظلوما في نظر عوام الناس! فقال أمام الناس يوم أن بدأ البغيُ عليه: ((أستغفرُ الله إن كنت ظلمت، وقد عفوتُ إن كنتُ ظُلمت))[1]، وأنشد – أيضاً – حين حاصره البغاة الظلمة:

يُبَيِّتُ أَهْلَ الْحِصْنِ وَالْحِصْنُ مُغْلَقٌ *** وَيَأْتِي الْجِبَالَ فِي شَمَارِيخِهَا الْعُلَا [2]

ويُذكّرُ بضرورة البعد عن اللذائذ لما في نهايتها من حسرة، وألم ومهلكة ونار، ومن شدة خوفه على نفسه والناس من الشهواتِ وما قد ينتج عنها من غضب الله وعذابه، كان يُكثر من ترديد الأبيات التالية:

تفنى اللذائذ ممن نال صفوتها *** من الحرام ويبقى الإثمُ والعارُ

يلقى عواقب سوءٍ من معبتها *** لا خير في لذةٍ بعدها نـار[3]

وكان يُحذر الناس من عواقب أعمالهم فيقول: ((ما مِن عاملٍ يعملُ عملاً إلا كساه الله رداء عمله))[4]، ويحذرهم من سوء السريرة: ((ما أسرَ أحدٌ سريرةً إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه، وفلتات لسانه))[5].

وليُبعد الإنسان عن الحرام فإنه يحثه على الصبر، وعلى كبح جماح نفسه لينجو، فما بعد العسر إلا اليسر، ونشد في ذلك قائلاً:

غنيُ النفس يغني النفس حتى يكفها *** وإن عضها حتى يضر بها الفقر

وما عسرة فاصبر لهـا إن لقيتهـا *** بكائنة إلا سيتبعها يُسرُ[6] .

ولذلك كان ينصح الناس قائلاً: ((إن المؤمن في خمسة أنواعٍ من الخوف، أحدها من قِبلِ الله تعالى أن يأخذ منه الإيمان، والثاني من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما يُفتضح به يوم

---

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة (ص171).

(2) ابن كثير، البداية والنهاية (ج304/10).

(3) الخماش، شعراء الخلفاء (ص27).

(4) أحمد، الزهد (ص 185).

(5) عاشور، فوائد الكلام للخلفاء الكرام (ص 363).

(6) الصمد، أدب صدر الإسلام (ص102).

القيامة، والثالث من قبل الشيطان أن يبطل عمله، والرابع من قِبل ملك الموت أن يأخذه في غفلة بغتة، والخامس من قِبل الدنيا أن يغتر بها وتُشغله عن الآخرة))[1].

وكان يحث الناس على فعل ما يُذهب ذنوبهم لما فيها من تقوية لعقيدتهم وإيمانهم، فقد روى مولى عثمان عن عثمان (ﷺ)، أنه قال: ((سمعت رسول الله (ﷺ) يقول من توضأ فأسبغ الوضوء ثم مشى إلى صلاة مكتوبة فصلاها غفر له ذنبه))[2]، وكان يوصي بأداء الفرائض، واجتناب المحرمات، ويوصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان يقول: ((وجدتُ حلاوة العبادة في أربعة أشياء: أولها في أداء فرائض الله، والثاني في اجتناب محارم الله والثالث في الأمر بالمعروف وابتغاء ثواب الله، والرابع في النهي عن المنكر اتقاء غضب الله))[3].

(1) عاشور، فوائد الكلام للخلفاء الكرام (ص 278).

(2) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عثمان بن عفان، (ج520/1): رقم الحديث (483)، قال محققو السند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(3) عاشور، فوائد الكلام للخلفاء الكرام (ص 278).

الفصل الرابع:

جهود عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) في تقرير العقيدة الصحيحة

المبحث الأول:

المحافظة على العقيدة التي رسخها النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدون الثلاثة

الباحث في سيرة الخليفة الراشد عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) يستنتج بوضوح أنه حافظ على ما ورثه من عقيدة عن رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقه، حيث عمَد إلى وسائل لذلك، وهو ما سيوضحه الباحث في النقاط التالية.

المطلب الأول: حفظ العقيدة من خلال خطبه ورسائله ووصاياه:

كان همُّ الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون تثبيت العقيدة الإسلامية في النفوس، وجعلها المحرك الأساس لتصرفات الناس، وهذا اتضح جلياً في خطبهم من بداية توليهم أمر المسلمين حتى موتهم، وهذا ما فعله الخليفة الراشد الرابع أيضاً، حيث قال في أول خطبة خطبها بعد مبايعته بالخلافة بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: ((إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، إن الله حرم حُرُماً غير مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحُرُمِ كلِّها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل لمسلم أذيَّ مسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإنما خلفكم الساعة تحدو بكم فتخففوا تلحقوا[1]، فإنما ينتظر بالناس أخراهم، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الأنفال:26]))[2].

فمن هذه الخطبة يتضح لنا المعنى العملي للتوحيد الذي كان يتمتع به الصحابة، حيث لم يكونوا يفصلون بين عِلمٍ وآخر كما فعل بعض الخلف، فكانوا يعلمون أن التوحيد الصحيح هو ما كانت ثمرته حماية عقيدة الناس، ودمائهم، وممتلكاتهم، وأخلاقهم، لذا نرى أنه نبه الناس إلى أصول التصرف بينهم وبين الله ثم بين بعضهم بعضاً ثم بينهم وبين غيرهم من المخلوقات، فنراه قد نبه إلى:

---

(1) يقول الدكتور سليمان العيد: ((شبه الناس بالإبل، وحذف المشبه به (الإبل) وأبقى شيئًا من لوازمه وصفاته وهو الحدو، وذلك كله على سبيل "الاستعارة المكنية")). (انظر: منهج عليّ في الدعوة إلى الله (ص178)).

(2) ابن كثير، البداية والنهاية (ج10 / 423).

- أن القرآن الكريم هو مرجع المسلمين ومرجعية التمييز بين الحق والباطل.
- أن حرمة دم المسلم أعظم الحرمات عند الله.
- أن صيانة حقوق المسلمين بعضهم لبعض من أقوى ثمرات الإخلاص ومن أشد وأوثق عراه.
- أن تذكُر الموت والساعة ميزانٌ للاستقامة والعدل والإنصاف بين الناس بعضهم بعضاً.
- أن التقوى هي الحماية الحقيقة للإنسان من الزلل والزيغ.
- أن مسؤولية الإنسان تتعدى مسؤوليته اتجاه أخيه الإنسان إلى الأرض والبهائم.
- أن طاعة الله متمثلة في فعل ما سبق، وأن الأخذ بالخير وترك الشر واجبٌ على كل مسلم.

ويبدو أن تشديده على حرمة دم المسلم – وذلك بخلاف مَن سبقه من الخلفاء– دليلٌ على تأثره العميق لما سبق من استحلال بعضهم للدماء والتجرؤ عليها، وخاصة دماء الخليفة الراشد الثالث الشهيد عثمان (﵁)، حيث إن أهل الفتنة والقتل ما زالوا في المدينة بل هم قوة كبيرة لا يُستهان بها، وما فائدة العقيدة إن لم تكن منطلقاً لحفظ دماء الناس وحقوقهم إلا بحقها؟

ومن هذه الخطبة وغيرها ومن مراسلاته للولاة والقادة ومن وصاياه للناس والأمة، نرى أنه كان يهدف إلى:

- **تقرير أركان الإيمان في نفوس المسلمين وما يتعلق بها:–**

لا يخفى على مؤمن أن أركان الإيمان ستة[(1)]، والإقرار بهذه الأركان الستة واجبٌ، والإقرار ببعض هذه الأركان يعني الإقرار بغيرها ضمناً، ومن الأمثلة على ذلك: الإيمان برسول الله يعني ضمناً الإيمان بالله وبالقرآن وبالملائكة كذلك، حيث إن الإيمان بالرسول يتضمن الإيمان بالمُرسِل وبالرسالة وبناقل الرسالة كذلك، وهذا ما فهمه عليّ من رسول الله، حيث روى (﵁) عنه (ﷺ) قوله: ((لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر))[(2)]، حيث لا يصح إيمانٌ

---

(1) فقد روى عمر بن الخطاب (﵁) حديث جبريل، حين جاء على هيئة رجل، وسأل النبي (ﷺ) أسئلة ليُعلِّم المسلمين، منها سؤاله: (...أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ! قَالَ "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"، قَالَ صَدَقْتَ...)، مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (9).

(2) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب القدر/ باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، (ج4/452): رقم الحديث (2145)، صححه الألباني.

بالرسول دون الإيمان بالقرآن وبجبريل عليه السلام، بل لا يصح الإيمان بالله أصلاً دون الإيمان ببقية الأركان.

وعقيدة المسلم مبنية على الإيمان بالغيب، والغيبيات فيها بعض التفاصيل، ولذلك من الضروري توضيح هذا الأمر للناس لتثبُت عقيدتهم وتتضح، وهذا ما أراد توضيحه الخليفة الرابع لما سُئل عن البيت المعمور ما هو؟ فأجاب قائلًا: ((مسجد في السماء يقال له: "الضراح"، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبداً))[1].

بل وضح أن هناك من الغيب ما أطلع الله عليه بعض مخلوقاته كبعض صفات الجنة والنار، وكعلامات قرب الساعة وغير ذلك، وهناك غيبٌ لا يعلم به إلا الله كالساعة، وكلا النوعين من أنواع الغيب يُسمى السمعيات أيضاً عند أهل السنة والجماعة، والإيمان (بالغيبيات) و(السمعيات) يُعتبر المحور الثالث[2] لعلم التوحيد بعد محورين هما: محور ذات الله تعالى أي (الإلهيات)، ويُقصد به معرفة ما يجب في حق الله وما يستحيل وما يجوز؛ ومحور ذوات الرسل عليهم الصلاة والسلام أي (النبوات)، ويُقصد به معرفة ما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز [3].

وبالرجوع للحديث الذي رواه عليّ (ﷺ) عن رسول الله نرى أن رسول الله حدد المحاور الثلاثة السابقة، محور الإيمان بالألوهيات، والنبوات والغيبيات أو السمعيات وهذا المحور الأخير عبر عنه الرسول بالإيمان بالبعث عند الموت والقَدَرْ.

السمعيات والغيبيات:

لم يميِّز أهل العقيدة الصحيحة بين السمعيات والغيبيات، بعكس الأشاعرة الذين ميزوا بينهما، وقوام ذلك أن الأشاعرة قسموا أصول العقائد إلى أقسامٍ ثلاث، يقول الجويني: ((اعلموا وفقكم الله أن أصول العقائد تنقسم إلى ما يُدرك عقلاً ولا يسوغ إدراكه سمعاً، وإلى ما يُدرك سمعاً

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4 / 306)، قال ابن كثير: ((رواه شعبة وسفيان الثوري، عن سماك وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك، ثم رواه ابن جرير عن أبي كريب، عن طلق بن غنام، عن زائدة، عن عاصم، عن علي بن ربيعة قال: سأل ابن الكواء علياً عن البيت المعمور، ثم قال: ورواه من حديث أبي الطفيل، عن علي بمثله))، وذكر الطبري في تفسيره بسنده، أن ((رجلاً قال لعلي: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له: "الضراح" وهو بحيال الكعبة من فوقها، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، لا يعودون فيه أبداً (ج27/10))).

(2) إنّ هذا التقسيم للإيمان: إيمانٌ بالغيبيات والإلاهيات والنبوات هو من تقسيم بعض المتكلمين لكنه صحيح.

(3) انظر: أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية (ص 23).

ولا يتقدر إدراكه عقلاً، وإلى ما يجوز إدراكه سمعاً وعقلاً))[1]، وهو ما يُعتبر تقسيماً على غير هدي السلف، يقول د. سفر الحولي: ((أما الشيء الممتنع في عقيدة السلف فهو أن يكون هناك أصلٌ من أصول العقائد يستقل العقل بإدراكه وإثباته))[2].

- **تقرير الإيمان بخروج المهدي في آخر الزمان:**

خروج المهدي آخر الزمان يُعتبر من أشراط الساعة، وهو من العقائد الثابتة عندنا نحن المسلمين، وهذا ما أخبر به عليّ (ﷺ) أنه سمعه من رسول الله، وأن المهدي سيخرج من نسل ابنه الحسن (ﷺ) أي من أهل البيت، وسيملأ الأرض عدلاً بعدما تكون قد مُلئت جوراً.

وقد جاءت رواياتٌ عن عليّ (ﷺ) يُقرر فيها خروج المهدي في آخر الزمان، ومِن أي نسلٍ هو، ومهمته، وهذه الروايات هي:

1- قال (ﷺ): قال رسول الله (ﷺ): ((المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة))[3]، أي ((يتوب الله عليه، ويوفقه ويلهمه، ويرشده بعد أن لم يكن كذلك)) [4].

2- قال (ﷺ): قال رسول الله (ﷺ): ((لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملأها عدلاً كما ملئت جوراً))[5].

3- وعن أبي وائل، قال: نظر عليّ إلى الحسن، فقال: ((إن ابني هذا سيد، كما سماه رسول الله (ﷺ) سيَخرجُ من صُلبه رجل باسم نبيكم، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))[6]

(1) الجويني، الإرشاد (ص358).

(2) الحوالي، منهج الأشاعرة في العقيدة (ص45).

(3) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند علي بن أبي طالب، (ج74/2): رقم الحديث (645)، قال: حدثنا فضل بن دكين، حدثنا ياسين العجلي، عن إبراهيم بن محمد ابن الحنفية، عن أبيه (أي عليّ)، إبراهيم بن محمد ابن الحنفية لم يوثقه غير العجلي وابن حبان، وصححه الألباني في "صحيح الجامع الصغير، (ج1140/2): رقم الحديث (6735).

(4) ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم (ج55/1).

(5) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند علي بن أبي طالب، (ج163/2): رقم الحديث (773)، قال محققو المسند: رجاله ثقات رجال الشيخين غير فطر بن خليفة فله حديث واحد عند البخاري مقروناً بغيره.

(6) السلمي، عقد الدرر في أخبار المنتظر (ص20)، أخرجه عن الأعمش.

وهذا الإخبار والإقرار من عليّ (ﷺ) عن رسول الله جاء ما يُعضده ويُقويه في كُتبٍ عديدة من كُتب السُنة وبأسانيد وروايات متعددة، حتى وصلت الأحاديث في ذلك خمسين حديثاً، حيث بلغ عدد الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي ستةً وعشرين صحابياً، وتواجدت هذه الأحاديث في ثمانيةٍ وثلاثين كتاباً من كتب الأحاديث والآثار، منها كتب أصحاب السُنن الأربعة، وأحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه [1].

وعقبَ الشيخ عبد العزيز بن باز (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) على الأحاديث التي تُخبرنا بخروج المهدي بقوله: ((وقد اطلعت على كثير من أحاديثه -أي المهدي- فرأيتها كما قال الشوكاني وغيره، وقال ابن القيم وغيره: فيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الضعيف المنجبر، وفيها أخبار موضوعة، ويكفينا من ذلك ما استقام سنده، سواء كان صحيحاً لذاته أو لغيره، وسواء كان حسناً لذاته أو لغيره...والحق أن الجمهور من أهل العلم على ثبوت المهدي، وأنه حق وأنه سيخرج في آخر الزمان، وهو محمد بن عبد الله العلوي الحَسَني من ذرية الحسن بن علي بن ابي طالب))[2]
.

ويمكن تلخيص عقيدة أهل السنة بما يخص خروج المهدي وصفاته، بما ذكره الدكتور عمر سليمان الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: ((ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله تبارك وتعالى يبعث آخر الزمان خليفة يكون حكماً عدلاً، يلي أمر هذه الأمة من آل بيت الرسول (ﷺ) من سلالة فاطمة، يوافق اسمه اسم الرسول (ﷺ)، واسم أبيه اسم أبي الرسول (ﷺ)، وقد وصفته الأحاديث بأنه أجلى الجبهة أقنى الأنف، يملأ الأرض عدلاً، بعد أن مُلئت جوراً وظلما))[3].

مما سبق يتضح لنا كيف أن معتقد أهل السنة المبني على رواياتٍ صحيحة هو الذي ينتصر لعليّ ومنهجه (ﷺ) الذي هو منهج الخلفاء الراشدين والرسول من قبله، بخلاف الذين يدّعون زوراً وبهتاناً أنهم شيعته[4]، فيستندون إلى رواياتٍ باطلة ويسيرون على عكس منهج عليٍ والخلفاء والرسول (ﷺ).

---

(1) انظر: العباد البدر، عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (ج128/1-129)، بتصرف.

(2) نقله عنه: العباد البدر، المصدر السابق (ج162/1)، بتصرف.

(3) الأشقر، القيامة الصغرى (ص206).

(4) والشيعة كأهل السُنة يقرون بخروج المهدي مع فارقٍ كبيرٍ جداً وجوهريٍ بين الإقراريين والإيمانيين، وهذا الفارق نلخصه بالآتي: ((1. يوافق الشيعة أهل السنة من أن المهدي من نسل علي وفاطمة، 2. يعتقد الشيعة أن المهدي من نسل الحسين بن علي بخلاف أهل السنة فيؤمنون بأنه من نسل الحسن بن علي،=

- **تقرير أن العقيدة تُحمى بأخلاق الإسلام:-**

لقد تعلم الصحابة أن العقيدة تُحمى بالأخلاق التي جاء بها رسول الله (ﷺ)، وتعلموا أنه لا فائدة لعقيدة لا تنعكس سلوكاً وأخلاقاً على حياة معتقدها، بل قد تجعله بعيداً عن رضوان الله وجنته، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه (ﷺ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): ((إِنَّ من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون المتشدقون والمتفيهقون، قالوا يا رسول الله: قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون))[(1)].

وفرقة الخوارج من صفاتهم الثرثرة والتشدق أي التكبر، وما أوصلهم لما هم عليه إلا كثرة خوضهم في مسائل لا علم لهم بها، وتكبرهم الذي يظهر من النقاشات التي حدثت معهم، وهو عدم انصياعهم للحق وتمسكهم بآرائهم الخاطئة والضالة، وما أدل على ذلك من نقاش ابن عباس لهم بالحجج والبراهين دون جدوى[(2)]، فكل هذه الأمور تدل على سلوك سيءٍ من قِبل هؤلاء لغيرهم من الناس، وهذا ما علمه أبو الحسن (ﷺ)، ولذلك بعدما انتصر عليهم في النهروان[(3)]، خطب في جيشه والمسلمين، يرشدهم للأخلاق الصحيحة التي مَن مارسها بحقها لا

=3. يعتقد الشيعة أن المهدي اسم أبيه الحسن (محمد بن الحسن العسكري)، بخلاف أهل السنة فيؤمنون بأن اسم أبيه عبد الله (محمد بن عبد الله)، 4. يعتقد الشيعة أن المهدي قد وُلِدَ في النصف من شعبان عام 255هـ ودخل سرداب في سامراء في العراق وهو ابن خمس سنين، بخلاف أهل السنة فيؤمنون بأنه لم يُولَدْ بعد وسيولد في آخر الزمان قُبيل يوم القيامة، 5. يعتقد الشيعة أن المهدي حين يظهر سينتقم من أهل السنة ومن صحابة رسول الله وعلى رأسهم أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وسيقيم الحد عليهم وغير ذلك من الظلم والجور، بخلاف أهل السنة فيؤمنون بأنه سيملأ الأرض قسطاً وعدلا، وسينتصر للإسلام والمسلمين، 6. يعتقد الشيعة أن المهدي سيمكث سبع سنين أو تسع عشرة سنة أو ثلاثمائة وتسع سنين، بخلاف أهل السنة فيؤمنون بأنه سيمكث بين سبع إلى تسع سنين فقط، 7. يعتقد الشيعة أن المهدي سيحكم بشريعة آل داوود، بخلاف أهل السنة فيؤمنون بأنه سيحكم بشريعة محمد (ﷺ).)) (انظر: العمصي، اليوم الآخر (ص ص127-128)).

(1) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب البر والصلة/ باب ما جاء في معاني الأخلاق، (ج4/370): رقم الحديث (2018)، قال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (1642).

(2) سيأتي الحوار في هذا الفصل إن شاء الله

(3) هي مدينة بين بغداد وواسط، من الجانب الشرقي، حدها الأعلى متصل ببغداد (انظر: الحموي، معجم البلدان (ج5/325))، حيث وقعت هناك المعركة بين جيش الخليفة والخوارج، وانتصر عليهم، وقتلهم جميعاً إلا نفرٌ يسير، وذلك في التاسع من صفر عام (38هـ)، يقول الصلابي: ((وعلى أثرها أضمر الخوارج الانتقام من علي حيث قتله الخارجي ابن مُلجم)). (انظر: أسمى المطالب (ص625).

يمكن له أن يحمل فكر الخوارج ومعتقدهم، وهو بذلك يحمي عقيدته من الزلل والانحراف، فوصاهم قائلاً: ((ألا وقولوا الحق تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم، وعودوا بالفضل على من حرمكم، وإذا عاهدتم فأوفوا، وإذا حكمتم فاعدلوا، ولا تفاخروا بالآباء، ولا تنابزوا بالألقاب، ولا تمازحوا، ولا يُغضب بعضكم بعضًا، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وأفشوا السلام، وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة:5]، وأكرموا الضيف، وأحسنوا إلى الجار، وعودوا المرضى وشيعوا الجنائز، وكونوا عباد الله إخوانًا))(1).

كما تُبيِّنُ هذه الخطبة فضل مخالطة الناس ومشاركتهم لأفراحهم وأحزانهم، وذلك بإحياء سنن رسول الله التي تنشر المحبة والوئام بين أفراد المجتمع، وكل هذه الأخلاق تمنع عزلة الناس بعضهم عن بعض، حيث إن تلك العزلة هي من أهم عوامل التوجه الخاطئ في فهم الإسلام وعقائده وعباداته، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا»؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ (ﷺ):أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً»؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ (ﷺ): أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا»؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ (ﷺ): أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا»؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ(ﷺ): أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ))(2).

والملاحظ أن الكثير من وصايا الخليفة الراشد الرابع كانت تصب في العمل بحُسن الخلق، ومن ذلك – أيضاً– قوله: ((التوفيق خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والعقل خير صاحب، والأدب خير ميراث، ولا وحشة أشد من العُجب))(3).

- **تقرير عذاب القبر ونعيمه:**

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه ثابت لدى الخلفاء الراشدين الثلاثة–كما جاء معنا– وعملوا على تقريره في نفوس المؤمنين، وعلى شاكلتهم سار الخليفة الراشد الرابع، فقد روى الأصبغ بن نباتة قال: صعد عليّ ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت فقال: ((عباد الله

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج10 / 641).

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة/ باب مَن جمع الصدقة وأعمال البر، (ج713/2): رقم الحديث (1028).

(3) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص141)، قال: أخرجه ابن عساكر.

الموت ليس منه فوت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، فالنجا النجا، والوحا الوحا، إن وراءكم طالب حثيث القبر فاحذورا ضغطته وظلمته ووحشته، ألا وإن القبر حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، أنا بيت الوحشة))(1).

وكان إذا دخل مقبرة قال: ((السلام على مَن في هذه الديار من المسلمين والمؤمنين، أنتم لنا فرط، ونحن لكم تبع، وإنا بكم لاحقون، وإنا لله وإنا إليه راجعون))(2).

- **تقريره (ﷺ) الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار:**

بعد تقريره لنعيم القبر وعذابه، يُكمل علي خطبته السابقة بتقرير اليوم الآخر في نفوس المؤمنين وتذكيرهم به وبأهواله وبالجنة والنار ((ألا وإن وراء ذلك يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيد**﴾[الحج: 2]، ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليها ومقامعها حديد، وماؤها صديد، وخازنها مالك ليس لله فيه رحمة، ثم بكى وبكى المسلمون حوله، ثم قال: ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، جعلنا الله وإياكم من المتقين، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم))(3).

وتقريره لعذاب النار ونعيم الجنة كانت من الصفات الملازمة له في معظم مواعظه ووصاياه، حتى وهو يوصي آل بيته، فقد أوصى ابنه الحسن يوماً فقال: ((يا بُني! ما شرٌ بعده الجنة بِشرٍ، وما خيرٌ بعده النار بخيرٍ، فكل نعيم دون الجنة محقود، وكل بلاء دون النار عافية))(4).

- **تقرير الحذر من الشرك الخفي:**

الشرك الخفي هو الرياء كما أخبر بذلك رسول الله (ﷺ): ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج11 /112).
(2) المصنف، ابن أبي شيبة (ج27/3): رقم الحديث (11782).
(3) ابن كثير، البداية والنهاية (ج112/11).
(4) السيوطي، الحكميات من كلام علي بن أبي طالب (ﷺ) (مخطوط) صفحة (33) وجه1.

تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً))[1]، وقد أرشدنا الله تعالى أن العمل المقبول هو ما كان صالحاً وما يُراد به وجه الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف:110].

وهذا ما حذر منه عليّ (رضي الله عنه)، فقال: ((لا تعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا تتركه حياءً))[2]، والحياء هنا بمعنى الخجل، بل حذر المسلمين من المرائين ووضح لهم صفاتهم، فقد قال (رضي الله عنه): للمرائي ثلاث علامات: ((يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أُثنيَ عليه، وينقص إذا ذُمّ به))[3].

المطلب الثاني: اتباع منهج النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين الثلاثة:-

لقد سار عليّ (رضي الله عنه) على منهج مَن سبقه لم يغير ولم يبدل، حتى أتاه أجله، بالرغم من كثرة ما عانى ممن حوله، وسأعرض منهجه في سياقين، الأول فيما يخص اتباعه لرسول الله (ﷺ)، والثاني فيما يخص اتباعه منهج الخلفاء الراشدين من قبله:

أولاً: اتباع منهج النبي (ﷺ):

إنّ اتباع عليّ بن أبي طالب لمنهج النبي (ﷺ) أخذ صوراً عدة وأشكالاً مختلفة، حيث بالبحث برزت في:

1. المحافظة على آل النبي (ﷺ): -

إنّ حُبَّ رسول الله وأهل بيته والمحافظة عليهم من الإيمان، وقد وصى الرسول (ﷺ) المسلمين بأهل بيته بمنطقة خُم بين مكة والمدينة، وهو راجع من حجته، فخطب الناس قائلاً: ((أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي))[4].

---

(1) أحمد: مسند الإمام أحمد، أحاديث رجال من أصحاب رسول الله/ باب حديث محمود بن لبيد، (ج39/39): رقم الحديث (23630)، قال محققو المسند: حديثٌ حسن.

(2) الماوردي، أدب الدين والدنيا (ص 105).

(3) الذهبي، الكبائر (ص 145).

(4) سبق تخريجه (ص 151)

وتصرفُ عليّ (ﷺ) مع أم المؤمنين عائشة أثناء معركة الجمل وبعدها – حيث تقابلت الطائفتان من المؤمنين– لدليل واضح وجلي بحفظه لأهل بيت رسول الله، وهو أيضاً من أهل بيت رسول الله، حيث نظر (ﷺ) إلى هودجها التي هي عليه فوق الجمل (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا) أثناء المعركة فرأى السهام عليه كالقنفذ، فأمر أخاها محمد بن أبي بكر ومعه عبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويأتوا بها إليه، ثم أمرهم بوضعها في منزل عبد الله بن بديل وحمايتها من السبئيين وغيرهم[1].

ثم وبعدما هدأت المعركة واستقر الأمر له قام (ﷺ) ((وجهز عليٌّ عائشةَ بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد (أي ولده محمد ابن الحنفية)، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه، جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم، وشيعها عليّ بنفسه أميالاً، وأبقى معها بنيه يوماً كاملاً))[2].

وجاءه رجلٌ بعد معركة الجمل فقال له: يا أمير المؤمنين، إن على الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر عليّ (ﷺ) القعقاع بن عمرو (ﷺ) أن يجلد كل واحدٍ منهما مائة، وأن يخرجهما من ثيابهما[3].

2. المحافظته على سنة النبي (ﷺ): –

كان عليّ (ﷺ) شديد المحافظة على التمسك بسنة رسول الله (ﷺ)، ومن الأمثلة على ذلك: –

- **التلبية في الحج حتى رمي جمرة العقبة،** قال كْرِمَةَ: ((أَفَضْتُ مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْمَعُهُ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: أَفَضْتُ مَعَ أَبِي مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ فَلَمْ أَزَلْ أَسْمَعُهُ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: " أَفَضْتُ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْمَعُهُ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ))[4].

(1) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج57/13).
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج544/4)، بتصرف.
(3) ابن كثير، البداية والنهاية (ج471/10).
(4) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عليّ بن أبي طالب، (ج241/2): رقم الحديث (915)، قال محققو المسند: إسناده حسن، وعكرمة هو مولى عبد الله بن عباس.

- **مسح ظاهر القدمين لا باطنهما،** فقد قال عليّ (ﷺ): ((كُنْتُ أَرَى أَنَّ بَاطِنَ الْقَدَمَيْنِ أَحَقُّ بِالْمَسْحِ مِنْ ظَاهِرِهِمَا، حَتَّى " رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَمْسَحُ ظَاهِرَهُمَا))(1).
- **الوضوء كما كان يفعل رسول الله،** فقد قال ابن عبد خير أن علياً (ﷺ) قال: ((هَذَا وُضُوءُ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، ثُمَّ تَوَضَّأَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا))(2).

ثانيا: اتباع منهج الخلفاء الراشدين مِن قَبْلِه: -

لقد اتبع الخليفة الراشد الرابع منهج سلفه من الخلفاء الثلاثة، وأعلن ذلك للناس بوضوح، فقال في حق أبي بكر وعمر: ((...صحبا رسول الله (ﷺ) على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله، فإنه لا يُبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحب لهما...))(3).

وحين ظن الناس أنه سيبعد عما كان عليه الفاروق ولذلك ترك المدينة وجاء للكوفة، خاطب الناس قائلاً: ((ما قدمت لأحل عقدةً شدها عمر))(4)، وقال في حق عثمان: ((يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا عنه إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل(5) إلا عن ملأ منا جميعاً))(6).

ومن أمثلة اتباعه لمنهجهم (ﷺ):

2- **التأكيد على مبدأ الشورى:** فلقد أتاه الناسُ بعد مقتل عثمان (ﷺ) وهو في سوق المدينة وقالوا له: ((ابسط يدك نبايعك، قال: لا تعجلوا، فإن عمر كان رجلًا مباركًا، وقد أوصى بها شورى، فأمهلوا يجتمع الناس ويتشاورون))(7)

---

(1) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عليّ بن أبي طالب، (ج242/2): رقم الحديث (917)، قال محققو المسند: صحيح لغيره.

(2) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عليّ بن أبي طالب، (ج243/2): رقم الحديث (919)، قال محققو المسند: إسناده صحيح.

(3) اللالكائي، شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، رقم (4456).

(4) المصنف، ابن أبي شيبة رقم (120)، بإسنادٍ منقطع.

(5) أي حين جمع القرآن على حرفٍ واحد، وأحرق النسخ الأخرى، وهذا مما جعله الغوغائيون مادةً للنيل منه (ﷺ).

(6) ابن أبي داود، كتاب المصاحف (ص 96) قال ابن حجر في فتح الباري (ج18/9): إسناده صحيح، وأضاف ابن حجر أنّ علياً قال بعد ذلك: (لو وليت الذي ولى، لصنعت مثل الذي صنع).

(7) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج5/ 156)، رواه عن الشعبي.

3- **الإقرار بحق الأمة بالرقابة على ولاة أمورها:** فحين تولى الحكم، خاطب المسلمين قائلاً: ((إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا مَن أمرتم، إلا أنه ليس لي أمرٌ دونكم))[1]، وهو نفس الإقرار الذي أعلنه الخلفاء الراشدون الثلاثة من قبله، حيث قال أبو بكر الصديق (ﷺ): ((فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني))[2]، وقال عمر(ﷺ): ((أحب الناس إلي من رفع إليّ عيوبي))[3]، وقال عثمان (ﷺ): ((إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد))[4].

المطلب الثالث: تقريره لمكانة الإمامة في الإسلام، ووجوب بقاء الأمة الإسلامية موحدة:

لم يكن يتصور أحدٌ من المسلمين أن يكونوا دون إمامٍ يسوسهم، ولم يكونوا يظنون أنهم سيفترقون يوماً، حتى الظالمين الذين بغوا على عثمان (ﷺ) وقتلوه لم يكن لهم أن يتصوروا أن يبقوا دون خليفة وإمام، واستمروا بالبحث عن عليّ (ﷺ) ثلاثة أيامٍ وهو يختبئ منهم، لأنه لا يريدها[5].

ولقد عبر عن وجوب أن يكون للمسلمين إمامٌ يجمعهم بقوله: ((وُلِّيْتُ وأنا كاره، ولولا خشية على الدين لم أجبهم))[6]، حيث كان في بداية الأمر يرفض أن يكون وريث عثمان في الحكم، وكان يقول للناس: ((لا تريدوني، فإني لكم وزير خير مني لكم أمير))[7].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج449/5).

(2) سبق تخريجه (ص 45)

(3) الغزالي، إحياء علوم الدين (ج64/3)

(4) أحمد: مسند أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عثمان بن عفان، (ج544/1): رقم الحديث (524). قال محققو المسند: صحيح.

(5) وقد أورد الدكتور سليمان العودة الروايات المتعددة فيما حدث بعد مقتل عثمان، واختلف المؤرخون في مدة البحث عن خليفة ما بين يوم إلى خمسة أيام. (انظر: العودة، عبد الله بن سبأ (ص ص 168-178)).

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج4/ 491).

(7) أحمد: فضائل الصحابة، باب فضائل عليّ، (ج573/2): رقم الحديث (969)، وقال المحقق إسناده صحيح، والقصة الكاملة هي: يروي محمد بن الحنفية كيفية تولي أبيه للخلافة فيقول: ((كنت مع عليّ وعثمان محصوراً، قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول، ثم جاء آخر، فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام عليٌّ، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفًا عليه. قال: خل لا أم لك! قال: فأتى عليٌّ الدار وقد قتل الرجل، فأتى داره فدخلها، وأغلق عليه بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب=

وكيف لعلي (ﷺ) لا يقبل الأمر بعدما علم أنه لا مناص له من ذلك، وبعدما شعر أن الأمور قد تؤول لما هو أسوأ، وأن دعوة الله ودينه في خطر شديد، وهو الذي قال (ﷺ): ((لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة، فقيل: يا أمير المؤمنين هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة؟ فقال يقام بها الحدود، وتأمن بها السبل، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء))[1].

ثم قام (ﷺ) ببذل كل ما يستطيع في فترة خلافته لتبقى أمة محمدٍ واحدة موحدة، تحت إمامٍ واحد، وخاض معارك ثلاث دامية كانت على نفسه من أصعب أيام حياته، حيث فقد في ساحات معارك الفتن الداخلية خير الرجال وعلى رأسهما طلحة بن عبيد الله وابنه محمد والزبير بن العوام وهما من العشرة المبشرين بالجنة، وكان يقول: ((بُليتُ بأربعة: أطوع الناس في الناس: عائشة أم المؤمنين، وأشد الناس: الزبير، وأعبد الناس: محمد بن طلحة بن عبيد الله[2]، وأسخى الناس: يعلى بن منية [3]))[4].

ولقد روى المؤرخون موقفه حين رأى طلحة بن عبيد الله مدرجاً بدمائه على إثر معركة الجمل، حيث قال (ﷺ) لطلحة بن عبيد الله (ﷺ) وهو يمسح عن وجهه التراب: ((رحمة الله عليك أبا محمد يعز عَلَيَّ أن أراك مجدولًا تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري[5]، والله إني لوددت أني كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة))[6].

=فدخلوا عليه، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدًا أحق بها منك، فقال لهم عليّ: لا تريدوني، فإني لكم وزير خير مني لكم أمير، فقالوا: لا والله! ما نعلم أحدًا أحق بها منك. قال: فإن أبيتم عَلَيَّ فإن بيعتي لا تكون سرًا، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني. قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس)).

(1) ابن تيمية، السياسة الشرعية (ص72).

(2) الملقب بالسجاد لعبادته وتألهه، ولد في حياة النبيي (ﷺ)، قتل شابًا يوم الجمل، ولم يزل به أبوه حتى سار معه، وأمه حمنة بنت جحش. (الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج4 / 368)).

(3) هو: يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي المكي، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، بقي إلى قريب الستين، كان (ﷺ) يعطي الرجل ثلاثين دينارًا وفرسًا، ويقول: أخرج قاتل عليًا. (الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج3 / 100)).

(4) العجلي، تاريخ الثقات (ص 348).

(5) قال الأصمعي: أي سرائري وأحزاني التي تجول في جوفي، انظر: حاشية العواصم من القواصم (ص 161).

(6) ابن كثير، البداية والنهاية (ج10/476).

وحين شعر أنه لن يكون قادراً على تجميع المسلمين، وأن الأمور بدأت تتفلت من بين يديه، كان يدعو ويقول: ((ما يحبس أشقاها[1] – أي ما ينتظر – ماله لا يقتل؟))[2].

لا شك أن ما وقعت به الأمة المسلمة من اختلاف دامٍ بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) ليوجب على كل مسؤول مسلم أن يتجنب أي سبب لوقوع فتنة بين المسلمين أنفسهم، ولا بد لمنع ذلك ابتداءً من توحيد المسلمين تحت خليفةٍ واحد وإمامٍ واحد، لأن هذا أدعى لتقليل حظوظ نشوب الاقتتال بين المسلمين فيما بينهم.

---

(1) وهو يشير بذلك إلى حديث رسول الله (ﷺ) الذي رواه أبوهريرة، فقال: كنت جالساً مع النبي (ﷺ)، فجاء عليّ فسلّم، فأقعده رسول الله إلى جنبه، فقال: يا علي، مَن أشقى الاوّلين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: عاقر الناقة، فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فأهوى بيده إلى لحية عليّ، فقال: يا علي الذي يخضب هذه من هذا، ووضع يده على قرنه، قال أبو هريرة: فوالله ما أخطأ الموضع الذي وضع رسول الله يده عليه. (انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة رقم (561)).

(2) ابن كثير، البداية والنهاية (ج6/11)، وانظر: المصنف، ابن أبي شيبة (ج444/7).

المبحث الثاني:

منهج علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في تقرير العقيدة

إختط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لنفسه منهجاً لتقرير العقيدة في نفوس المسلمين، وهذا المنهج كانت له سمات بارزة سأوضحها فيما يأتي:

المطلب الأول: المحافظة على مصادر العقيدة.

لم يألُ أبو الحسن (رضي الله عنه) جهداً في المحافظة على مصدري العقيدة الرئيسين، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية:

أولا: القرآن الكريم: -

اتبع عليّ (رضي الله عنه) العديد من الوسائل والأساليب للحفاظ على القرآن الكريم، كما ورثه والصحابة عن رسول الله، ومن هذه الوسائل والأساليب:

1. الحث على تعلم القرآن الكريم وحفظه: -

يقول في خطبة له آمرًا بالصدق في الحديث عن رسول الله (ﷺ): ((وتعلموا كتاب الله، واصدقوا الحديث عن رسول الله (ﷺ)، وأوفوا العهد إذا عاهدتم، وأدوا الأمانة إذا ائتمنتم))[1].

يمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الرجل الذي جمع الإيمان والقرآن والرجل الذي خلا منهما بقوله: ((مثل الذي جمع الإيمان والقرآن مثل الأترجة، الطيبة الريح، الطيبة الطعم. ومثل الذي لم يجمع الإيمان ولم يجمع القرآن مثل الحنظلة، خبيثة الريح، وخبيثة الطعم))[2].

2. الحث على العمل بما جاء به القرآن الكريم: -

إن الحفاظ على القرآن الكريم ومكانته بين المسلمين، وهو المصدر الأول لفهم العقيدة وحفظها لا يتم بتعلم القرآن وحفظه فقط، بل بالعمل به، لأن لا هدي يعلو هدي القرآن، ولا مرجع يضاهي القرآن، وهذا ما أراد علي أن يغرسه في نفوس المسلمين عبر الأجيال، فخاطب حملة القرآن قائلاً لهم: ((يا حملة القرآن إعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوامٌ يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم،

---

(1) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (ج1 / 50).

(2) المصنف، ابن أبي شيبة في المصنف (ج102/7): رقم الحديث (34513).

ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقاً فيباهي بعضهم بعضا، حتى إن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويَدَعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله))[1].

والملاحظ بوضوح من وصية عليّ (ﷺ) أن ما ذهب إليه هو ما عانت منه الأمة الإسلامية وما زالت تعاني، حيث يُحفظُ القرآنُ في الصدور وتنتشر حِلق الذكر، ولكن الكثير منها -للأسف- للمباهاة لا للعمل، وهو ما أضعف عقيدة معظم المسلمين، وأبعدهم عن التمسك بها، ولقد حذر من ذلك رسول الله (ﷺ) حين قال في أول مَن تُسعر بهم النار يوم القيامة، وهم ثلاثة أصناف، منهم: ((وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِىءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىَ وَجْهِهِ حَتَّىَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[2].

بل إن القرآن الكريم حذر من ذلك حين قال على لسان رسوله الكريم: ﴿**وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا**﴾[الفرقان:30]، يقول ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: ((فكان المشركون إذا تُلي عليهم القرآن، أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه، فهذا من هجرانه وترك الإيمان به ؛ وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر، أو قول، أو غناء، أو لهو، أو كلام، أو طريقة مأخوذة من غيره))[3] .

ولقد حذر عليٌّ (ﷺ) الناسَ من تركه فقال: ((وكفى بالكتاب خصمًا وحجيجًا))[4].

3. توضيح علوم القرآن وكيفية فهمه: -

مما لا شك فيه أن شرف كل أمر ومكانته تتبع من شرف ومكانة المضاف إليه، ولا يوجد في الكون أشرف ولا أفضل من كتاب الله العزيز، فعلوم القرآن عظمتها وشرفها ينبع من أنها تنتسب لكتاب الله الخالد الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فعلوم القرآن يراد بها: ((العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرأن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم

---

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص141)، رواه عن ابن عساكر عن يحيى بن جعدة.

(2) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة/ باب مَن قاتل للرياء والسمعة، (ج1513/3): رقم الحديث (1905).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج3 /423).

(4) ابن الجوزي، صفة الصفوة (ج1 / 329).

والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن، وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير؛ لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن))[1].

ولقد رأينا في الفصل الثالث نتيجة عدم معرفة أسباب النزول حين حاجج المنافقون المحتجون البغاة القادمون من مصر عثمانَ (ﷺ) في توسيعه لأرض الحمى، حيث طلبوا منه أن يقرأ سورة يونس حتى وصل (التاسعة والخمسين) منها، وأرادوا أن يحتجوا بها على أنه افترى على الله بفعله، فأعلمهم أنها نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يُحلّون ويُحرمون من البحائر والسوائب والوصايل وليس فيما ذهبوا إليه![2] .

وهنا تبرز أهمية هذا العلم العظيم الجليل، حيث بدونه يخضع تفسير القرآن للأهواء ويحتج به كل شخص بما يبرر له فعله وعمله، وهذا من أسباب نشوء الفرق والجماعات المنحرفة عقائدياً والضالة بين المسلمين.

ولعل طبيعة أهل الكوفة – حيث انتقل عليّ (ﷺ) إلى هناك ليدير منها الخلافة بدلاً من مدينة رسول الله – فلعل طبيعة أهل الكوفة بحكم قربهم من فارس وحداثة إسلامهم جعل عليّاً (ﷺ) يتفطن لخطورة الجهل بهذا العلم وما قد يترتب عليه من انحراف في العقائد والعبادات وزيغ وضلال، لذلك أراد أن ينبههم لذلك، حيث خاطب الناس ناصحاً ومرشداً: ((سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أو بنهار، وفي سهلٍ أم في جبل))[3]، وقال لهم في مناسبة أخرى: ((وَاللَّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَا نَزَلَتْ وَأَيْنَ نَزَلَتْ وَعَلَى مَنْ نَزَلَتْ! إِنَّ رَبِّي وَهَبَ لِي قَلْبًا عَقُولا وَلِسَانًا طَلْقًا))[4].

4. القيام بتدبر القرآن وتفسيره:-

اشتُهر عن عليّ (ﷺ) كثرة تدبره لآيات القرآن الكريم، واستنتاج الأحكام من هذا التدبر، وتدبر أبي الحسن للقرآن الكريم أدى إلى بقاء الأحكام الفقهية ملتصقة بنصوص القرآن الكريم، كما أدى إلى حفظ حقوق الناس وأرواحهم.

حيث جيء بامرأة لعمر (ﷺ) وقد ولدت بعد ستة أشهر من زواجها، وكاد عمر (ﷺ) رجمها، ولكن عليّ بتدبره الفذ للقرآن الكريم قد أنقذ المرأة من الرجم، فقرن بين قوله تعالى

(1) القطان، مباحث في علوم القرآن (ص11).

(2) انظر: هذا البحث (ص 169).

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج257/2).

(4) المصدر السابق، نفس الجزء ونفس الصفحة.

﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ ﴾[الأحقاف:15]، وبين قوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ﴾[البقرة:233]، حينها استنتج أن مدة الحمل قد تكون ستة أشهر على الأقل[1]، وهذا ما يُطلق عليه الفقهاء "دلالة الاقتران" والمقصود به الجمع بين دليلين لاستخراج مدلول منهما[2].

وفي عصره ذهب إلى أن عدة المرأة الحامل للمُتوفى عنها زوجها بوضع الحمل شرط ألا تقل العدة عن أربعة أشهر وعشرة أيام، وذلك إعمالاً للنصين في سورتي الطلاق (آية 4) والبقرة (آية 234)[3] .

وحين أُلقي القبض على قاطعٍ للطريق قبل توبته، فتدبر قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة:33] فجعل عقوبة قاطع الطريق على ضوابط هي: ((إذا لم يكن قتل أو نهب يُحبس حتى الموت، وإذا نهب مالاً ولم يقتل تُقطع يداه ورجلاه من خلاف، وإذا قتل ونهب تُقطع يداه ورجلاه من خلاف ويصلب حتى الموت، وإذا تاب قبل القدرة عليه يضمن ما نهب ويُقتص منه ويسقط الحد عنه))[4].

5. حفظ القرآن الكريم من اختلاط تفسيره بالقَصص المُفترَيات: -

انتشر في عصر عليّ (ﷺ) كثرة القُصَّاص، وانجذب الناسُ إليهم، وأصبحوا يقصون على الناس قصصهم في المساجد، وأدخلوا قَصصهم في معاني القرآن وتفسيره، وكان في قصصهم الكثير مما سمعوه من أهل الكتاب، فاتخذ تدابير لحماية معاني القرآن وتفسيره من هذا الخَلط الخطير، وتمثلت هذه التدابير بالآتي:

1- أخرج القُصّاص من المساجد لجهلهم بالضوابط الشرعية، واتخذ بيتاً يطرح الناس فيه القصص[5] .

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج4 /407-408).
(2) انظر: غانم، فقه عصر الرشد (ص289).
(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن (ج4 /158).
(4) غانم، الإسلام وفقه عصر الرشد (ص291).
(5) السيوطي، الأوائل (ص111).

2- جعل للقُصّاص ضوابط لا بد أن يلتزموا بها، كوجوب معرفتهم بعلوم القرآن، وكان يختبرهم بذلك، حيث سأل أبا يحيى القاص في مسجد الكوفة: ((أتعرف الناسخ والمنسوخ؟، قال: لا، قال: هلكت وأهلكت))[1].

4- تشجيع أهل العلم الصحيح على القص على الناس، فقال لرجل يقص، فقال له: ((أتقص ونحن قريب عهد برسول الله (ﷺ)، لأسألنك فإن أجبتني وإلا جعفتك – أي صرعتك وضربتك بالأرض–بهذه الدرة، ما ثبات الدين وما زواله؟ قال: أما ثباته فالورع وأما زواله فالطمع، قال: أحسنت، قص فمثلك من يقص))[2].

5- تعليم الناس الاستماع للقَصص الحق والمفيد، ومحاولة الإكثار من نُصح الناس بنفسه ليُشغلهم بالمفيد عما هو دونه، وكان يستثمر أسئلة الناس له بشكل رائع وجذاب، فقد قال له رجلٌ يوماً: يا أمير المؤمنين، صف لنا الدنيا، قال: ((ما أصف من دار أوّلها عناء، وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن))[3].

6. حفظ اللغة العربية من اللحن: –

القرآن الكريم نزل بلغة العرب كما ذكر القرآن الكريم نفسُه ذلك في أحد عشر موضعاً متفرقاً[4] ، ولا غرابة في ذلك لأنه ((جرت سنة الله أن يرسل كل رسولٍ بلسان قومه ليتم تخاطبه معهم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[إبراهيم:4]، وأن يكون الكتاب الذي أُنزل عليه بلسانه ولسانهم، وإذا كان لسان محمد (ﷺ) عربياً فإن الكتاب الذي أُنزل عليه يكون بلسانٍ عربي))[5]، وهذا يدل على أن فهم القرآن لا يمكن أن يستقيم إلا بفهم اللغة العربية وأساليبها ولهجاتها الثابتة ((فألفاظ القرآن عربية، ووجوه المعاني في القرآن توافق وجوه المعاني عند العرب))[6]، يقول ابن خلدون: ((إن القرآن نزل

---

(1) البقاعي، نظم الدرر (ج16 /362).

(2) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ج5 /70).

(3) القرطبي، العقد الفريد (ج3 /172).

(4) سورة يوسف الآية 2، سورة الرعد الآية 37، سورة النحل الآية 103، سورة طه الآية 113، سورة الشعراء الآية 195، سورة الزمر الآية 28، سورة فصلت الآية 3 والآية 44، سورة الزخرف الآية 3، سورة الشورى الآية 7، سورة الرعد الآية 13، سورة الأحقاف الآية 12.

(5) القطان، مباحث في علوم القرآن (ص344).

(6) المرجع السابق (ص344).

بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه))[1]، ولذلك كان يُحذر عثمان من العُجمة وانتشارها[2] .

وبدأ الخلفاء الراشدون الانتباه إلى اللحن في اللغة العربية من زمن الفاروق (ﷺ) وذلك حين اختلط العجم بالعرب على إثر الفتوحات الإسلامية، ولكن الفاروق وذا النورين (ﷺ) مكثوا في المدينة المنورة يديرون منها شؤون الدولة ولم يخرجوا منها بخلاف عليّ، حيث كان في المدينة شيوخ قريش الذين جاءوا إليها مهاجرين من مكة وبقوا فيها مع رسول الله (ﷺ) حيث اللغة العربية الفصحى، وبقي رأس الهرم في الدولة الإسلامية يديره القريشيون، فكانت بيدهم مقاليد الحكم والمشورة، وكان يغلب على مجتمع المدينة وجود صحابة رسول الله الذين هم ((من خُلَّص العرب، يعرفون العربية، ويحسنون فهمها، ويعرفون وجوه البلاغة فيها))[3].

وحين انتقل عليّ (ﷺ) للكوفة ليدير منها الدولة الإسلامية كان اللحنُ في اللغة بين أهلها جلياً وواضحاً مما جعله يفكر في عواقب ذلك على فهم القرآن وبالتالي فهم الدين، فأراد أن يحفظ القرآن بحفظ اللغة العربية من اللحن وسوء النُطق فأمر أبا الأسود الدؤلي بوضع كتاب في أصول اللغة بإشرافه (ﷺ)، يقول أبو الأسود الدؤلي: ((دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَرَأَيْتُهُ مُطْرِقًا مُتَفَكِّرًا ، فَقُلْتُ: فِيمَ تُفَكِّرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: " إِنِّي سمعتُ بِبَلَدِكُمْ هُنَا لَحْنًا ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَصْنَعَ كِتَابًا فِي أُصُولِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَقُلْتُ: إِنْ فَعَلْتَ هَذَا أَحْيَيْتَنَا وَبَقِيتَ فِينَا هَذِهِ اللُّغَةُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ ثَلاثٍ فَأَلْقَى لِي صَحِيفَةً فِيهَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْكَلامُ كُلُّهُ اسْمٌ، وَفِعْلٌ وَحَرْفٌ، فَالاسْمُ: مَا أنبأ عَنِ الْمُسَمَّى، وَالْفِعْلُ مَا أنبأ عَنْ حَرَكَةِ الْمُسَمَّى، وَالْحَرْفُ مَا أنبأ عَنْ مَعْنًى لَيْسَ بِاسْمٍ وَلا فِعْلٍ، ثُمَّ قَالَ: تَتَبَّعْهُ وَزِدْ فِيهِ مَا وَقَعَ لَكَ، وَاعْلَمْ يَا أَبَا الأَسْوَدِ أَنَّ الأَسْمَاءَ ثَلاثَةٌ: ظَاهِرٌ، وَمُضْمَرٌ ، وَشَيْءٌ لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلا مُضْمَرٍ، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْرِفَةِ مَا لَيْسَ بِظَاهِرٍ وَلا مُضْمَرٍ، قَالَ أَبُو الأَسْوَدِ: فَجَمَعْتُ مِنْهُ أَشْيَاءَ وَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ حُرُوفُ النَّصْب، فَذَكَرْتُ مِنْهَا: إِنَّ، وَأَنّ، وَلَيْتَ، وَلَعَلَّ، وَكَأَنَّ، وَلَمْ أَذْكُرْ لَكِنَّ، فَقَالَ لِي: لِمَ تَرَكْتَهَا؟ فَقُلْتُ: لَمْ أَحْسِبْهَا مِنْهَا، فَقَالَ: بَلْ هِيَ مِنْهَا، فَزِدْهَا فِيهَا))[4]

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ص 553).
(2) انظر: (ص143)، والمطلب الثالث/ فقرة (1).
(3) القطان، مباحث في علوم القرآن (ص347).
(4) الزجاجي، الأمالي (ص 239).

ثانياً: السنة النبوية: -

ولقد عمل الخليفة الراشد الرابع (ﷺ) على حفظ السنة بأساليب ونصائح وتوجيهاتٍ متعددة، وكانت أعماله من أجل حفظ سنة النبي (ﷺ) تقوم على:

1. العمل على إبلاغ الناس ما سمعه مِن رسول الله (ﷺ): -

ذكر ابن سعد في الطبقات أن أم المؤمنين عائشة (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا) كانت إذا ذُكر عندها عليّ (ﷺ)، قالت: ((أما إنه أعلم مَن بقي في السُّنة))[1]، وبالرغم من كثرة انشغالاته لخدمة الدين في زمن رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدين مِن قَبله، إلا أنه روى عن رسول الله خمسمائة وستة وثمانين حديثاً[2].

2. تبليغ سنة النبي (ﷺ) بطريقة يفهما الناس: -

لقد كان يُذكر الناس ويحثهم أن يرووا عن رسول الله (ﷺ) ما يمكن للناس أن يستوعبوه، فقد قال (ﷺ): ((حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذب الله ورسوله))[3]، يقول الشيخ العثيمين (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): ((كلِّموهم بالمواعظ وغير المواعظ ، بما يمكن أن يعرفوه، وتبلغه عقولهم؛ حتى لا يفتنوا، ولهذا كان من الحكمة في الدعوة ألا تباغت الناس بما لا يمكنهم إدراكه، بل تدعوهم رويداً رويداً، حتى تستقر عقولهم، وليس معنى " بما يعرفون "، أي : بما يعرفون من قبل؛ لأن الذي يعرفونه من قبل يكون التحديث به من تحصيل الحاصل؛ لأنك إذا قلت: قال الله، وقال رسوله: كذا وكذا، قالوا: هذا كذب، إذا كانت عقولهم لا تبلغه، وهم لا يكذِّبون الله ورسوله، ولكن يكذبونك، بحديث تنسبه إلى الله ورسوله، فيكونون مكذِّبين لله ورسوله، لا مباشرة، ولكن بواسطة الناقل، وهذا ليس مدعاة لترك تبليغ الحديث عن رسول الله، ولكن نحدثهم بطريقة تبلغه عقولهم، وذلك بأن ننقلهم رويداً، رويداً، حتى يتقبلوا هذا الحديث، ويطمئنوا إليه، ولا ندع ما لا تبلغه عقولهم، ونقول: هذا شيء مستنكر لا نتكلم به، ومثل ذلك: العمل بالسنَّة التي لا يعتادها الناس ويستنكرونها، فإننا نعمل بها، ولكن بعد أن نخبرهم بها، حتى تقبلها نفوسهم، ويطمئنوا إليها))[4].

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج338/2).

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 131).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم/ باب مَن خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، (ج37/1): رقم الحديث (127).

(4) ابن عثيمين، مجموع فتاوي الشيخ بن عثيمين (ج744/10-745)، بتصرف.

وكان يُعلّم الناس عملياً سنة النبي (ﷺ)، ومن أمثلة ذلك تعليمه للناس كيفية الوضوء، وذلك بالقيام بالوضوء أمام الناس كما تعلمه من رسول الله (ﷺ)[1] .

3. الترهيب من الافتراء على رسول الله (ﷺ): –

أدرك عليّ (رضي الله عنه) أن طبيعة الناس قد اختلفت عما كان عليه هو وأصحاب رسول الله (ﷺ)، حيث تُوفي معظم صحابة النبي (ﷺ)، وكذلك مجتمع الكوفة لا يكافىء البتة مجتمع المدينة، كما أدرك عدم تشرب الكثير ممن دخلوا في الإسلام الدين بشكل صحيح وسليم، وأدرك – أيضاً– أثر الخلاف السياسي في جعل كل طرف ينتصر لرأيه بكلام يُسنده لرسول الله، يقول محمد بن سيرين: ((لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمُّوا لنا رجالكم))[2]، نتيجة كل ما سبق جعل عليّ (رضي الله عنه) يذكر الناس بما سمعه من رسول الله من هول الافتراء عليه (ﷺ)، فقال: قال النبي (ﷺ): ((لا تكذبوا عليَّ؛ فإنه من كذب عليَّ فليلج النار))[3].

يقول ابن حجر شارحاً لمعنى الحديث: ((هو عام في كاذب، مطلق في كل نوع من الكذب، ومعناه لا تنسبوا الكذب إليّ. وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب، وقالوا: نحن لم نكذب عليه، بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته، وما دروا أن تقويله ما لم يقل يقتضي الكذب على الله تعالى... جعل الأمر بالولوج مسببًا عن الكذب، لأن لازم الأمر الإلزام، والإلزام بولوج النار سببه الكذب عليه، أو هو بلفظ الأمر ومعناه الخبر، ويؤيده رواية مسلم من طريق غندر عن شعبة بلفظ: مَن كذب عليَّ يلج النار))[4] ، كما أخبر (رضي الله عنه) الناس أن رسول الله (ﷺ) قال: ((من حدث عني حديثًا وهو يَرَى أنه كذب فهو أحد الكاذِبَيْنِ[5]))[6].

---

(1) انظر: أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند عليّ بن أبي طالب، (ج243/2): رقم الحديث (919)، قال محقق السند: إسناده صحيح.

(2) مسلم: صحيح مسلم، مقدمة الإمام مسلم/ باب في أنّ الإسناد من الدين، (ج15/1) رواه في المقدمة.

(3) البخاري: صحيح البخاري، باب إثم مَن كذب على النبي، (ج33/1)، رقم الحديث: (106).

(4) ابن حجر، فتح الباري (ج1/ 200).

(5) المراد أن الراوي يشارك الواضع في الإثم، ما لم يكن الراوي يقصد بيان الكذب، كما يفعل أئمة الحديث لبيان الموضوعات.

(6) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند علي بن أبي طالب، (ج235/2)، رقم الحديث: (903)، قال محقق المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ولذلك كان لا يقبل الحديث عن رسول الله (ﷺ) إلا بعد أن يستحلف قائله[1] ، وكان يقول: ((إذا حدثتكم عن رسول الله (ﷺ) فلأن أَخِرَّ من السماء أحب إليّ من أن أكذب عليه))[2].

4. الحث على تعظيم قول رسول الله (ﷺ) والإلتزام بهديه: -

كما عمل على حفظ السنة النبوية الشريفة من خلال تعظيم قدرها في نفوس المسلمين، حيث كان يرشد الناس بأن يظنوا بحديث الرسول أسمى الظن وأحسنه، حيث كان يرشدهم قائلاً: ((إذا حُدِّثتم عن رسول الله (ﷺ) حديثاً فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه))[3] أي: ((الذي هو أوفق به من غيره، وأهدى وأليق بكمال هداه، وأتقاه، أي وأنسب بكمال تقواه، وهو أن قوله صواب، ونصح واجب العمل به، لكونه جاء به من عند الله تعالى، وبلغه الناس بلا زيادة ولا نقصان))[4]، وبعد رجوعه (رضي الله عنه) من قتال الخوارج خطب أصحابه خطبة عصماء يحث فيها الناس على الأخذ بهدي النبي (ﷺ) والاقتداء به، ومما قاله: ((واقتدوا بهدي نبيكم (ﷺ) فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن))[5].

5. الحث على جعل القرآن مرجعاً لصحة ما ورد عن رسول الله (ﷺ): -

لقد أدرك عليّ (رضي الله عنه) أن البعض يتحدث بالحديث وينسبه لرسول الله (ﷺ) وما هو من كلامه (ﷺ)، حيث إن هذا الحديث المُفترى يعارض القرآن الكريم مما يُشكل الأمر على الناس، ويُلبس عليهم دينهم، ولذلك نصحهم في خطبة له في الربذة[6] موجهاً لهم: ((الزموا دينكم واهدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه))[7].

---

(1) انظر: غانم، الإسلام وفقه عصر الرشد (ص126).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام، (ج200/4)، رقم الحديث: (3611).

(3) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الخلفاء الراشدين/ مسند علي بن أبي طالب، (ج285/2)، رقم الحديث: (985)، قال محققو المسند: إسناده صحيح.

(4) شاكر، مسند الإمام أحمد، (ج 2 / 211)، نقلاً عن السندي، بتصرف.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية (ج638/10)، نقل ابن كثير هذه الخطبة عن الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي جَمَعَهُ فِي الْخَوَارِجِ، وهي بعد انتصار عليّ على الخوارج في النهروان، وقال: وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا صُنِّفَ فِي ذَلِكَ.

(6) تم تعريفها من قبل، انظر (ص 85)

(7) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج479/4).

المطلب الثاني: الحوار والمناقشة:

- **تقرير تنزيه الله تعالى مما يكون في حق مخلوقاته: -**

كان عليّ (ﷺ) لا يُحب أن يسأله إنسان عن أمور تتعلق بالله كما يُسأل عن مخلوقاته، وكان ذلك يُغضبه، وذلك كالسؤال متى كان الله، وغيرها، ولكنه مع كراهته لذلك كان يجيب السائل طمعاً في هدايته، فقد جاءه (ﷺ) يهودي سأله: متى كان ربنا؟ فتَمَعَّرَ [1] وجه عليّ (ﷺ) وقال: ((لم يكن فكان؟! هو كان ولا كينونة، كان بلا كيف، كان ليس قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية))فأسلم اليهودي [2].

- **تقرير التحكيم في النزاعات بين المؤمنين: -**

لقد أرشد الله المؤمنين إذا تنازعوا في شيء أن يردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله لكي يعلموا الصواب من الخطأ، وهذا التنازع يحتاج لأهل اختصاص من العلماء وأصحاب الشأن ليحكموا فيه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: 59].

وعليه فإنه حين وقع الخلاف بين علي (ﷺ) ومعاوية (ﷺ)، واقتتل الطرفان قتالاً شديداً في صفين، حتى كادا أن يفنيا، تم الاتفاق بين الطرفين على التحكيم، فانتدب علي أبا موسى الأشعري، وانتدب معاوية عمرو بن العاص، وكُتبت بين الفريقين وثيقة بذلك، يقول ابن العربي ذاكراً موقعة صفين، وما كان فيها من قتال من يوم الثلاثاء حتى ليلة السبت (ليلة الهرير[3]): ((ورُفعت المصاحف من أهل الشام، ودعوا إلى الصلح، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق، فكان من جهة عليّ أبو موسى، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص))[4].

وهذا التحكيم جعل فئة من أصحاب علي يحكمون عليه وعلى معاوية بالكفر، بذريعة أنه يُحكّمون الأشخاص في كتاب الله، وهؤلاء فرقة عُرفت بالخوارج. وفرقة أخرى عُرفت بالشيعة

(1) تمعر: تغير. (ابن منظور، للسان العرب (ج5 / 181)، مادة [معر]).

(2) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 206).

(3) سُميت ليلة الهرير لكثرة ما كان الفرسان يهرون فيها (ابن حجر، فتح الباري (ج123/11)).

(4) ابن العربي، العواصم من القواصم (ص 126)، انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج48/5)، وابن حجر، فتح الباري (ج123/11).

حيث رأت أن معاوية انتدب أهل الشام إلى الفسوق بل إلى الكفر، يقول أبو بكر بن العربي: ((وهذه حقيقة مذهبهم [1] أن الكل عندهم كفرة [2] لأن من مذهبهم التكفير بالذنوب [3]، وكذلك تقول هذه الطائفة التي تسمى بالإمامية: إن كل عاصٍ بكبيرة كافر [4] على رسم القدرية [5] ولا أعصى من الخلفاء المذكورين [6] ومن ساعدهم على أمرهم، وأصحاب محمد ﷺ أحرص الناس على دنيا، وأقلهم حمية على دين، وأهدمهم لقاعدة وشريعة))[7].

- **تقرير عدم كفر البغاة والخوارج ولا نفاقهم: -**

البُغاة على الحاكم العادل والخارجين عليه ليسوا كفاراً ولا منافقين ويبقون من المسلمين، فقد سُئل عليّ (رضي الله عنه) عن الخوارج: ((أكفارٌ هم؟ فقال: من الكفر فروا، قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا؟ قيل: فما هم؟ قال: قومٌ أصابتهم فتنة فعموا وصمّوا، وبغوا علينا، وقاتلونا فقاتلناهم))[8].

---

(1) أي حقيقة مذهب الشيعة وأعداء الصحابة.

(2) يقول محب الدين الخطيب: "يستثنون منهم – بعد عليّ وبعض آله – سلمان الفارسي وأبا ذر والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأبا الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبا أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت وأبا سعيد الخدري، وبعض الشيعة يرى أن الطيبين من أصحاب رسول الله أقل عددًا من هؤلاء" (حاشية العواصم من القواسم (ص133)).

(3) يقول محب الدين الخطيب: "ومن مذهبهم أن عليًا وأحد عشر من آله معصومون عن الخطأ، وأنهم مصدر تشريع. ويقبلون التشريع الذي ينسبه إليهم رواة يشترط فيهم التشيع والموالاة، وإن عرفهم الناس بما ينافي الصدق أو يناقض ما هو معلوم من الدين بالضرورة". (حاشية العواصم من القواسم (ص133)).

(4) يقول محب الدين الخطيب في حاشية العواصم من القواسم (ص133): ((ومدلول الكبيرة عندهم غير مدلولها عند المسلمين))، قال النراقي في مستند الشيعة (ج122/8): ((وقد اختلفوا أولاً في تقسيم الذنوب إلى الكبائر والصغائر، فحكي عن جماعة، منهم: المفيد والطبرسي والشيخ في (العدة) والقاضي والحلبي، إلى عدم التقسيم، بل الذنوب كلّها كبائر، ونسب إلى الإسكافي والديلمي أيضا: إلى انقسام المعاصي إلى الكبائر والصغائر))، بتصرف.

(5) يقول محب الدين الخطيب: "أي الذين ينكرون القدر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (ج24/2): ((كان قدماء الشيعة متفقين على إثبات القدر والصفات. وإنما شاع فيهم رد القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة في دولة بني بويه)) (حاشية العواصم من القواسم (ص133)).

(6) وهم أبو بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم).

(7) العواصم من القواسم (ص ص 132–133).

(8) ابن قدامة، المغني (ج8 /106).

يقول ابن تيمية: ((وأصحاب الرسول (ﷺ): على بن أبي طالب وغيره، لم يُكفّروا الخوارج الذين قاتلوهم، بل أول ما خرجوا عليه، وتحيزوا بحروراء، وخرجوا عن الطاعة والجماعة، قال لهم علي بن أبي طالب (ﷺ): "إن لكم علينا ألا نمنعكم مساجدنا، ولا حقكم من الفيء"، وحين قاتلهم لم يعاملهم كما عامل أبوبكر المرتدين كمسيلمة الكذاب وغيره، فلم يسب نساءهم وذراريهم، ولم يغنم مالهم))(1).

- **تقرير محاورة الزنادقة الغلاة قبل الحُكم عليهم: -**

كان عليّ (ﷺ) يُقدم أسلوب الحوار والنقاش على أي أسلوبٍ آخر في تعامله مع جُلّ القضايا حتى العقدية منها مما لا يمكن لأي مؤمن أن يتحمله! فقد قابل مَن جعلوه إلهاً وأمهلهم ثلاثة أيام وهو يحاورهم ويناقشهم لكن دون جدوى، فأمر بهم، فنكل بهم بعد ذلك بعد تيقنه أنهم مقتنعون بأنه إله!

فعن عبد الله بن شريك العامري (2) عن أبيه قال: قيل لعليّ: إن هنا قومًا على باب المسجد، يدّعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم ! ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، فقال: ويلكم! إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء خادمه قنبر، فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك. فلما كان اليوم الثالث، قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فخدَّ لهم أخدودًا بين المسجد والقصر، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا (3) قال:

إني إذا رأيت الأمر أمرًا منكرا *** أوقدت ناري ودعوت قنبراً (4)

---

(1) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (ج5/241)، بتصرف.

(2) عبد الله بن شريك العامري الكوفي، قال عنه أحمد وابن معين وأبو زرعة: ثقة. وقال أبو حاتم والنسائي: ليس بقوي، وقال النسائي في موضع آخر: ليس به باس. (انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج5/ 223))، والخلاصة: أنه ثقة.

(3) لقد ثبت إحراقهم في الصحيح عن عكرمة قال: أُتي عليّ (ﷺ) بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا) فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله (ﷺ): لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم؛ لقول رسول الله (ﷺ): ((مَن بدل دينه فاقتلوه)) البخاري، صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين/ باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، (ج 9 / 15): رقم الحديث (6922).

(4) انظر هذا الخبر عند المحب الطبري في ذخائر العقبى (ص 93)، وفي الرياض النضرة (ج3 / 195)، وعند ابن حجر في الفتح (ج 12/ 370)، قال ابن حجر في سنده: وهذا سند حسن. وعند ابن تيمية في جامع الرسائل، المجموعة الأولى (ص 260).

- **تقرير جواز ذكر المرء مناقبه لغرض شرعي: -**

شعر عليّ (ﷺ) بعد معركتي الجمل وصفين ضد البغاة عليه (ﷺ) وبعد معركة النهروان ضد الخوارج، بتقاعس أهل العراق لإكمال السير الجهادي معه، حيث عزم للمسير لضم الشام إلى جناح الخلافة، فجمع الناس في الرحبة حيث أنشدهم الله مذكراً إياهم بأحد مناقبه التي ذكرها رسول الله أمام الكثير منهم، ويذكرهم بحقه، فقال لهم: ((أَنْشُدُ اللهَ كُلَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ[1] مَا سَمِعَ، لَمَّا قَامَ فَقَامَ ثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: فَقَامَ نَاسٌ كَثِيرٌ فَشَهِدُوا حِينَ أَخَذَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ –أي رسول الله: "أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ"))[2].

ويبدوا أنه أراد أن يُظهر جانباً معيناً من جوانب الخير من بين ظلمات اقتتال المسلمين فيما بينهم، فقال للناس يوما: ((أرأيتم لو أني غبت عن الناس مَن كان يسير فيهم بهذه السيرة؟))[3]، أي ما قام بتطبيقه من فقه تعامل إمام المسلمين مع البغاة المخالفين له ممن لهم قوة وشوكة.

المطلب الثالث: التصدي للبدع

كانت فترة خلافة عليّ (ﷺ) أقل من خمس سنوات بقليل[4]، ولكنها تُعتبر فترة مليئة بظهور البدع والانحرافات العقائدية، ومن رحمة الله بالمؤمنين أن قدر لهم أبا الحسن خليفة في هذه الحقبة، وهو الذي قال عنه رسول الله (ﷺ): ((إن منكم مَن يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله))[5]، وهو الذي شابه أبا بكر في حزمه وعزمه، وشابه عمر في حِكمته وعدله،

---

(1) هو ماء يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وهو اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة، غدير مشهور يضاف إلى الغيضة فيقال غدير خم. (انظر شرح فؤاد عبد الباقي لصحيح مسلم رقم (2408)).

(2) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند الكوفيين/ باب حديث زيد بن أرقم، (ج32/56): رقم الحديث (19302)، قال محققو المسند: إسناده صحيح.

(3) عبد الرزاق، مصنف عبد الرازق رقم (18593) عن ابن جريج ، عن أبي عاصم الثقفي، عن أشياخ من قومه.

(4) انظر: البخاري، التاريخ الكبير (ج1/99).

(5) سيأتي تخريجه (ص 225)

وشابه عثمان في ورعه وفدائه، ولذلك فإنه ((لم يرد في حق أحدٍ من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في عليّ (رضي الله عنه)))[1].

ورسم (رضي الله عنه) لنفسه منهجاً قائماً على التصدي لكل بدعة يتم ابتداعها وهذا من حدة ذكائه وجميل فطنته، فما من بدعة قولية أو فعلية إلا ويُصبح لها أتباعٌ وأنصارٌ، ولذلك كان يقول: ((إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدثة بدعة، وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة))[2].

أولاً: التصدي لبدعة الخروج على الحاكم العادل:

لا يخفى على أحد من أهل العلم وطلبته وأهل السِيَرِ والتاريخ أن علياً (رضي الله عنه) – وبخلاف أسلافه من الخلفاء الراشدين– قد واجه بدعاً عديدة، منها بدعتان عظيمتان خطيرتان، ويجمع البدعتين أنهما خروج على الحاكم العادل؛ الأولى بدعة عدم اعتراف قسم كبير من أهل الإسلام به كخليفة تُسلّمُ له الأمور ويجب إطاعته، والبدعة الأخرى بدعة الخروج عليه كخليفة راشدٍ عادل بعد الحكم عليه (رضي الله عنه) وعلى أنصاره بالكفر.

وتكمن خطورة البدعتين أن معالجتهما يُكلّفُ دماءً وأشلاءً ويأتي بنتائج لها آثار صعبة على الصف المسلم وعلى الدولة المسلمة وعلى وحدة المسلمين، وهاتان البدعتان سيتم التعرض لهما كلاً على حدة:

أ. التصدي لبدعة البغي على الحاكم العادل: –

لقد شهد عصرُ عليّ (رضي الله عنه) موقعتين عظيمتين بين المسلمين فيما بينهم وعلى رأسهم صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وذلك على أثر استشهاد عثمان (رضي الله عنه)، وهاتان الموقعتان هما معركة (الجمل) في جمادى الآخرة عام (36هـ)[3] . ومعركة (صفين) في صفر عام (37هـ)، فكان المناوؤون لعليّ (رضي الله عنه) في كلتا الموقعتين بُغاةً من المؤمنين، بغوا عليه (رضي الله عنه).

والبغي هو: ((خروج جماعة من المسلمين لهم مَنَعة وقوة على الإمام بُغية خلعه متأولين، فإن لم تكن لهم منعة وقوة فليسوا بُغاة وإنما مجرمون))[4]، والبُغاةُ هم: ((قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ

(1) ابن حجر، فتح الباري (ج71/7)، نقله عن الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبي علي النيسابوري.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية (ج640/10).

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري (ج61/13).

(4) قلعه جي، موسوعة فقه علي بن أبي طالب (ص126).

الْحَقِّ، يَخْرُجُونَ عَنْ قَبْضَةِ الْإِمَامِ، وَيَرُومُونَ خَلْعَهُ لَتَأْوِيلٍ سَائِغٍ، وَفِيهِمْ مَنَعَةٌ يَحْتَاجُ فِي كَفِّهِمْ إلى جَمْعِ الْجَيْشِ، فَهَؤُلَاءِ الْبُغَاةُ))(1).

ولقد وضح الله تعالى في كتابه ماهية البغي وكيفية التصدي له ﴿**وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ**﴾[الحجرات:9]، يقول الإمام الطبري: ((وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل، فإن أبَت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له، وعليه وتعدّت ما جعل الله عدلا بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما فقاتلوا التي تعتدي، وتأبى الإجابة إلى حكم الله حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه، فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله في كتابه، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها بالعدل: يعني بالإنصاف بينهما، وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلا بين خلقه))(2) .

مما سبق يتضح:

- أن البغي هو رفض الانصياع للإصلاح مصحوباً بالتعدي، ويكون ضد الإمام الحق.
- أن الاقتتال بين المؤمنين أمر ممكن الحدوث ولكن ليس هو الأصل، فإن ((التعبير بـ (إن) – في الآية– للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع القتال بين المسلمين، وأنه إن وقع فإنه نادر قليل، والخطاب في الآية لولاة الأمور، والأمر فيها للوجوب))(3).
- أن الأصل عند حدوث البغي هو الإصلاح بين الفريقين من قِبَل المؤمنين أنفسهم، وأولاهم بذلك ولي الأمر.
- أن رفض طائفة منهما الإصلاح يوجبُ قتال المؤمنين لها حتى تعود إلى أمر الله.
- بعدما تعود الفئة الباغية إلى رشدها وجب الإصلاح بين الفريقين بالعدل والقسط.

والبغي بدعةٌ لا يحبها الله سبحانه، لذلك أمر بقتال مَن هُم أهلها، فهي من أخطر البدع على المسلمين ووحدتهم، ولذلك شرع الله قتال البغاة بالرغم مما فيه من سفكٍ للدماء، لأن عدم

---

(1) ابن قدامة المقدسي، المغني (ج242/12).

(2) الطبري، تفسير جامع البيان (ج292/2).

(3) الزحيلي، التفسير المنير (ج237/26).

التصدي له يُولد فُرقة بين المسلمين مما ينشأ عنها ضعفٌ وهوانٌ، ويجعلهم لقمة سائغة لأعدائهم، وما هي ثمرة التوحيد لله إنْ لم تكن حفظ الدين والعقل والنفس والعرض والمال؟، وما كانت هجرة النبي وصحابته من مكة للمدينة إلا لحفظ دينهم وعقيدتهم وأنفسهم وأموالهم، يقول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾[الإسراء: 80]، حيث إن الرسول (ﷺ) طلب من ربه وهو في مكة أن يجعل له كياناً ليحمي دينه والمؤمنين.

ونقل ابن كثير عن قتادة قوله: ((إن نبي الله (ﷺ) علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده، ولولا ذلك، لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدُهم ضعيفَهم))[1]، فرسول الله (ﷺ)، سأل الله ((أن يؤتيه سلطاناً نصيراً له على من بغاه وكاده، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده))[2].

ولهذا ذهب معظم أهل العلم إلى جعل مسألة الخروج على الحاكم –ومنه البغي– من مسائل العقائد.

تصرف أمير المؤمنين عليّ (رضي الله عنه) مع البغاة:

لقد كان تصرف علي (رضي الله عنه) مع البغاة من المؤمنين في موقعة الجمل ثم صفين على نفس الشاكلة، فهو لم يكن يبدؤهم بقتال، ولم يكن يُجهز على جريحهم، وكان يأخذ من أسيرهم سلبه الذي في المعركة فقط، ولم يسلِب أموالهم وأولادهم وأزواجهم فهم مسلمون، وكان مَن بايعه منهم يُعيد له ما أخذه منه في المعركة، وكان يُصلي على ميتهم ويدعو لهم بالمغفرة والجنة، قال يزيد ابن الأصم: ((لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج عليّ فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، ويصير الأمرُ إليَّ وإلى معاوية))[3]، وما قاله عن شهداء صفين قاله عن شهداء الجمل حيث تفقد القتلى بعد المعركة فوجد فيهم محمد بن طلحة فدعا له وللقتلى بالمغفرة وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح[4].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج82/3).

(2) الطبري، تفسير جامع البيان عن تأويل الأحكام، (مج7/ 5245–5246).

(3) ابن أبي شيبة، المصنف (ج303/15) بسند حسن.

(4) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، (ج103/3): رقم الحديث (375)، إسناده حسن لغيره.

على خطى الصحابة في النزاع بين المؤمنين:

وهنا أود الإشارة إلى واقعنا الذي نعيشه، حيث نشب اقتتال بين أكبر فصيلين فلسطينيين لأسباب معروفة وله جذور قديمة، وكلا الفصيلين من المسلمين، وبلغ ذروة ذلك في (يونيو 2006م)، وحتى هذه اللحظة الأمور متعثرة في الإصلاح بين الطرفين، ولذلك فإنه من الواجب على أهل العلم وطلبته أن يقدموا للناس من الحلول التي تجمع شملهم وتوحد صفهم وكلمتهم مستندين بذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله وفعل الخلفاء الراشدين من بعده، وعليه فنقترح على هذين الفصِيلين وبقية المؤمنين من الأمة المسلمة أن يُطبقوا الآية (التاسعة) من سورة الحجرات، وأن يكون الحكم بين الطرفين علماء المسلمين، ففي ذلك الخير والبركة إن شاء الله[1] .

ب. التصدي لبدعة الخوارج:

تُعتبر بدعة ظهور طائفة الخوارج أول البدع الكبرى ظهوراً في الأمة بجانب بدعة فرقة الشيعة، وهما ⁽⁽فرقتان متقابلتان: إحداهما تكفره وتتبرأ منه والأخرى تنصره وتؤيده⁾⁾[2]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ⁽⁽أَوَّلُ بِدْعَةٍ حَدَثَتْ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةُ الْخَوَارِجِ وَالشِّيعَةِ، حَدَثَتَا فِي أَثْنَاءِ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَعَاقَبَ الطَّائِفَتَيْنِ⁾⁾[3]، وهاتان الطائفتان ما زالتا من أخطر الفرق على عقيدة المسلمين ووحدتهم.

تعريف الخوارج:

اختلف أهل الاختصاص في تعريف الخوارج، وسأعرض لبعض الآراء وأناقشها، ومنها:

1. تعريف أبي الحسن الأشعري للخوارج، فيرى أنّ ⁽⁽الخوارج جمع خارج، وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق وأعلن عصيانه، وألب عليه، وعلماء الفقه الإسلامي يسمون من فعل ذلك وصارت له شوكة (الباغي) وجمعه بغاة⁾⁾[4].

وهذا الرأي يعارض حقيقتين مهمتين، أنه لم يُطلِق أحدٌ على مَن قاتل عليّاً (ﷺ) من أهل الجمل والصفين بأنهم خوارج، فهم بغاة بشهادة رسول الله، حيث قال (ﷺ) عن عمار (ﷺ):

---

(1) ولقد قام الباحث بنشر مقالٍ بالخصوص بعنوان: "محطات ضرورية على طريق المصالحة"، وذلك في صحيفة فلسطين الصادرة في غزة، بتاريخ 2013/5/23. وانظر: موقع البدر أونلاين (موقع إلكتروني).

(2) اللالكائي، شرح أصول الإعتقاد (ج20/1).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج279/3).

(4) الأشعري، مقالات الإسلاميين (ج167/1)، الإسفراييني، الفرق بين الفرق (ص72).

((وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ))[1] ، ثم فإن كل الخوارج بُغاة، لكن ليس كل البُغاة خوارج.

2. ويقول الإمام ابن حجر العسقلاني: ((أما الخوارج فهم جمع خارجة أي طائفة، وهم قوم مبتدعون، سموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين))[2].

وقول الإمام ابن حجر (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) يوحي بأن الخوارج ليسوا من المسلمين، وهذا مناقض لما قاله عليَ (رضي الله عنه) حين رفض تسميتهم بالكفار أو المنافقين.

وأما قوله "خروجهم على خيار المسلمين"، فلا شك أنه لم يكن هناك إجماعٌ على خلافة عليّ (رضي الله عنه) في زمانه، وإلا لما قاتله طلحة والزبير ومعاوية وبعض الصحابة (رضي الله عنهم)، ولسمعوا لـه وأطـاعوا، لأن الخـلاف كـان بيـنهم لا يعـدوا اجتهـاداً سياسـياً يعـود لتقـدير المصـالح والمفاسد، وأما القول بإجماع المسلمين على إمام، فهذا لم يتحقق من بعد زمن الخليفة عثمان (رضي الله عنه) حتى يومنا، ودليل ذلك أن رسول الله (ﷺ) قال عن الحسن بن علي (رضي الله عنه): ((إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ))[3] ، وسمى المسلمون العام (41هـ) بعام الجماعة لتنازل الحسن فيه بالخلافة لمعاوية، لذلك يُستثنى من ذلك فتراتٍ محدودة كفترة خلافة معاوية وعمر بن عبد العزيز وغيرها!، ويضاف لذلك قول النبي: ((تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ))[4]، أي لم يكن المسلمون جماعة واحدة وعلى خِيارٍ واحد، ولذلك الأخذ بهذا الرأي يبرئ فرقة الخوارج نفسها من هذا الاسم وقد يُلصقه بغيرهم!

3. والإمام الشهرستاني اعتبر الخروج تياراً عاماً يشير إلى ((كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان من بعدهم على التابعين، أو على الأئمة في كل زمان))[5]، ولقد عقب د. محمد بخيت

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة/ باب التعاون في بناء المسجد، (ج97/1): رقم الحديث (447).

(2) ابن حجر، فتح الباري (ج 383/12).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلح/ باب قول النبي للحسن، (ج186/3)، رقم الحديث (2704).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة/ باب ذكر الخوارج وقتاله، (ج745/2): رقم الحديث (1064).

(5) الشهرستاني، الملل والنحل(ج91/1).

(حفظه الله) على قول الشهرستاني بالقول: ((وهذا يعني أن كل من حمل أفكار الخوارج يطلق عليه خارجياً وإن تسمى بأسماء ولقب نفسه بألقاب أخرى))[1].

ورأيُ الشهرستاني لا يمكن تطبيقه على هذه الفرقة التي خرجت على عليّ (ﷺ)، وذلك لأمرين، الأول: لأن الإجماع لم يكن منعقداً على قَبول خلافة عليّ (ﷺ) إلا بشرط، وهو الأخذ بالثأر من قتلة عثمان (ﷺ)، والثاني: فلو أخذنا بهذا الرأي فيُلزمنا ذلك القولَ: إنّ مَن قاتل عليّاً (ﷺ) في الجمل وصفين خوارج! وهذا لا يصح بحال.

4. يقول د. ناصر العقل: ((الخوارج هم الذين يُكفِّرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم...كما يشمل اسم الخوارج كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم...))[2]. وبعض مما قيل في مناقشة الآراء السابقة تنطبق على هذا التعريف.

5. أما الدكتور الصلابي فبعدما استعرض آراء العديد من علماء المسلمين من السلف والخلف، قال (حفظه الله): ((وبالرغم من الارتباط القوي بين ذي الخويصرة والغوغاء الذين خرجوا على عثمان، وبين الخوارج الذين خرجوا على عليّ بسبب التحكيم، فإن مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الخاصة، أحدثت أثراً فكرياً وعقائدياً واضحاً، بعكس ما سبقها من حالات))[3].

وما رجحه الصلابي أراه الأرجح بين الأقوال، وذلك لعدة أسباب:

1. أنه لم تظهر عقائد هذه الطائفة بشكل واضح وجلي إلا بعد خروجهم على عليّ (ﷺ).
2. أنه لم يُطلق عليهم أحدٌ هذا الاسم قبل ما حدث على إثر موقعة صفين.
3. أن الذين يرون أن نشأتهم من بداية حادثة (ذو الخويصرة) مع رسول الله (ﷺ)، يُردُّ عليهم أن بين هذه الحادثة وبين ظهورهم في عهد عليّ ثلاثون عاماً تقريباً، لم نسمع أحداً من الصحابة في هذه الفترة قد تحدث عن مثل هذه الفرقة.

---

(1) بخيت، الفرق القديمة والمعاصرة (ص 200).

(2) العقل، الخوارج، مناهجهم وأصولهم وسماتهم (ص 19).

(3) الصلابي، الخوارج (ص11).

4. أن الذين بغوا على عثمان لم يُكفروه، ولم يُكفروا أحداً من الصحابة، ولم تظهر منهم معتقدات على غير ما كان عليه عامة المسلمين باستثناء محاولتهم عزل عثمان (ﭬ)، حيث لم يطلبوا الخلافة لأنفسهم، ولم يعتدوا على بقية الصحابة ولم يظهر منهم تكفير مَن خالفهم في رأيهم بعثمان (ﭬ)، وهذا خلاف الفرقة التي خرجت على عليّ (ﭬ).

5. أن معظم صفاتهم التي جاءت في أحاديث رسول الله ((ﭬ)) برزت بشكل واضح بعد انفصالهم عن جيش الخليفة الراشد الرابع بعد حادثة التحكيم.

6. أن هذا الفهم ينطبق مع فهم الخليفة عليّ (ﭬ) لما سمعه عن رسول الله (ﷺ) ، حين قال – لما سمع بجرائمهم[1] – سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((سيخرج في آخر الزمان قومٌ أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة))[2]، ويؤكد ذلك قول رسول الله عنهم: ((...آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ (أي تضطرب) وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ))[3]، قال أبو سعيد الخُدري راوي الحديث: ((أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ[4] فَالْتُمِسَ فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ (ﷺ) الَّذِي نَعَتَهُ))[5].

---

(1) كقتلهم عبد الله بن خباب بن الْأَرَت، وقتل ولده وجاريته أم ولده، انظر: الأسفراييني، الفرق بين الفرق (ج57/1).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة/ باب قتل الخوارج والتحريض عليهم، (ج745/2): رقم الحديث (1066).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام، (ج200/4): رقم الحديث (3610).

(4) قال نافع بن مسلمة الأخنسي: ((كان ذو الثدية رجلا من عرنة مِنْ بَجِيلَةَ (يُسمى: حُرْقُوص بن زُهير البَجَلي)، وَكَانَ أَسْوَدَ شَدِيدَ السَّوَادِ، لَهُ ريح منتنة معروف في العسكر، وكان يرافقنا قبل ذَلِكَ وَيُنَازِلُنَا وَنُنَازِلُهُ)) (البداية والنهاية (ج590/10)).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام، (ج200/4): رقم الحديث (3610).

بين بدعتي البغاة والخوارج:

أما بدعة البغي على أمير المؤمنين عليّ فهي ليست من البدع الكبرى برغم خطورتها، لأنه لم ينتج عنها فرق وجماعات ذات زيغ عقائدي وضلالات كبيرة، ولم يستحل البغاة أموال الطرف الآخر ولا أعراضهم ولم يسبوا نساءهم، لأنهم لم يعتبروهم كفاراً بل اعتبروهم طائفة من المؤمنين تجب مقاتلتها حتى تفيء لأمر الله حسب فهمهم لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:9].

الرسول (ﷺ) يصفهم للمسلمين ويُحذرهم منهم:

لقد جاءت أحاديث عديدة ثابتة عن رسول الله (ﷺ) توضح للمسلمين صفات الخوارج وخطرهم وكيفية التصرف معهم عند ظهورهم، ومن هذه الأحاديث:

- أنهم يُسيؤون تأويل القرآن: فقد كان الرسول شديد الوضوح جين تحدث أنّ علياً (رضي الله عنه) سيقاتل على تأويل القرآن كما قاتل هو (ﷺ) على تنزيل القرآن، حيث روى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) الله عنه قال: ((كنا مع رسول الله (ﷺ) فانقطعت نعله فتخلف عليّ (رضي الله عنه) يخصفها فمشي قليلاً ثم قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما)، قال أبو بكر: أنا هو قال: لا. قال عمر أنا هو قال: لا، لكن خاصف النعل – يعني عليّا فأتيناه، فبشرناه، فلم يرفع به رأسه كأنه قد سمعه من رسول الله (ﷺ)))[1].

- أنهم يحسنون القول ويسيؤون العمل، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فقد جاء في حديث أنس وأبي سعيد أن رسول الله (ﷺ) قال: ((سَيَكُونُ في أُمَّتِي اخْتِلاَفٌ وفُرْقَةٌ قَوْمٌ يُحْسِنُونَ القَوْلَ ويُسِيئُونَ العَمَلَ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لا يَرْجِعُونَ حَتّى يَرْتَدَّ على فُوقِهِ هُمْ شَرُّ الخَلْقِ والخَلِيقَةِ، طُوبَى لمنْ قَتَلَهُمْ أَو قَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إلى كِتَابِ الله ولَيْسُوا مِنْهُ في شيءٍ، مَنْ قَتَلَهُمْ كان أَوْلَى بالله مِنْهُمْ"، قالوا: يا رسول الله ما سيماهم؟ قال: التَّحْلِيقُ))[2]

(1) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، (ج132/3): رقم الحديث (4621)، قال صحيح على شرط الشيخين.
(2) ابن ماجة: سنن ابن ماجة، باب في ذكر الخوارج، (ج62/1): رقم الحديث (175)، صححه الألباني.

- أنهم يخرجون على حين تفرق المسلمين، قال رسول الله (ﷺ): ((تكون أمتي فرقتين، فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهما بالحق))(1).

- أنهم صغار في السن، وذو عقول سفيهة، ولا يستفيدون من قرائتهم للقرآن الكريم، فعن سويد ابن غفلة قال: سمعت علياً يقول: ((إذا حدّثتكم بشيء عن رسول الله (ﷺ) فلأَنْ أَخِرَّ مِنَ السماء فتخطفني الطير أحبَّ إليّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيننا فإن الحرب خُدْعَة، وإني سمعته (ﷺ) يقول: "يَخْرُجُ قَوْمٌ في آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لا يُجَاوِزُ إيمانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدّينِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فإنْ لَقِيتُمُوهُمْ فاقْتُلُوهُمْ فإنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ."))(2)، قال محمد فؤاد عبد الباقي في شرحه لشرح النووي على مسلم: ((يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم: قال القاضي: فيه تأويلان: أحدهما، معناه: لا تفقهه قلوبهم ولا ينتفعون بما تلوا منه، ولا لهم حظ سوى تلاوة الفم والحنجرة والحلق إذ بهما تقطيع الحروف؛ الثاني، معناه: لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا يتقبل))(3).

- يُكثرون من العبادات لدرجة أنها تصبح سمةً لهم، لكنها تكون عليهم لا لهم، فقد روى مسلم بسند متصل أن زيد بن وهب الجهني كان في الجيش الذين كانوا مع علي (رضي الله عنه) الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي (رضي الله عنه): أيها الناس، إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ((يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم (ﷺ) لاتكلوا عن العمل ...))(4)، وعن يسير بن عمرو قال: سألت سهل بن حنيف: هل سمعت النبي (ﷺ) يذكر الخوارج؟ فقال:

---

(1) أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة/ مسند أبي سعيد الخدري، (ج13/18): رقم الحديث (11416)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأصله في صحيح مسلم (1064).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، (ج745/2): رقم الحديث (1066).

(3) النووي، شرح النووي على مسلم، (ج159/7): مسألة (1063).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، رقم الحديث (1066).

((سمعته وأشار بيده نحو المشرق قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية))[1].

- أنهم شر الخلق والخليقة، وبعيدون عن الصواب، قال أبو ذر (ﷺ)، قال رسول الله (ﷺ): ((إن بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة))[2]، وعن سهل بن حنيف عن النبي (ﷺ) قال: ((يتيه قوم قِبل المشرق محلقة رؤوسهم))[3]، قال النووي: ((يتيه قوم قبل المشرق: أي يذهبون عن الصواب وعن طريق الحق، يقال: (تاه) إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق))[4].
- أنهم كلابُ أهل النار جزاءً وفاقاً لمكرهم بالمؤمنين في الدنيا، فعَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): ((الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ))[5]، قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ((أي أنهم يتعاوون فيها عواء الكلاب، أو أنهم أخس أهلها، وأحقرهم، كما أن الكلاب أخس الحيوانات وأحقرها))[6]، ثم ذكر الحكمة من عقابهم بهذا العقاب، فقال: ((لأنهم كانوا في الدنيا كلاباً على المسلمين، فيكفرونهم، ويعتدون عليهم، ويقتلونهم، فعوقبوا من جنس أعمالهم، فصاروا كلاباً في الآخرة))[7].

أبرز عقائد الخوارج:

لقد تميزت عقائد الخوارج في أكثر فرقهم بنقطتين، هما: قولهم بوجوب الإمامة، وتكفيرهم الناس بارتكابهم للكبائر[8].

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، رقم الحديث (1068).

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، رقم الحديث (1067).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة/ باب التحريض على قتل الخوارج، رقم الحديث (1068).

(4) النووي، شرح النووي على مسلم، (ج175/7)، مسألة (1068).

(5) ابن ماجة، سنن بن ماجة، باب في ذكر الخوارج، (ج61/1): رقم الحديث (173)، صححه الألباني.

(6) المناوي، فيض القدير (ج528/1).

(7) المرجع السابق (ج509/3)، بتصرف.

(8) لقد قام د. محمد بخيت ببحث رائع عن عقائدهم من المصادر القديمة الموثوقة، وخلص إلى تلك النقطتين، وكتبه مُحكمٌ علمياً. انظر: بخيت، الفرق القديمة والمعاصرة (ص 210-217).

ثانياً: التصدي لبدعة التشيع المذموم: –

تُعتبر بدعة التشيُع المذموم لعليّ وآل البيت والمغالاة في حقهم من أخطر البدع التي أثرت في معتقدات المسلمين ووحدتهم، ويعتبر العلماء أن فرقتي الشيعة والخوارج أول فرقتين شذتا عن الفهم الصحيح للإسلام وزاغتا عن الطريق المستقيم.

والتشيع في لغة العرب يعني الاتباع والنصرة[1] ، وشيعة الرجل: أصحابه وأتباعه، وكل قومٍ اجتمعوا على أمر فهم شيعة[2] ، ويُقال: شايعه، كما يُقال: والاه؛ من الوليّ[3] . وتحت مادة "شاع" ورد في القاموس المحيط: شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته بالمفهوم المتعارف عليه حتى صار اسماً خاصاً لهم [4].

يقول الدكتور محمد بخيت: ((من خلال النظر في أقوال وآراء العلماء حول معنى الشيعة أو التشيع يتبين أنها تُطلق على مَن شايع الإمام علي (ﷺ)، وقدمه في الإمامة على غيره من أصحاب رسول الله (ﷺ)))[5].

والتشيع لشخص أو جماعة ليس أمراً مذموماً بحد ذاته، بل المذموم تقديم ما عند هذا الشخص أو هذه الجماعة على نصوص الشرع وعلى مَن هم أفضل منهم، وإنّ المسلمين جميعاً يتعبدون الله بحبهم لرسوله وآل بيته والدفاع عنهم، ويتشرفون بالنسب إليهم، لكن دون إفراط ولا تفريط، فقد قال رسول الله (ﷺ) عن نفسه: ((لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ))[6].

---

(1) الغامدي، التشيع (ص21).

(2) الفراهيدي البصري، العين (ج124/1).

(3) انظر: الجوهري، مختار الصحاح (376/1)

(4) انظر: القاموس المحيط (ج47/3).

(5) بخيت، الفرق القديمة والمعاصرة (ص 23).

(6) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب واذكر في الكتاب مريم، (ج167/4)، رقم الحديث (3445).

نشأة التشيُع لعلي وآل البيت وجذوره:

تعود جذور التشيع لآل البيت بمفهومه اللُغوي بالتزامن مع وفاة النبي (ﷺ)، حيث كان البعض يرى في بني هاشم[1] أنهم أحق بخلافة رسول الله من غيرهم فتشيعوا لهم، وتشيع آخرون – ومعظمهم من الأنصار – لسعد بن معاذ حيث اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، ولكن سرعان ما انتهى الأمر بمبايعة الناس لأبي بكر الصديق واتفاق المسلمين على إمامته[2] .

ثم ظهر التشيع لعليّ بعد وفاة عمر (رضي الله عنه) نتيجة انحصار أمر الخلافة بين عليّ وعثمان، وانقسم الناس في المدينة بما فيهم أهل الحل والعقد بين مؤيدٍ لهذا أو لذاك حتى حُسمت لصالح عثمان (رضي الله عنه).

وبعد النصف الثاني من زمن خلافة عثمان (رضي الله عنه) بدأ التشيع لعلي وآل البيت يظهر جلياً، حيث استغل البغاة وأهل الفتنة الحالة السياسية، لينشروا الفوضى، ويبنوا أرضية تناسب مآربهم فكان طابع التشيع في بادئ الأمر سياسياً؛ ثم أخذ الطابع العقائدي، وكان وراء ذلك عبد الله بن سبأ[3]، حيث انحرفت عقائد الكثير ممَن شايع آل البيت وظهر ذلك جلياً على إثر الخلاف المعروف بين عليّ ومعاوية (رضي الله عنهما) والقتال في الجمل وصفين[4] .

وظهر في زمن خلافة عليّ (رضي الله عنه) العديد من البدع العقائدية بين شيعته، حيث غذاهم بها عبد الله بن سبأ، فقد استعار العديد من عقائد أهل الكتاب الفاسدة وعقائد الفرس الوثنية وغلفها بأغلفة دينية وأخرجها بمنطقٍ في الحديث تجذب العقول وتسرق الأسماع، حيث الكثير منهم ما زال حديث عهد بإسلام فلم يخلعوا كلّ رداء الجاهلية على عتبة الإسلام بعد كما فعل الصحابة في عهد رسول الله (ﷺ)[5] .

---

(1) روى الإمام البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنه) أن علياً خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي مات فيه، فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ قال: قد أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده العباس وقال: وإني والله لأرى رسول الله سيُتوفى في وجعه هذا فاذهب بنا نسأله فيمن هذا الأمر، فإن كان فينا علمناه، وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا، فقال عليّ (رضي الله عنه) : " أنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها، لم يعطناها الناس من بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ " (صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب مرض النبي ووفاته، (ج12/6): رقم الحديث (4447)).

(2) انظر: بخيت، الفرق القديمة والمعاصرة (ص 25).

(3) لمعرفة نشأة عبد الله بن سبأ وأصله، ننصح بالرجوع لكتاب: عبد الله بن سبأ للدكتور سلمان العودة (ص ص38–46)

(4) انظر: الغامدي، التشيع (ص21–23)، وعنونها: بالإشاعات في زمن علي بن أبي طالب.

(5) انظر: بخيت، الفرق القديمة والمعاصرة (ص ص 26–28).

ويمكن حصر البدع العقائدية التي نشرها عبد الله بن سبأ بين المسلمين وتصدى لها عليّ وحاربها، في سبع بدع[1] ، والبدعة السابعة، وهي بدعة تكفير طائفة من الصحابة ولعنهم، سأتطرق لها لوحدها لعظم شأنها وسوء مبتداها ومنتهاها.

1. التصدي لبدعة الوصية:

أشاع عبد الله بن سبأ أنه: ((وجد في التوراة أن لكل نبيٍ وصياً، وأن علياً وصي محمد، وأنه خير الأوصياء، كما أن محمداً خير الأنبياء، ثم إن محمداً سيرجع إلى الحياة الدنيا، ويقول: عجبت لمن يقول برجعة المسيح، ولا يقول برجعة محمد، ثم تدرج بهذا فحكم بألوهية على (ﷺ)))[2].

وهذه البدعة نفاها عليّ (ﷺ) بنفسه، يقول عمرو بن سفيان: لما ظهر عليّ (ﷺ) على الناس يوم الجمل، قال: ((أيها الناس؛ إن رسول الله (ﷺ) لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً، حتى رأينا أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى لسبيله، ثم إن أبا بكر رأى الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرّانه، ثم إن أقواماً طلبوا هذه الدنيا، فكانت أمور يقضي الله فيها))[3].

وهناك العديد من الروايات عنه (ﷺ) تثبت تصديه لهذه البدعة الخطيرة[4] .

2. التصدي لبدعة الرجعة:

أما بدعة الرجعة كما نشرها عبد الله بن سبأ بين المسلمين، فلم أجد قولاً لعليّ (ﷺ) يعالج أمرها، لكن هناك روايات عن بنيه وأحفاده ينفون هذه البدعة ويرفضونها، فقد قال عمرو ابن الأصم للحسن بن عليّ: ((إنّ هذه الشيعة يزعمون أنّ علياً مبعوثٌ قبل يوم القيامة، فقال: كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة، لو علمنا أنه مبعوث ما زوّجنا نساءه ولا قسمنا ماله))[5].

وحين قُتل عليّ (ﷺ) رفض عبد الله بن سبأ التسليم بذلك، وقال إنّ ما حدث مع عيسى (عليه السلام) حدث مع عليّ وأنه سيعود ويرجع في آخر الزمان، وأنه كما شُبه على اليهود قتله، فإنه شُبه على الناس قتل عليّ (ﷺ) [6].

---

(1) انظر: الغامدي، التشيع (ص 35).

(2) تاريخ المذاهب الإسلامية (ج39/1).

(3) البيهقي، دلائل النبوة (ج223/2).

(4) للإطلاع على المزيد من الروايات، انظر: الغامدي، التشيع (ص 36–55).

(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج39/3).

(6) انظر: الإسفراييني، الفرق بين الفِرق (ص ص 233–234).

ومن معتقدات الشيعة الإمامية كذلك رجوع الغائب الإمام[1] ويقصدون بذلك رجعة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري[2] .

3. التصدي لبدعة تخصيص عليّ بشيء من العلم:

وانتشر في زمان خلافته بدعة تخصيص النبي (ﷺ) عليّاً بعلم لم يطلعه إلا عليه، فأنكر ذلك عليّ (رضي الله عنه)، فتصدى لهذه البدعة ونفاها، واستخدم لذلك عدة أساليب منها الخطابة، ومنها الرد المُحكم على مَن سأله بالخصوص، ومنها اتهام مَن قال ذلك بأنه كذاب كمدعي النبوة الكذبة!

فقد خطب (رضي الله عنه) الناس يوماً على منبر من آجُر –أي من الطوب المشوي– وعليه سيف فيه صحيفة معلقة، فقال: ((وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ يُقْرَأُ إِلاَّ كِتَابُ اللَّهِ، وَمَا فِى هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَنَشَرَهَا فَإِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الإِبِلِ وَإِذَا فِيهَا الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ عَيْرٍ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً وَإِذَا فِيهِ ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً، وَإِذَا فِيهَا مَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً))[3] .

---

(1) انظر: بخيت، الفرق القديمة والمعاصرة (ص ص 56–59).

(2) هو: محمد بن الحسن العسكري، وُلدَ في سامراء سنة 256هـ، واختفى عن الأعين سنة 261هـ، وكان اختفاؤه داخل سرداب في دار أبيه بمدينة سامراء، ويعتقدون أنه ما زال حياً في السرداب إلى اليوم، وأن الله تعالى سيظهره بعد طول الغياب ليملأ به الأرض قسطاً وعدلاً، ويعتبروه المهدي المنتظر. (انظر: الفصل الثالث (ص 196))، ويقول ابن القيم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): ((الشيعة الإثنا عشرية يعتقدون أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر من ولد الحسين بن علي لا من ولد الحسن، وأنه دخل سردابَ سامرا طفلاً صغيراً من أكثر من خمسمائة سنة فلم تره بعد ذلك عين، ولم يحس فيه بخبر ولا أمر، وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخيل على باب السرداب، ولقد أحسن من قال:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلمتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... كلمتم العنقاء والغيلانا

ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم وضحكة ليسخر منهم كل عاقل)) (المنار المنيف (ص 152)، بتصرف).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة/ باب ما يكره من التعمق والتنازع، (ج97/9): رقم الحديث (7300).

وجاءه عبد الله الشيباني ليسأله: أأفضى إليه رسول الله شيئاً يخصه؟ فقال له غاضباً: ((ويلك! والله ما أفضى إليّ بشيء كتمه أحداً من الناس، وإني لسمعته يقول: "إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً وإني لأظنك أحدهم"))[1]، هذا الرد القاسي من عليّ والذي يحمل في باطنه اتهاماً بردة السائل لدليلٌ واضحٌ على عِظَمِ وجُرم هذا الادعاء بحق دين الله، لأن هذا الادعاء يعني نقصان الدين وتفضيل عليٍّ على أبي بكر وعمر، وهذه أبوابُ بدعٍ ليس لها وصف إلا أنها حالقةٌ للدين والعياذ بالله!

4. التصدي لبدعة دعوى العصمة:

ظهرت بدعة عصمة عليّ (ﷺ) حين قدم وفد من اليمن على عليّ في البصرة، فاجتمع بهم في المسجد فقاموا فخطبوا وتحدثوا، فكان مما قاله خطيبهم الثاني: إن طاعة هذا –أي عليّ – طاعة الرب تعالى، ومعصيته معصية الرب، فقال له عليّ: كذبت فما هذه؟، وحين فرغ الخطباء قام عليٌّ، فأجاب على خُطب القوم، ثم قال: ((كلُّ خطبائكم قد أحسن إلا ما كان من كلام هذا الخطيب الثاني الذي زعم أن طاعتي طاعة الرب تعالى، وأن معصيتي معصية الرب، ولست كذلك، إنما ذاك رسول الله (ﷺ) الذي طاعته طاعة الرب، ومعصيته معصية الرب تعالى))[2].

وجعل الشيعة فيما بعد عصمة عليّ والأئمة من نسلة ركناً عقائدياً من أركانهم، وزاد الانحراف لديهم أن جعلوا الأئمة أعلى منزلة من الأنبياء، معللين ذلك أن الأنبياء يجوز عليهم النسيان والسهو والخطأ فالله يصوب ذلك لهم بالوحي، أما الأئمة فلا يخطؤون لانقطاع الوحي بموت رسول الله (ﷺ) فإن أخطأوا قلد الناس خطأهم وهذا غير ممكن بحال[3] .

5. التصدي لبدعة الطعن في الخلفاء الراشدين الثلاثة:

ظهرت بدعة الطعن في الخلفاء الراشدين في نهاية عصر عثمان (ﷺ)، وكان وراء ذلك عبد الله بن سبأ، حيث بدأ يوشب الناس عليهم وينشر افتراءات عنهم[4] ، ولم يكن آنذاك حديث عن الطعن في أبي بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، ولكن بعد مقتل عثمان بدأ عبد الله بن سبأ يطعن فيهما، ليؤكد صحة افتراءاته بخصوص العصمة والرجعة والوصية بحق عليّ (ﷺ).

---

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج9/29).

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج475/42)، بتصرف.

(3) انظر: بخيت، الفرق القديمة والمعاصرة (ص ص 53–56)، وانظر: الخميني، الحكومة الإسلامية (ص52).

(4) انظر: الفصل الثالث / المبحث الثاني / المطلب الرابع.

والطعن في الخلفاء الثلاثة كان من أصعب الأمور على نفس عليّ بن أبي طالب، مما حدا به أن يهُمّ بقتل عبد الله بن سبأ لانتقاصه أبي بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، ثم عدل عن ذلك بإخراجه من الكوفة إلى المدائن[1] .

وحين رأى بعض الناس تغلو في عثمان (رضي الله عنه) وتتحدث عنه بسوء لتحريقه المصاحف بعد جمع الناس على مصحفٍ واحد، قال: ((لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا من كلامنا جميعا... وجمع الناس على مصحف، ووالله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل))[2].

وحين سمع بعض أتباعه يتكلمون في أبي بكر وعمر صعد المنبر (رضي الله عنه) وقبض على لحيته البيضاء ودقق النظر فيها فاجتمع عليه الناس، وخطب فيهم خطبة طويلة، جاء فيها: ((ما بالُ قوم يذكرون سيديّ قريش، وأبويِّ المسلمين، أنا مما قالوا بريء، وعلى ما قالوا معاقب، ألا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إنه لا يحبهما إلا مؤمنٌ تقي، ولا يبغضهما إلا فاجرٌ رديء...ألا من أحبني فليحبهما، ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء...ألا فمن أتيتُ به بقولي هذا بعد اليوم فإن عليه ما على المفتري، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، ولو شئت سميت الثالث لكم، وأستغفر الله لي ولكم))[3].

6. التصدي لبدعة تفضيل عليّ (رضي الله عنه) على أبي بكر وعمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا):

ومن البدع التي ظهرت ممن تشيعوا لعلي هو قولهم بأفضليته على سيدي قريش، وهذا لا يعني الطعن فيمن سبقوه من الخلفاء بطريق مباشر وإن كان يحمل اتهاماً ضمنياً لهم ولبقية صحابة رسول الله وذلك لأنهم تقدموا على مَن هو أفضل منهم ووافقهم بقية الصحابة وذلك حسب زعمهم وافترائهم، واعتبر عليّ (رضي الله عنه) ذلك من الافتراء، فالصحابة يعلمون أن خير الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبو بكرٍ ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ (رضي الله عنه).

فقد سمع (رضي الله عنه) أن بعض مَن شايعه يفضله على مَن سبقه من الخلفاء، فصعد المنبر وخطب في الناس قائلا: ((ألا إنه بلغني أن أناساً يفضّلوني على أبي بكر وعمر، ولو كنت

---

(1) انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج29/8).

(2) البيهقي، سنن البيهقي (ج42/2)، والبغوي، شرح السنة (ج524/4-525)، وقد صحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (ج18/9) والسيوطي وغيرهما، وانظر: ابن أبي داوود، كتاب المصاحف (ص ص 97-98).

(3) ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج30/ 366-367).

تقدمت في ذلك لعاقبت، ولكني أكره العقوبة قبل التقدم، فمن قال شيئاً من ذلك فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري، إن خير الناس بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر وعمر، وَإِنَّا أَحْدَثْنَا بَعْدَهُمْ أَحْدَاثًا يَقْضِي اللَّهُ فِيهَا مَا أَحَبَّ))[1]، وقال في موضع آخر وبوضوح: ((لا يفضلني أحدٌ على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري))[2].

وقد قام الدكتور الغامدي بجمع ستين رواية عن عليّ وآل البيت فيما قالوه عن الخلفاء الثلاثة، ثم عقب قائلاً: ((وهذه الروايات كلها التي بلغت ستين رواية ويرويها أكثر من ثلاثين شخصاً تقرر شهادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وإقراره بفضل الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم)))[3].

ثالثاً: التصدي لبدعة لعن المؤمنين وشتمهم:

لقد نهى النبي (ﷺ) المسلمين أن يلعن بعضهم بعضاً، وجعل اللعن منافياً لصفات المؤمن الحق، بل عادله بالقتل، وحكم بأن اللعانين لن يكونوا يوم القيامة شفعاء ولا شهداء، فقد قال رسول الله (ﷺ): ((ليس المؤمن بطعّان ولا لعّان))[4]، وقال أيضاً (ﷺ): ((مَن لعن مؤمناً فهو كقتله))[5]، وقال كذلك (ﷺ): ((لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة))[6].

بل نهانا أن نلعن البهائم والدواب، ولا نسير من الملعونين منها، فعن عمران بن حصين (رضي الله عنه) قال: ((بينما رسول الله (ﷺ) في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول (ﷺ) فقال: خذوا ما عليها ودعوها، فإنها ملعونة. قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد))[7].

---

(1) أحمد: فضائل الصحابة، (ج336/1): رقم الحديث (484).

(2) المصدر السابق، (ج83/1): رقم الحديث (49).

(3) الغامدي، التشيع (ص85)، ثم قال:"ولم نستقص كل ما روي عنه في ذلك (رضي الله عنه)، وإنما جمعنا ما تيسر منها".

(4) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب البر والصلة/ باب ما جاء في اللعنة، (ج350/4): رقم الحديث (1977)، قال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَسْنَدَهُ غَيْرَ بِشْرِ بْنِ عُمَر، وصححه الألباني.

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب/ باب ما يُنهى عن السباب واللعن، (ج15/8): رقم الحديث (6047).

(6) مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر/ باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، (ج2006/4): رقم الحديث (2598).

(7) مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر/ باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، (ج2004/4): رقم الحديث (2595).

وعرّفَ القرطبي اللعن شرعاً، بأنه: ((البعد عن رحمة الله تعالى وثوابه إلى ناره وعقابه))[1]، وعرفه ابن عابدين في الحاشية، فقال: ((في حق الكفار: الإبعاد عن رحمة الله، وفي حقّ المؤمنين: الإسقاط عن درجة الأبرار))[2].

ولقد تصدى الخليفة االراشد عليّ (ﷺ) لهذه البدعة، والتي كادت أن تنتشر بين الناس بعد موقعة صفين، وكيف لا ينهى عن اللعن وهو الذي روى أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: ((لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى مُحْدِثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غيَّر منار الأرض))[3].

فقد بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية (ﷺ) ولعن أهل الشام، فنهاهما، فقالا: ((يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى ورب الكعبة المسدنة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقَّ مَن جهله، ويرعوي من الغي من لجج به))[4].

وأثبتت كتب الشيعة نفسها أن عليًّ (ﷺ) كان يرفض لعن بعض أصحابه لمعاوية وأهل الشام، فقد جاء في نهج البلاغة: ((فقد أنكر عليٌّ على من سب معاوية ومن معه، فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم))[5].

ومن المهم التنويه في هذا المقام إلى ما أشار له الدكتور علي الصلابي، حيث قال: ((كما أن الرواية التي جاء فيها لَعْنُ أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه، ولعنُ معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين **لا تثبت** من ناحية السند حيث فيها أبومحنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته))[6].

---

(1) أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم (ج579/6).

(2) حاشية ابن عابدين، (ج416/6)، نقلاً عن القُهُستان (ت95هـ).

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأضاحي/ باب تحريم الذبح لغير الله، (ج1567/3): رقم الحديث (1978).

(4) الدينوري، الأخبار الطوال (ص165).

(5) نهج البلاغة، (ص323).

(6) الصلابي، أسمى المطالب (ص568).

ثالثاً: بدعة وجود التماثيل وإعلاء القبور واتخاذ القبور مساجد:

إن الصور أي التماثيل ورفع القبور ليتمايز بعضها عن بعض تُعتبر من أفعال الجاهلية وموروثاتها، حيث كانت من معالم الشرك بالله ومن أسبابه ووسائله، يقول الشيخ سليمان بن عبد الوهاب: ((وطمس الصور لمضاهاتها لخلق الله، وتسوية القبور لما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله))[1].

ولقد تصدى عليّ (ﷺ) لهاتين البدعتين، فقال للتابعي أبا الهياج الأسدي [2]: ((يا أبا الهياج ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ﷺ)، ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا صورةً إلا طمستها))[3]، وتسوية القبور المشرفة تحتمل معنيين: أن تكون سويةً بمن حولها من القبور، أو تكون سويةً أي موافقة للشريعة[4] ، يقول ابن القيم: ((ولم يكن من هديه (ﷺ) تعلية القبور، ولا بناؤها بآجر ولا بحجر ولبن، ولا تشييدها، ولا تطيينها، ولا بناء القباب عليها، فكل هذا بدعة مكروهة، مخالفة لهديه (ﷺ)... فسنته (ﷺ) تسوية هذه القبور المشرفة كلها، ونهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه، وأن يُكتب عليه))[5].

ولم يقبل عليّ (ﷺ) أن يرى الناس تلعب الشطرنج لما فيها من تماثيل يحركها اللاعبون، فأنكر على اللاعبين وشدد الإنكار عليهم، حيث مرَّ (ﷺ) على قوم يلعبونها، فقال: ((ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، لأن يمس أحدُكم جمرًا حتى يطفأ خير له من أن يمسها، ويُقال: أنه قلب الرقعة))[6].

رابعاً: التصدي لبدعة التنجيم:

العرافة أي التنجيم والكهانة والرمي بالرمال[7] هي من الأمور التي تنافي التوحيد لمن صدّقَ بها، لأنها أمور مبنية على معرفة الغيب، ومعرفة الغيب لا يعلم به إلا الله وحده ﴿**قُل**

---

(1) ابن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ص 702)، بتصرف.

(2) هو: حيان بن حصين أبو الهياج الأسدي الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات. قال العجلي: تابعي ثقة. وقال ابن عبد البر: كان كاتب عمار (ﷺ). (انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج3 /59)).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنائز/ باب الأمر بتسوية القبر، (ج2/666): رقم الحديث (969).

(4) انظر: العثيميين، لقاء الباب المفتوح (ج2 /37)، مسألة (107).

(5) ابن القيم الجوزية، جامع الفقه (ج2/ 502).

(6) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج3 / 245)، وابن تيمية، جامع الرسائل، (مج 2/ص268)، والسيوطي، الدر المنثور (ج5 / 635).

(7) انظر: ابن تيمية، الفتاوي الكبرى (ج1 /63).

﴿لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾[النمل:65]، ولذلك حذر النبي المسلمين من تصديق العرافين، فقال (ﷺ): ((مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً))(1).

ومما يقوم به المنجمون من عملٍ مذموم ((أنهم يأخذون الطالع لما يفعلونه من الأفعال، مثل: اختيارهم للسفر أن يكون القمر في شروقه وهو السرطان، وألا يكون في هبوطه وهو العقرب))(2).

وبدعة العرافة بأشكالها وصورها المختلفة قلما يخلو منها عصرٌ من العصور، ولذلك حين ظهرت كبدعة أمام عليّ (رضي الله عنه) رفضها وعمل بعكسها ملتجئاً في عمله لمَن يعلم الغيب وحده وهو الله تعالى، وذلك أنه لما أراد (رضي الله عنه) أن يسافر لقتال الخوارج، عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تسافر، فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هُزِمَ أصحابك أو كما قال، فقال عليُّ: بل أسافر ثقة بالله، وتوكلًا على الله، وتكذيبًا لك، فسافر فبورك له في ذلك السفر حتى قتل عامة الخوارج، وكان ذلك من أعظم ما سُر به (رضي الله عنه)(3) .

خامساً: التصدي لبدعة تأليهه:

لقد تصدى عليّ (رضي الله عنه) وبحزم لبدعة ابتدعها رئيس الزنادقة عبد الله بن سبأ ليُحرفوا دين الإسلام، وهذه البدعة تهتز لأركانها النفس، وتذوب من هولها الصخور، وتخر من بشاعتها الجبال، فقد ادعوا فيه الألوهية (4) والعياذ بالله. فتصدى لهم بالعقل والإقناع أول الأمر، ثم حين وجد منهم قناعة وإصراراً قام بتحريقهم لشناعة وهول ما ادعوه وليقطع دابر هؤلاء.

وقد تم الحديث عن هذه الحادثة مفصلة مِن قبل في هذا الفصل، والحادثة مرويةً – أيضاً– في صحيح البخاري مُجملة غير مفصلة، فعن عكرمة قال: ((أُتي عليّ (رضي الله عنه) بزنادقة

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب السلام/ باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (ج1751/4): رقم الحديث (2230).

(2) انظر: ابن تيمية، الفتاوي الكبرى (ج1 /67).

(3) انظر: ابن تيمية، ابن تيمية، الفتاوي الكبرى (ج1 /67).

(4) انظر: الإسفرائيني، الفَرق بين الفِرَق (ص 21)، والشهرستاني، الملل والنحل (ص 74)، وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ص 233)، وابن تيمية، مجموع الفتاوي (28 / 474)، وابن القيم، الطُرق الحكمية في السياسة الشرعية (ص 26).

فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس (رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا) فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لنهي رسول الله (ﷺ): لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم؛ لقول رسول الله (ﷺ): من بدل دينه فاقتلوه))[1].

المطلب الرابع: تصويب الانحرافات العقائدية الناشئة

إن من أسوأ الانحرافات العقائدية التي نشأت في تاريخ المسلمين هي ما اعتقدته فرقتا الخوارج والشيعة، وقد تم الحديث عنهما على أنهما بدعتان من البدع العقائدية، وذلك احتراماً لقول العديد من العلماء على أنهما أخطر بدعتين ظهرتا في الإسلام، ولقد تفرقت كل فرقة من هاتين الفرقتين لفرق عديدة بسبب تشعب الانحرافات العقائدية لغيرها من انحرافات أنتجت فرقاً عديدة، وما من عالم من علماء الفرق إلا وجعل فرقتي الشيعة والخوارج من أصول أهل البدع[2].. ومن الانحرافات التي نشأت من غير هاتين الفرقتين، وصوبها عليّ (ﷺ):

1. معاملة البغاة كالمرتدين

بعد انتهاء معركة الجمل ((ظنّ بعض الناس في جيش عليّ أن علياً سيقسم بينهم السبي فتكلموا به ونشروه بين الناس، وهم بذلك توهموا أن البغاة كالمرتدين، وأن عليّاً سيوزع عليهم الغنائم والسبي كما فعل أبو بكر بعد محاربة المرتدين، وهذا انحراف خطير ينقل البغاة من خانة الإسلام لخانة الكفر وهو مخالفٌ لصريح القرآن الكريم! فجعل عليّ منادٍ ينادي في الناس: وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قُتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشراً، وحين استنكر بعضهم ما عزم عليّ (ﷺ) على فعله، حاججهم قائلاً: كذلك السيرة في أهل القبلة... فهاتوا سهامكم واقرعوه على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم ، فاستغفَروا ربهم واستبان لهم خطأ ما ذهبوا إليه، وأرضاهم عليّ بأن قسّم عليهم من بيت المال خمسمائة خمسمائة))[3].

وهنا يظهر لنا جزءاً من الخير من باطن هذا الشر المستطير، فبالرغم من هول المطلع أن تشارك أم المؤمنين عائشة في هذا القتال، وتكون في الطرف المضاد لأمير المؤمنين، إلا أن وجودها كان مانعاً من معاملة البغاة كالمرتدين، وكان حجةً قويةً لعليّ في إثبات ما ذهب إليه من معاملة البغاة، حيث إنهم من أهل القبلة، وهم من الموحدين.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، استتابة المرتدي والمعاندين وقتالهم/حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، (ج15/9): رقم الحديث (6922).

(2) انظر: بخيت، الفرق القديمة والمعاصرة (ص ص 13-15).

(3) انظر: ابن أبي شيبة، المصنف (ج286/15)، قال ابن حجر: سنده صحيح (ج57/12).

وما توافُقُ عليّ وعائشة في الترحم على قتلى الطرفين إلا دليلٌ واضح على هذا الخير من بين سواد العتمة.

وقدرُ الله أن تكون أم المؤمنين عائشة في الطرف الآخر لا غيرها ليرحم الله قتلى أمة الإسلام حين اختلافها فيما بينها، حيث لعائشة من المزايا ما ليس لغيرها من نساء المؤمنين، فهي أحب أزواج النبي للنبي (ﷺ)، وهي التي جاء الملك إلى النبي على صورتها قبل زواجه بها، وهي التي كان ينزل الوحي على رسول الله وهو في لحافها دون غيرها من نسائه (ﷺ)، وغير ذلك من مناقبها الجمة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) بشهادة رسول الله (ﷺ)[1] .

2. الجرأة على الله:

لقد ظهر من البعض جرأة على فعل المعاصي في أوقاتٍ وأماكن عظيمة، فقابل ذلك بزيادة العقوبة ليردعهم، لأن ذلك مناقض لتعظيم شعائر الله المؤدي لانعدام التقوى، يقول الله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:33].

فقد قام أحد الشعراء وهو النجاشي الحارثي بشرب الخمر في شهر رمضان، فضربه ثمانين ثم حبسه، فأخرجه الغد فضربه العشرين ثم قال له: إنما جلدتك هذه العشرين بجرأتك على الله تعالى، وإفطارك في رمضان[2] .

وعلم أن في الكوفة محلة تُسمى زرارة تصنع الخمر وتبيعه، فقام يمشي حتى أتاها، فقال: عَلَيَ بالنيران، اضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً، واحترقت بأكملها[3] .

المطلب الخامس: الجهاد في سبيل الله عزوجل:

إذا ذُكر قتال المرتدين وفقهه ذُكر أبو بكر الصديق[4] ، وإذا ذُكر قتالُ المُعتدين – بغاةٍ كانوا أو خوارج[5] –على الحاكم العادل وفقهه ذُكر عليّ بن أبي طالب، فقال للناس يوماً:

---

(1) انظر: البخاري، صحيح البخاري، رقم (4358، 3768، 3775)، مسالم، صحيح مسلم، رقم (2438).

(2) الألباني، إرواء الغليل (ج57/8)، رقم الحديث (2399)، إسناده حسن.

(3) ابن تيمية، الحسبة (ص60)، بتصرف.

(4) انظر: الفصل الأول/ المبحث الثاني/ المطلب الخامس: الجهاد في سبيل الله.

(5) ذكر بعض الرواة حديثاً بتوصية رسول الله (ﷺ) لعليّ (ﷺ) بقتال (الناكثين والمارقين والقاسطين) أي أصحاب الجمل والخوارج وجيش الشام، وجاءة الروايات بطرق متعددة وصلت إلى (16) طريقاً، لكنها كلها لا تصح (انظر: السلسلة الضعيفة، (ج557/10)).

((أرأيتم لو أني غبت عن الناس مَن كان يسير فيهم بهذه السيرة؟))[(1)]، أي فيما سلكه من فقه في قتال البغاة عليه في موقعتي الجمل وصفين.

فإن أول خليفة للمسلمين جاهد بالسيف من أجل بقاء أمة محمدٍ موحدة هو الخليفة الراشد عليّ (ﷺ)، فكان جهاده من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله، لسببين، هما:

1. لأن قتال البغاة ممن اجتمع ضده في البصرة وصفين حمى قاعدةً مهمة وضعها القرآن، وحافظ عليها رسول الله والخلفاء الثلاثة الأوائل ولا سيما عثمان ، ألا وهي: وجوب بقاء أمة محمد (ﷺ) موحدة لا متفرقة ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبياء:92] .
2. ولأنه تطبيق لأمر الله تعالى ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾، حيث لم يسبقه أحدٌ بمقاتلة البغاة بالسيف ولا بتطبيق أحكام معاملتهم أثناء القتال وقبله وبعده.

كما أنه أول خليفة قاتل الخوارج الذين خرجوا على جماعة المسلمين وتوافقهم، واستباحوا دماءهم بعدما حكموا عليهم بالكفر والردة، وكان قتالهم أعظم من قتال الكفار والمشركين، وذلك:

1. لأنهم أخطر على الإسلام والمسلمين من الكفار والمشركين، فقد استحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، بينما ترفقوا بالمشركين.
2. لأنهم انحرفوا في فهم نصوص القرآن الكريم انحرافاً يضر بفهم الإسلام ويضر بالمسلمين.
3. لأن رسول الله أمر بقتالهم ومدح مَن قَتلهم أو قتلوه ((طُوبَى لمنْ قَتَلَهُمْ أَو قَتَلُوهُ))[(2)].
4. لأن في قتالهم حفاظاً على الإسلام وعلى مصدره الأساس وهو القرآن الكريم من زيغ الفهم وضلاله.
5. لأن وجودهم يؤدي إلى فُرقة المسلمين، ويُساهم في تشتت أمة الإسلام، وينشر ثقافة جواز نزع يد الطاعة من ولي الأمر العادل بتأويلٍ ولو كان فاسداً.
6. لأنهم لا يرجعون إلى فهم الدين من فهم الصحابة وعملهم والعلماء الربانيين من بعدهم.

---

(1) عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق، رقم الحديث (18593) عن ابن جريج ، عن أبي عاصم الثقفي، عن أشياخ من قومه.

(2) سبق تخريجه (ص 225).

أما الفتوحات الإسلامية لنشر الإسلام خارج بلاد الخلافة فقد توقفت في فترة الخليفة الراشد عليّ (رضي الله عنه)، لانشغاله بالجهاد داخل الدولة الإسلامية والتصدي للفتن، حيث ((لم تَصْفُ الخلافة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يومًا، لما فيها من الأمور العظام من تفرق جماعة المسلمين. ولم يكن في عهده فتح لما حصل في الدولة الإسلامية، وانشغاله في رأب الصدع، ولم الشمل، وتوحيد كلمة المسلمين))[1].

ويُعتبرُ الخليفة الرابع الراشد ثاني خليفة راشد يجاهد بنفسه ويقود الجيوش وهو إمام للمسلمين، حيث سبقه بذلك أبوبكرٍ الصديق (رضي الله عنه).

المطلب السادس: استخدام الشعر والوصايا:

الشعر من مرتكزات لغة القرآن الكريم، أي اللغة العربية، وهو من الأدوات التي يُجاهَدُ بها للدفاع عن الإسلام ورسوله وأهله، فها هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول لحسّان بن ثابت (رضي الله عنه): ((اهْجُهُمْ – أَوْ قَالَ : هَاجِهِمْ – وَجِبْرِيلُ مَعَكَ))[2]، وقال (صلى الله عليه وسلم) له – أيضاً– يوم قريظة: ((اهج المشركين، فإن جبريل معك))[3]، ليرد بسلاح الشعر على افتراءات الكافرين والمشركين على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلى دينه.

أُشتهر الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب أنه من أكثر الخلفاء والصحابة قولاً للشعر والحِكَم، وعند البحث عن شعره وحِكمه نرى جُلّها مذكورة في كتاب نهج البلاغة المنسوب إليه، وتاريخ اليعقوبي، وهذان الكتابان لا يصلحان ليكونا مصدرين موثوقين[4] ، ولذلك سأترك النقل عنهما، وأكتفي بما أجده في غيرهما من المصادر الموثوقة.

ومن نماذج استخدامه الشعر في تقرير العقيدة أذكر التالي:

---

(1) العيد، منهج علي في الدعوة إلى الله (ص 87).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي/ باب ذكر الملائكة، (ج112/4): رقم الحديث (3213).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب مرجع النبي (صلى الله عليه وسلم) من الأحزاب، (ج113/5): رقم الحديث (4123).

(4) انظر: الصلابي، أسمى المطالب (ص604–609).

تقريره وجوب حسن الظن بالله وتصديق ما في كتابه:

ولا تظــنن بربــك ظــن ســوءٍ *** فــإن الله أولــى بالجميــل

فــإن العســر يتــبعه يســارٌ *** وقول الله أصدق كل قيل[1]

تقريره وجوب الثقة بالله وعدم القنوط:

إذا اشــتملت علــى النــاس القلــوب *** وضــاق بمــا بــه الصــدر الرحيــب

وأوطــئــت المكــاره واطــمــأنــت *** وأرســت فــي أماكنهــا الخـطـوب

ولـم تـر لانـكشـاف الضـر وجـهـا *** ولا أغنــى بحيلــته الأريــب

أتــاك علــى قنـوط مـنــك غـوثٌ *** يمـُنُ بــه القــريــب المستجيـب

وكــل الحـادثــات إذا تــنــاهت *** فموصول بها الـفــرج الـقــريب[2]

تقريره أن الرزق من عند الله وحده:

فمــا للمــرء يصــبح ذا همــومٍ *** وحــرص لــيس تدركــه النعــوت

صــنيع مليكنــا حســنٌ جميــلٌ *** ومـا أرزاقـه عـنـا تـفـوت[3]

ومن وصاياه في تقريره للعقيدة الإسلامية الصحيحة:

وصيته بدوام ذكر الجنة والنار لأنه يُقيّمُ العباد:

فقد أراد أن يُظهر مدى عِظم دوام ذكر الجنة والنار على النفوس، فقال موصياً: ((ألا وإن لله عباداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وأهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة))[4].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج120/11).

(2) المصدر السابق (ج119/11).

(3) ابن قتيبة، عيون الأخبار (ج97/1).

(4) ابن كثير، البداية والنهاية (ج112/11).

وصيته بدوام تذكر أن الدنيا دار عمل وأن الآخرة دار حساب وذكر الموت:

حيث أوصى الناس يوماً في أحد خطبه، فقال: ((أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فيُنسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا وإن الدنيا ولت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحدةٍ منهما بَنون فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ بلا حساب وغداً حسابٌ بلا عمل))[1]، وأوصى أيضاً، فقال: ((الناس نيام، إذا ماتوا انتبهوا))[2]، ((ذِكرُ الموت جلاء القلوب))[3].

وصيته أن سلامة المؤمن في شكره لله وذكره له:

ووصى المؤمنين إذا نزلت بهم النوازل بنوعيها، أن يُكثروا من ذكر الله تعالى، فقال: ((فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله، واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تأذن للمسلمين بالحسنى، ولمن شكر بالزيادة))[4].

وصيته أن تقوى الله وتذكر فضله طريق الفلاح:

وأوصى (ﷺ) الناس بتقوى الله، وبدوام التفكر في فضله على خلقه، فقال: ((أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعًا تعي ما عناها، وأبصارًا لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، في تركيب صورها وما أعمرها، فإن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات وهادم اللذات))[5].

وقال في موعظة ووصية أخرى: ((عباد الله! اتقوا الله تقية من وجل وحَذِر، وأبصر وازدجر، فاحتث طلبًا ونجا هربًا، وقدم للمعاد واستظهر الزاد، وكفى بالله منتقمًا ونصيرًا، وكفى بالكتاب خصمًا وحجيجًا، وكفى بالجنة ثوابًا، وكفى بالنار وبالًا وعقابًا، وأستغفر الله لي ولكم))[6].

---

(1) الأصبهاني، حلية الأولياء (ج76/1).

(2) الندوي، المرتضى (ص201).

(3) العيد، منهج علي في الدعوة إلى الله (ص149).

(4) ابن كثير، البداية والنهاية (ج642/10).

(5) أبو نعيم، الحلية (ج1/ 78)، ابن الجوزي، صفة الصفوة (ج1/ 328)، وهو جزء من موعظة طويلة لعليّ (ﷺ) بمناسبة تشييع جنازة.

(6) ابن الجوزي، صفة الصفوة (ج1 / 329).

نصيحته بدوام طاعة الله والبعد عن المعاصي والنفاق:

فقد نصح المسلمين في خطبة بليغة، فقال لهم (ﷺ): ((وَإِنَّ أَنْصَحَكُمْ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُكُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّكُمْ لِنَفْسِهِ أَعَصَاكُمْ لِرَبِّهِ، مَنْ يُطِعِ اللَّهَ يَأْمَنْ وَيَسْتَبْشِرْ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ يَخَفْ وَيَنْدَمْ))(1).

وليبعُد المؤمن عن المعاصي والنفاق فقد استخدم أسلوب التمثيل ليُقرب القلوب من الإيمان ويبعدها عن النفاق، فقال: ((الإيمان يبدو نقطة بيضاء في القلب، كلما ازداد الإيمان ازدادت بياضًا، حتى يبيض القلب كله، والنفاق يبدو نقطة سوداء، كلما ازداد النفاق ازدادت سوادًا، حتى يسود القلب كله، والذي نفسي بيده! لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود))(2).

مما تم استعراضه من شعرٍ ووصايا للخليفة الراشد الرابع (ﷺ)، تبيَن كيف كانت تؤدي كلها في الحث على طاعة الله والعمل بما يرضيه والبعد عما يغضبه، وكل هذا يرسخ التوحيد الصحيح والعقيدة السليمة في قلوب المؤمنين.

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج640/10).

(2) ابن أبي شيبة، المصنف (ج159/6): رقم الحديث (30321).

الفصل الخامس:

دراسة مقارنة بين مناهج الخلفاء الراشدين الأربعة في تقرير العقيدة الصحيحة ومدى استفادتنا منها في وقتنا الحاضر

الفصل الخامس:

دراسة مقارنة بين مناهج الخلفاء الراشدين الأربعة في تقرير العقيدة الصحيحة ومدى استفادتنا منها في وقتنا الحاضر

إن دراسة سيرة الخلفاء الراشدين تُعتبر نعمة عظيمة من نِعَمِ ربِّ العالمين على عباده، فهم المُوضحون لسنة المصطفى (ﷺ)، وأفعالهم تلحق بأفعاله (ﷺ) حيث إنها واجبة الاتباع.

وقد رأينا كيف بذلوا جميعهم (رضي الله عنهم) كل ما يستطيعونه لتقرير العقيدة الصحيحة للمسلمين كما جاء بها رسول الله (ﷺ)، محافظين على أُسس هذه العقيدة دون تبديلٍ ولا تحريف، وفي نفس الوقت مجتهدين في الوسائل التي تُحقق هذا التقرير لهذه العقيدة.

وتعددت وسائلهم حسب الحاجة لذلك بالرغم من قِصر فترتهم (ثلاثين عاماً كما أخبر رسول الله (ﷺ)، إلا أنها شابهت فترة ما بعد بداية الوحي حتى نهايته بوفاة رسول الله (ﷺ)، حيث سرعة التغيّر في الأحداث والمتغيرات مما أوجب على الخلفاء الراشدين الأربعة ثباتاً في الأصول وتغيراً مناسباً في الطُرُق والوسائل.

وصحابةُ رسول الله (ﷺ) لم يكونوا يسمحون لأنفسهم بالتهاون في أي أمرٍ أمرهم إياه رسول الله، فكانت كل الأوامر والنواهي من القرآن والسُّنة في قناعاتهم متصلة بالعقيدة[1]، فلم ينظروا إلى شيئٍ في الدين بأنه قشور، يقول الدكتور الأشقر (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): ((وقد يتعدى البعض طوره، فيصف أموراً من السُّنن أو الدين بأنها قشور، فإن الدين كله لباب لا قشور فيه، وإن تفاوتت أمور الدين في الأهمية))[2].

ولذلك من المهم التوضيح أن المقصود بمنهج الخلفاء الراشدين في تقرير العقيدة الإسلامية، **هو**: كيفية استخدام كل خليفة من وسائلَ وأساليب وطُرُقٍ تطبيقية تهدف لتقرير العقيدة الإسلامية أو جانب منها في نفوس المسلمين مراعيةً المتغيرات الناشئة في عصره دون المساس بأصول الدين وثوابته.

وأوضح الأمر بمثال: فقد رأينا كيف أنَّ كل خليفة راشد عَمِل على تقرير أن القرآن الكريم هو المصدر الأول لهذا الدين، لكن كل خليفة اختلف عن غيره في بعض الوسائل واتفق

(1) انظر: الفصل الأول/ التمهيد.

(2) الأشقر، العقيدة في الله (ص21)، بتصرف.

في بعضها، وهذا الأمر تعلق بما استجد في عصره من معطيات، فاتفقوا في أن يحفظوا تفسيره من الزلل كأحد الطُرُق لحفظه، لكنهم اختلفوا في طُرق أخرى احتاجوا لها كذلك، فاحتاج أبو بكر لجمع القرآن في صحف لكن ليس على حرفٍ واحد وذلك لشدة القتل في صفوف حفظة القرآن بسبب حروب الردة، وعمر لم يحتَجْ في عصره لمثل هذا الجمع، ثم جاء عصر عثمان فاحتاج الأمر لجمعه من جديد ولكن على حرفٍ واحد وإحراق ما عداها من النُسخ حفاظاً على وحدة المسلمين وبقي إلى عصرنا الحالي بالرسم العثماني، أما في عصر عليّ فلم يحتَجْ لجمعه فهو مجموع ومتفق على جمعه، لكن احتاج للدفاع عن صحة هذا الجمع لطعن البعض فيه فاحتاج أن يوضح للناس أنه لا يوجد عنده وعند آل البيت ما يزيد عن القرآن الكريم.

المبحث الأول:

القواسم المشتركة بين طرق الخلفاء الراشدين في تقرير العقيدة الصحيحة

الملاحظ أن الخلفاء الراشدين الأربعة قد ورّثوا أمة الإسلام قواعد مشتركة عديدة في كافة المجالات الشرعية (العقدية منها والفقهية)، وهذا من فضل الله ومنته، وهو مصداق لقول رسول الله (ﷺ): ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي))(1)، حيث إنهم وإن كانت لهم سُننٌ فرعية متعددة إلا أن سُننهم العامة أو الكبرى أو ما سنطلق عليه القواسم المشتركة هي أكثر بكثير، ولو أخذ المسلمون اليوم – وخاصة الذين يتصدرون العلم الشرعي والعمل الإسلامي – بهذه السُّنن الكلية أو القواسم المشتركة ناهيك عن الجزئية منها لاستطاعوا أن يسيروا بالأمة إلى بر الأمان ولأعادوا لها لحمتها ووحدتها، ولأرجعوها إلى النبع الصافي لتنهلَ منه، ولرأفوا بها وأخرجوها من الظلمات إلى النور ومن الجحيم إلى الجنة، فإنه ((لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها))(2).

وسألتعرض لهذه السُنن الجامعة والقواسم المشتركة، سائلاً المولى عز وجل أن ينتفع بها المسلمون ويأخذوها نبراساً في حياتهم بجانب كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ﷺ).

المطلب الأول: القاسم المشترك الأول: أنها مناهج تحافظ على سلامة أُسس العقيدة الإسلامية:

كان الهمُّ الأكبر للخلفاء الراشدين المحافظة على عقيدة المسلمين كما ورثوها عن رسول الله (ﷺ) دون تبديل ولا تغيير ودون زيادةٍ أو نقصان، وهذه كانت سنتهم الجامعة الأولى.

فبالرغم من اختلاف الخلفاء الراشدين والصحابة من خلفهم ببعض الأحكام القابلة للاجتهاد وتعدد الفهم والتأويل، إلا أنهم لم يتنازعوا –والحمد لله– فيما تنازع فيه المسلمين من بعدهم بما يخص مسائل التوحيد وأركان الإيمان.

يقول ابن تيمية (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): إن الصحابة ((لم يختلفوا بحمد الله تعالى فى أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا فى الفروع ولو كان منهم فى ذلك اختلاف لنُقل

(1) سبق تخريجه (ص3).

(2) أخرج الإمام الحافظ أبو عمر يوسف القرطبي بسنده في كتابه (التمهيد) عن مالك قال: كان وهب ابن كيسان يقعد إلينا ولا يقوم أبداً حتى يقول لنا: اعلموا أنه لا يصلح آخر هذا الأمر إلاّ بما أصلح أوله.

إلينا كما نقل سائر الاختلاف فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم حتى أدوا ذلك الى التابعين لهم بإحسان فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن))[1].

ويقول ابن القيم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) عن الصحابة أنهم: ((لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم لم يسموها تأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا لشيء منها إبطالا ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً))[2].

فأبوبكر الصديق قاتل مَن فرق بين الزكاة والصلاة، بالرغم مما كان عليه حال المدينة والمسلمين بعد وفاة رسول الله وارتداد معظم العرب عن دين الله، وإنفاذ جيش أسامة بن زيد (ﷺ).

وعمر بن الخطاب يأمر بقطع شجرة بيعة الرضوان حتى يحافظ على عقيدة المسلمين من الانحراف حين علم أن الناس يذهبون هناك للصلاة وغيرها، وتصدى لنفاة القدر وغيرها.

وعثمان بن عفان ينادي المسلمين ليجمعوا القرآن حين رأى اللحن فيه، ويقوم بنفسه بتعليم الناس كيفية وضوء رسول الله (ﷺ) وصلاته.

وعليٌّ لم يبدأ البغاة بقتال، ولكن قاتلهم بعدما بدأوا هم بالقتال، ثم يتصدى للخوارج فيحاورهم ثم يقاتلهم، فلم يبقَ منهم إلا بضعة نفر ليريح الأمة من انحرافاتهم، وهكذا.

وما فعله الراشدون الأربعة هو وظيفة الخليفة (الإمام) الأساسية ليحفظ أسس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس المسلمين.

---

(1) ابن تيمية، الفتاوى (ج71/5).

(2) ابن القيم، إعلام الموقعين (ج49/1).

المطلب الثاني: القاسم المشترك الثاني: أنها مناهج تتناسب مع المتغيرات الناشئة وأحوال الناس:

إن السُّنة الجامعة الثانية والبارزة في حياة الراشدين الأربعة (ﷺ) تمثلت أنهم كانوا يُراعون تغير أحوال زمانهم بإيجاد طُرُق ووسائل تناسب ذلك لمحافظة المسلمين على دينهم، دون تقريع ولا توبيخ ولا إجهاد لهم، وذلك حين كان الأمر يتعلق بعموم المسلمين.

فأبو بكر (ﷺ) يجمع القرآن في صحف ليحفظ للمسلمين القرآن، وكان بإمكانه الطلب من مجموعة من المسلمين حفظه بالإكراه ولكن لم يفعل.

وعمر (ﷺ) قام بإطالة القراءة في الركعة الأولى من صلاة الفجر، ليتسنى للناس الالتحاق بالصلاة، وكان بإمكانه توبيخهم أو الطلب منهم التبكير.

وعثمان (ﷺ) كان يؤخر إقامة الصلاة إذا وجد المسجد لم يمتلئ بعد، وينتظر في آخره حتى يأتي المصلون.

وعليّ (ﷺ) حين رأى الناس يُلحنون في اللغة العربية مما يؤثر في فهمهم للقرآن، لأنه نزل بلسان العرب، طلب من أبي الأسود الدؤلي وضع كتاب في النحو لتقويم ذلك وأرشده للطريقة المثلى.

مما سبق يتضح أن الإمام (الخليفة) أو مَن ينوب عنه يجب عليه إيجاد الوسائل المناسبة للحفاظ على دين المسلمين وعقيدتهم وعبادتهم، وأن يرأف بهم وأن يُراعي حال ضعفهم الإيماني والسلوكي.

المطلب الثالث: القاسم المشترك الثالث: أنها مناهج لاقت إجماعاً من الصحابة وحافظت على وحدة الأمة:

لقد اتصفت وسائلهم جميعاً بقبول من الصحابة الكرام، وهذا الإجماع منع تشتت الأمة في هذه القضايا على مدار خمسة وعشرين عاماً، باستثناء حقبة عليّ (ﷺ)، لكنهم حتى في هذه الحقبة أجمعت كل الأطراف على قتال البغاة، لكن كل طرف كان يعتبر الطرف الآخر هو الباغي، ولم يختلفوا في وجوب قتال الخوارج بعد محاورتهم.

فأبو بكر يُجمع الصحابة جميعُهم على خطواته فيما يخص حفظ الدين والعقيدة، وكذلك عمر بن الخطاب، وعثمان الخليفة المظلوم وإجماعهم على صحة موقفه (ﷺ) من أهل

الفتنة الغوغائيين وعدم التسليم لهم بتنحيه عن الخلافة، وإجماع مَنْ بقي من الصحابة والمسلمين على قتال عليّ للخوارج.

ولذلك من المهم أن يعمل الخليفة (الإمام) على اتخاذ وسائل لحفظ عقيدة المسلمين ودينهم بعد مشاورة أهل العلم والدراية وموافقتهم؛ لأن هذا يُريح العقول ويُسلم القلوب من الضغائن ويوحد الأمة ويجعل هذا سُنةً لمن بعدهم، وكما قال ابن مسعود لعبد الرحمن بن عوف: ((والخلاف شر))[1].

المطلب الرابع: القاسم المشترك الرابع: أنها مناهج بعيدة عن الغلو والتكفير:

إنّ الباحث في مناهج الراشدين الأربعة يتيقن أن طرقهم في تثبيت العقيدة كانت مبنية على البعد عن الغلو والحرص على عدم إخراج المسلمين من الإسلام ومد طوق النجاة لهم، والعمل على مساعدتهم ليبقوا في ربيع الإسلام ودوحة الإيمان ما أمكن ذلك.

فقدموا صفة الإسلام على الناس على غيره حتى يثبت عكس الأمر، وابتعدوا عن النعوت المنفرة للعصاة والجاهلين، لدرجة أننا لم نجد حالة واحدة نُعت فيها أحد المسلمين بالكفر في زمن الراشدين الأربعة!

ففي أوائل زمن الصديق (ﷺ)، وبالرغم من شدة الخطوب إلا أنه لم يقاتل من أظهر ردته عن الدين فُجاءةً أو دون وعظ ونصيحة، ولم يُطلق عليهم الأوصاف المنفرة، بل أرسل رسالة مع الجيوش لتُقرأ على الناس جميعاً، ومما جاء فيها ((بسم الله الرحمن الرحيم، مِن أبي بكر الصديق خليفة رسول الله (ﷺ) إلى مَن بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة أقام على إسلامه أو رجع عنه...وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وما جاءكم من نبيكم (ﷺ)، وأن تهتدوا بهداه وأن تعتصموا بدين الله... وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحداً، ولا يقتله حتى يدعوه داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكفّ وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك...))[2]

---

(1) ابن العربي، العواصم من القواصم، الحاشية (ص 79).

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج4/69-71)، بتصرف.

ولم يُكفِّر الفاروق (ﷺ) من شرب الخمر متأولاً لآية تأولاً فاسداً، بل أقام عليهم الحد ووضح لهم خطأ تأويلهم، والآخرون الذين استحلوا الخمر أمر باستتابتهم وإن رفضوا يُقتلوا، فلم يَطلق على أيٍ منهم أنه كافر، والحمد لله.

ثم عثمان بن عفان (ﷺ) رفض ترك الصلاة وراء البُغاة!

وعليَ (ﷺ) رفض تسمية البغاة كفاراً ولا حتى الخوارج، بل إن الذين ألَّهوه لم يحكم بكفرهم ابتداءً حتى يُقيم عليهم الحجة، وبعدما أقام عيهم الحجة وأمهلهم حرَّقَهم!

مما سبق يدل الأمر على أن واجب الخليفة (الإمام) أن يتريث في الحكم على الناس ولو كانت مخالفاتهم عقائدية، فلا يُسرع في إطلاق أحكامٍ تكفر وتُفسق بل يعمل ليُبقي أهل الإسلام ضمن دائرة الإسلام والإيمان، فحكم الخليفة (الإمام) ليس كحكم غيره وخاصة إن كان راشداً.

يقول الإسفراييني: ((من سمات أهل السنة أنهم مجتمعون فيما بينهم لا يُكفِّرُ بعضهم بعضاً، وليس بينهم خلاف يوجب التبرؤ والتكفير))[1]، وبالبحث استنتج د. يحيى إسماعيل[2] (ست عشرة) خصيصة من خصائص الفرقة الناجية[3] ، وكان منها خاصية: ((قبول الظاهر من الناس، والاكتفاء به في الحكم عليهم بالإسلام أو عدمه والتنزه عن الزراية بهم))[4].

---

(1) الإسفراييني، التبصير في الدين (ص115).

(2) انظر: إسماعيل، منهج السنة (ص ص149-155).

(3) وهو بذلك يشير لقول النبي ﷺ: ((افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي .وفي بعض الروايات :هي الجماعة))، أبو داوود: سنن أبي داوود، كتاب السنة / باب شرح السنة (ج197/4): رقم الحديث (4596)، وانظر: ابن ماجة: سنن ابن ماجة، كتاب الفتن/ باب افتراق الأمم (ج1321/2)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (1429).

(4) إسماعيل، منهج السنة (ص149)، بتصرف.

المطلب الخامس: القاسم المشترك الخامس: أنها مناهج قائمة على الرحمة بالمؤمنين:

مما لا شك فيه أن الخلفاء الراشدين كانوا لا يرون إلا رسول الله قدوةً لهم، وقد وصفه الله تعالى فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: 128]، حيث كانت صفة الرحمة بالمؤمنين ظاهرة في كل محطات النبي (ﷺ)، فيخفف عنهم ما استطاع وخاصة عند شعوره بالمشقة عند القيام بعبادة ما.

والخلفاء الراشدون كانوا رحيمين بالمؤمنين كقدوتهم (ﷺ)، فكانوا يختارون وسائل لا تجهد الناس بل تذلل لهم أمور العبادة والطاعة، مع وجوب الانتباه أن التشريع بوفاة النبي (ﷺ) قد انتهى، وأنه أبقى للراشدين من بعده أحقية الاجتهاد، وذلك فضلٌ من الله ورحمة، وجعل اجتهادهم كسنته (ﷺ).

فأبو بكرٍ الصديق (رضي الله عنه) حين أيقن بدنو أجله إستخلف على المسلمين عمر (رضي الله عنه) من بعده بعد مشورة العديد من الصحابة في المدينة[1]، وذلك رحمةً بهم حتى لا يختلفوا، بالرغم من أن رسول الله (ﷺ) لم يستخلف أحداً قُبيل موته، وذلك ليترك للمسلمين أن يختاروا من الوسائل المناسبة لعصورهم ما يُحددون بها إمامهم.

وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يطيل القراءة في الركعة الأولى من صلاة الفجر ليعطي للناس فرصة للحاق بالصلاة، وينير المساجد بقناديل الزيت ليلاً، ويوسع في مسجد رسول الله، ويرفض إقامة الحدود في أرض المعركة مع العدو حفاظاً على دين المذنبين وعقيدتهم.

أما عثمان (رضي الله عنه) فيُخرج إبل الصدقة مع وفود الحج ليسهل للفقراء والمحتاجين أمر سفرهم للعبادة، ويطيل فترة الانتظار بين الإقامة والصلاة ليدرك الناس تكبيرة الإحرام، ويزيد في توسعة مسجد رسول الله وبيت الله الحرام ليتمكن أكبر عددٍ من المسلمين للصلاة فيهما.

وعليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) يخرج من المدينة المنورة حتى يرحمها وأهلها من فتنة الاقتتال، ويرفض كل من أراد تكفير مسلم من المسلمين دون وجه حق حتى لو كان من الخوارج، ويعلن للناس أن ما حدث من فتنة يتحمل مسؤوليتها هو ومعاوية أمام الله يوم القيامة.

إنها نماذج قليلة تلك التي ذكرتُها في بحر سيرتهم العظيمة (رضي الله عنهم)، حيث إن وجودهم على رأس دولة الإسلام هو بحد ذاته رحمةً للمسلمين ليوم القيامة والحمد لله، ولذلك لا بد من الإمام (الخليفة)، وأي مسؤول أن يقدم الرحمة والرأفة بالمؤمنين والرعية على ما سواهما، وأن يستن بسنة الرسول والراشدين في ذلك.

---

(1) انظر: هذا البحث (ص 16، 101).

المطلب السادس: القاسم المشترك السادس: أنها مناهج قائمة على التصدي للبدع الناشئة:

لقد تبين أن من أُولَى مهمات الخليفة (الإمام) أن يُنقي الصف المسلم من البدع ولاسيما العقائدية منها، ولا ينبغي أن يتهاون في التصدي لهذه البدع، فمهمته الأولى حفظ عقيدة المسلمين ودينهم، ومحاربة البدع والمنكرات.

فأبو بكر (ﷺ) يأتيه أحدهم ليبرر الزنا بأن الله قدره عليه فكيف يعذبه إن زنا؟ فيتصدى له بتهديده بجدع أنفه، وهو الذي تصدى وبكل حزم وعزم لبدعتيّ التفريق بين أركان الإسلام والتهاون في إنفاذ أوامر رسول الله (ﷺ) بإصراره على إنفاذ جيش أسامة (ﷺ).

وعمر (ﷺ) يتصدى لبدعة تقديس الأماكن فيأمر بقطع شجرة بيعة الرضوان، ويطلب من أبي موسى الأشعري أن يقوم بإعادة دفن جثة النبي دانيال بتستر حيث لا يعرف مكان الناس فيتوقفوا عن التوجه إليه للاستسقاء، ويتصدى لبدعة التواكل لا التوكل والتي ظهرت من بعض حجاج أهل اليمن حيث يخرجون للحج دون زاد.

وعثمان (ﷺ) يتصدى للشركيات والبدع، فيأمر بهدم بيتٍ للأصنام في اليمن، ويأمر بتسوية القبور المشرفة فقاموا بذلك، وأبقوا على قبر ابنته أم عمرو فرفض وأمر بتسويته، ثم يُخبرُ بأن بعض المزارعين والتجار وأهل الرعي يقصرون من الصلاة فنبههم إلى خطأ فعلهم هذا، ومن المهم أن نذكر أنه قدم روحه ثمناً لتصديه لبدعة البغي على الإمام العادل.

وعليّ (ﷺ) يتصدى لمثل هذه البدع فيأمر بتسوية القبور المشرفة، بل ويتصدى لبدعة التشيع المذموم له ولآل البيت ولما نتج عنها من شركيات وكفريات عديدة لدرجة تأليه بعضهم إياه، بل قدم روحه نتيجة لتصديه لبدعة الخروج على الحاكم المسلم دون وجه حق، فقتله أحد الخوارج!

فالبدع الناشئة في أي مجتمع يجب على ولي الأمر أو مَن ينوب عنه أن يمنعها ويأتيها من جذورها، وأن يتصدى لها بحزم وعزم ليحفظ عقيدة المسلمين ودينهم، ولا بد له من تحمله أيَ شيء في سبيل ذلك حتى ولو كان قتله هو كما حدث مع عثمان وعلي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

المطلب السابع: القاسم المشترك السابع: أنها مناهج تحافظ على الإمامة ومكانتها ووحدة المسلمين:

وجود خليفةٍ وإمام واحدٍ للمسلمين يحكمهم بالعدل فيطيعونه فيما أمر الله ورسوله، وينصحون له وينصح لهم، ويحمي عقيدتهم وديارهم – كما حرص عليه رسول الله (ﷺ)– من أهم ما حرص عليه الخلفاء الراشدون الأربعة، بل منهم مَن دفع روحه من أجل هذا كعثمان، وعليّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

لم يكن الخلفاء الراشدون ليقبلوا أن يكون للمسلمين أكثر من إمامٍ لهم، فالمهاجرون بقيادة أبي بكر وعمر وأبو عبيدة رفضوا ما قاله الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فقد أورد البخاري في صحيحه أن الحباب بن المنذر قال: ((منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء))[1]، وشاور أبوبكر أهل الشورى وهو في مرض موته، فأشاروا إليه باستخلاف عمر بن الخطاب.

وجعلها عمر بعد طعنه في ستة ممن تُوفي رسول الله وهو عنهم راضٍ، فاختاروا عثمان ابن عفان، وجعل صهيب الرومي[2] يُصلي بالناس حتى ينتهوا من اختيار إمامٍ لهم، وطلب منه إن عارض أحدٌ اختيارهم وإجماعهم أن يضربوا رأسه[3] .

وعندما حاصر البغاة بيت عثمان لم يجرؤ أحدٌ منهم أن يُنصب خليفةً أو يدعو لذلك وعثمان حي وباقٍ على كرسي الحكم، ولذلك كانوا يريدون أن يتنحى عن الخلافة، وبعدما قتلوه بحثوا عن عليّ وكان قد اعتزل عند سماعه لمقتل عثمان، فطلبوا منه أن يتولى شؤون المسلمين فقال هذا ليس لكم بل لأهل الشورى، فاختاره أهل الشورى ثم بايعه بقية المسلمين.

---

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة/ باب لو كنت متخذاً خليلاً، (ج6/5): رقم الحديث (3668).

(2) قال ابن عساكر وهو يروي طعن عمر (رضي الله عنه): "... ثم قال: ادعوا لي صهيباً، فقال: صلِّ بالناس ثلاثاً، وليجتمع هؤلاء القوم، وليخلوا هؤلاء الرهط، فإن اجتمعوا على رجل فاضربوا رأس من خالفهم" (تاريخ دمشق (ج191/39)) وقال: رواه الإمام أبو بكر الخلال بإسناد صحيح، من طريق عمرو بن ميمون.

(3) هناك روايات موضوعة تدعي أن عمر (رضي الله عنه) طلب من بلال أن يقتل الصحابة الستة إن مضت ثلاث ليالي ولم يختاروا منهم خليفة، وهذه روايات باطلة ومدسوسة، ومن ذلك رواية للطبري في تاريخه (ج4/ 227) عن لوط بن مخنف أبي مخنف وهوشيعي جلد رافضي كذاب. وهناك رواية أخرى عند ابن سعد في طبقاته وهي منقطعة، فقد رواها سماك بن حرب الذهلي البكري صدوق تغير بأخرة فكان ربما تلقن (انظر: تقريب التهذيب (2624)، وانظر: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري (175)).

وخاض عليّ ثلاثة حروب طاحنة حتى لا تتشرذم أمة الإسلام، وحتى تبقى تحت راية إمامٍ واحد، بل إن الجهاد ضد المشركين توقف في زمنه، واهتم بأن يجاهد لتبقى أمة الإسلام موحدة، مع مرارة ذلك في نفسه، لكثرة القتلى من المسلمين في (الجمل) و(صفين) حيث رجا أن لو مات قبل ذلك بعشرين عاماً، أما في (النهروان) ضد الخوارج فلم تكن خسائر جند الخلافة إلا يسيرة، وحين شعر أنه لن يحسم الأمر مع معاوية (ﷺ) وجيش الشام تهادن معه، ثم استُشهد على يد أبي ملجم الخارجي، وبعد استشهاده بستة أشهر وحد الله المسلمين تحت راية معاوية بعدما تنازل له الحسن بن عليّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، فيما يُعرف بعام الجماعة، ولم يُنادى معاوية بأنه خليفة إلا بعد تنازل الحسن له عن الخلافة.

مما سبق يتضح أن وجود إمامٍ واحدٍ وجماعةٍ واحدةٍ للمسلمين جميعاً هو ما يوافق شرع الإسلام، وهو ما يجب على جميع المسلمين العمل من أجله، وكيف لا ((وقد جعلها رسول الله (ﷺ) عروة من عرى الأسلام تساوي في فرضيتها، أحد أركان الإسلام الخمسة))[1]، فقد أخرج أحمد والطبراني عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله (ﷺ) قال: ((لتنتقضن عُرى الإسلام عُروة عروة فكلما انتقضت عَروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحُكم وآخرهن الصلاة))[2].

ولقد نبه ابن تيمية (رَحِمَهُ اللَّهُ) على فضل الجماعة وأثر ذلك، فقال: ((المسلمون إذا اجتمعوا تكثروا يكون داعيهم إلى الفواحش والظلم أقل من داعيهم إذا كانوا قليلاً، فإن في حال الاجتماع لا يجتمعون على مخالفة شرائع الإسلام كما يفعله الواحد والاثنان، فإن الاجتماع والتمدن لا يكون إلا مع قانونٍ عدلي))[3].

ويقول ابن جماعة: ((يجب إقامة إمام يقوم بحراسة الدين وسياسة أمور المسلمين، وكف أيدي المعتدين، وإنصاف المظلومين من الظالمين، ويأخذ الحقوق من مواقعها، ويضعها جمعاً وصرفاً في مواضعها، فإن بذلك صلاح البلاد وأمن العباد، وقطع مواد الفساد؛ لأن الخلق لا تصلح أحوالهم إلا بسلطان يقوم بسياستهم ويتجرد في حراستهم))[4].

(1) إسماعيل، منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم (ص291).
(2) سبق تخريجه (ص 108)
(3) ابن تيمية، منهاج السنة (ج237/4).
(4) ابن جماعة، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام (ص 48).

المطلب الثامن: القاسم المشترك الثامن: أنها مناهج قائمة على التوجيه المباشر والوقاية

تميَز عصرُ الخلفاء الراشدين بمخالطتهم للناس وعدم وجود حاجب بينهم وبين الرعية، وهذا ما كان عليه رسول الله (ﷺ)، ولذا نراهم يوجهون المسلمين بشكل مباشر ودائم.

وكلٌ خليفة منهم كان يخاطب الناس بما يناسب الحال الذي هم فيه، فأبو بكر الصديق يوضح للناس عند توليه الخلافة أنه ليس كرسول الله، وأن الوحي بوفاة النبي قد انقضى، وذلك لأن الناس كانوا يسلمون بما يقوله إمامهم رسول الله دون نقاش، فأراد تنبيههم أنه غير رسول الله (ﷺ)، وأنه يُقوّم عند الاعوجاج، لأنه بشر لا ينزل عليه الوحي كرسول الله (ﷺ).

وكرر الفاروق نفس الكلام عندما تولى الخلافة، وأكد على نفس المبدأ، وأعلن للناس أن لنا بالظاهر لا بالسرائر، ثم نرى عثمان بن عفان يخاطبهم محذراً إياهم من الفتن، ثم عليّ يبدأ ولايته بتذكير الناس من خطورة الدماء حين شعر استخفاف قومٍ من المسلمين بذلك واستحلال فئة منهم لدم عثمان.

كان الراشدون الأربعة (ﷺ) يوجهون الناس في كل وقت وفي كل حين، ولا ينتظرون لمعالجة الانحرافات والاعوجاج؛ لأنهم كانوا يؤمون الناس في الصلوات الخمس[1] ويخطبون يوم الجمعة بالناس، وينزلون الأسواق، ويسألون بأنفسهم عن الولاة ويحاسبونهم، وكانوا أمراء الحج في زمانهم في الغالب، باستثناء زمن عليّ لظروف الدولة في زمانه، فطرق توجيههم كانت مباشرة للرعية والحمد لله.

---

(1) عن ابن عباس، قال: ((كان عمر بن الخطاب إذا صلى صلاةً جلس للناس فمن كانت له حاجة كلمه))، ابن الجوزي، مناقب عمر (ص158).

المبحث الثاني:

وجوه التباين بين طرق الخلفاء الراشدين في تقرير العقيدة الصحيحة

بالبحث والاطلاع تبين أن مناهج الراشدين الأربعة غلب عليها التوافق وقلَّ بينها التباين، وهذا إنْ دلّ على شئ فإنما يدل على وحدة الفهم وعمقه، وحسن فهمهم للنصوص وقدرتهم على إنزالها على الواقع بشكل سليم.

والتباين في المناهج ليس منشؤه من تضارب الفهم بينهم، بل من طبيعة كل واحدٍ منهم، وتعدد الشخصيات وأساليبها من سنن الله في كونه، فالاختلاف في غالبه مذموم وهو اختلاف التضاد، ولذلك كان رسول الله (ﷺ) يحذر منه قبل صلاة الجماعة، فكان مما يقوله للمصلين خلفه: ((اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ))[1]، وهو الذي أمرنا ربنا بنقيضه وهو الاعتصام بحبل الله ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[آل عمران:103]، لكن هناك اختلاف محمود، وهو اختلاف التنوع، كما اختلف الصحابة في فهمهم لقول رسول الله (ﷺ): ((لا يُصَلِين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة))[2]، فمنهم من فهم منه ظاهر النص وحرفيته، ومنهم من ذهب لمقصود النص وهو التعجيل بالفتح، وعلى كلا التفسيرين كان اختلافهم في مصلحة الجهاد والمدافعة للقتال، ففتح الله عليهم حصون بني قريظة، بل كان اجتهاداً نافعاً للأمة إلى يوم الدين[3].

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصلاة/ باب تسوية الصفوف، (ج323/12): رقم الحديث (432).

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الخوف/ باب صلاة الطالب والمطلوب راكباً وإيماءً، (ج15/2): رقم الحديث (946).

(3) قال ابن القيم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): ((وقد اجتهد الصحابة في زمن النبي ﷺ في كثير من الأحكام ولم يعنفهم، كما أمرهم يوم الأحزاب أن يصلوا العصر في بني قريظة، فاجتهد بعضهم وصلاها في الطريق، وقال لم يرد منا التأخير، وإنما أراد سرعة النهوض، فنظروا إلى المعنى، واجتهد آخرون وأخروها إلى بني قريظة فصلوها ليلاً، نظروا إلى اللفظ، وهؤلاء سلف أهل الظاهر، وهؤلاء سلف أصحاب المعاني والقياس)). (إعلام الموقعين(ج203/1)).

المطلب الأول: التباين الأول: بين الحزم والعزم:-

يتباين الناسُ في أمور الحكم والسياسة والرعاية الرشيدة بين أسلوب الحزم وأسلوب العزم، وأحياناً يتداخل الأمران في سياسة المسؤول.

والتفريق بين الحزم والعزم دقيقٌ وأحياناً متداخل، لكن بينهما اختلافان: ((أما الأول: فالحزم يعني جودة النظر في الأمر، ونتيجته الحذر من الخطأ فيه. والعزم قصد الإمضاء، وعليه فالحزم الحذر والعزم القوة، ومنه المثل: لا خير في عزم بغير حزم[1]، أما الثاني: فإن الحزم يُقصد به التأهب للأمر والعزم النفاذ فيه، ومنه قولهم في بعض الأمثال: رَوِّ بحزم فإذا استوضحت فاعزم))[2].

لقد تباينت مناهجهم بين الحزم والعزم، فكان أبو بكرٍ (ﷺ) أكثر الراشدين عزماً، وظهر ذلك في كل مناحي حياته[3] ، ولكن هذا العزم ظهر جلياً أكثر حين أصر – وفي آنٍ واحد – على إنفاذ جيش أسامة ومقارعة المرتدين بشقيهم: الذين عادوا لعبادة الأوثان بالكلية، والذين أرادوا انتقاص الإسلام حين فرقوا بين الزكاة والصلاة، بينما كان رأي الصحابة الآخرين بما فيهم عمر(ﷺ) الحزم أي الاحتياط أكثر في الرأي، وكان عزم أبي بكر (ﷺ) فيه الخير للمسلمين على مر العصور، فأنفذ أمر رسول الله (ﷺ)، وحفظ شوكة الدولة المسلمة وحافظ على ميراث الإسلام كما ورثه عن رسول الله (ﷺ).

أما عمر (ﷺ) فكان يغلب على طابع طُرقه الحزم حيث كان موقفه من طاعون عمواس واضحاً جلياً، حين قال لأبي عبيدة: ((نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ))[4]، وكذلك موقفه من رفضه لبناء المسلمين أسطولاً بحرياً حيث خشي على المسلمين من الهلاك، وكان يوصي المجاهدين بعدم المجازفة خشية إهلاك المسلمين وإضعافهم.

أما عثمان (ﷺ) فنجد أن طُرقه زاوجت بين الأمرين بشكل ملحوظ، وإن كان يقدم الحزم على العزم، فإن لم يُجدِ الحزم انتقل لأسلوب العزم، فحين أراد أن يوسّع مسجد رسول الله (ﷺ)

---

(1) معناه: أَنَّ القُوَّة إذا لم يكن معها حَذَرٌ أَورَطت صاحِبَها وأَفضَت، (الخطابي، غريب الحديث (ج119/1).

(2) موسوعة الأخلاق الإسلامية (ج1 /389)، بتصرف.

(3) يقول التميمي: ((لقد سمع أبو بكر وجهات نظر الصحابة في حرب المرتدين، وما عزم على خوض الحرب إلا بعد أن سمع وجهات النظر بوضوح، إلا أنه كان سريع القرار حاسم الرأي، فلم يتردد لحظة واحدة بعد ظهور الصواب له، وعدم التردد كان سمة بارزة من سمات أبي بكر في حياته كلها))، الشورى بين الأصالة والمعاصرة (ص87).

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطب / باب ما يذكر في الطاعون، (ج130/7): رقم الحديث (5729).

وأعطى المسلمين مهلة ليأخذوا ثمن بيوتهم ليوسّعه، غير أسلوبه حين وجدهم يتباطؤون في ذلك، فحبس بعضهم، وقال: ((لو كان ابن الخطاب لما تأخرتم))، وكذلك مع البغاة الذين حاصروه، كان حازماً ورفض أن يُدفعوا بالحراب حفاظاً على دماء المسلمين وعلى مدينة رسول الله (ﷺ)، وحين علم أن الأمر لا يجدي معهم عَزَمَ وأصرَ على عدم التنحي عن منصب الخلافة، وثبت بعزيمة فريدة ولقي ربه شهيدًا (رضي الله عنه).

والخليفة الرابع (رضي الله عنه) كعثمان (رضي الله عنه) زاوج بين العزم والحزم، فكان العزم حين تعلق الأمر بما فيه ضررٌ يلحق بالأمة، فما إن تولى الخلافة حتى عزم على الخروج من المدينة وأصر على ذلك واتخذ من الكوفة عاصمةً لدولته، ثم إذا به عند ظهور فرقة الخوارج عقب معرك (صفين وما تبعها من صلح) يقدم العزم بدون تردد كما فعل أبوبكر فيما سبق، فسار إليهم واستأصلهم وكسر شوكتهم.

في المقابل فقد طغى الحزم حين كان الأمر يتعلق بما يمكن تداركه وبما يحقن دماء المسلمين، حيث إنه تريث حين سمع بقدوم عائشة وطلحة والزبير بجيشهم للكوفة، وأرسل لهم القعقاع بن عمر (رضي الله عنه) ليستوضح الأمر وكادت الأمور تنجلي دون قتال، إلا إنّ الفاسدين أوقعوا بين الطرفين فنشب القتال وكانت معركة (الجمل) وكذا الحال قبل معركة (صفين).

المطلب الثاني: التباين الثاني: بين أسلوبيّ اللين والشدة:-

ثم تبَيْن أن مناهجهم تباينت بين اللين والشدة وهم يجتهدون في تثبيت العقيدة في نفوس المسلمين، وباستعراض وسائلهم في ذلك يتضح أنّ سمتيّ اللين والشدة ظاهرتان بشكل متوازن في طرقهم مع تفاوت هنا وهناك.

فطغت صفة الشدة على طُرق أبي بكر (رضي الله عنه) ومواقفه في تثبيت العقيدة، ويبدو أن سبب ذلك يعود لأمرين مهمين، الأول: أنه كان معروفاً (رضي الله عنه) بين المسلمين بلين قلبه، والثاني أنه لم يكن من قبيلةٍ مارست الحكم من قبل أو لها جذوة ومنعة عند العرب، ولذلك حين علم أبوه أبو قحافة أن ابنه أصبح خليفة رسول الله، قال: هل رضيت العرب بذلك؟ [1]

(1) أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: لما قبض رسول الله ﷺ ارتجت مكة فسمع أبو قحافة ذلك، فقال ما هذا؟ قالوا قبض رسول الله ﷺ، قال: أمرٌ جلل. فمن قام بالأمر بعده؟ قالوا ابنك. قال: فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم. قال: لا واضع لما رفعت، ولا رافع لما وضعت. (ج274/3): رقم الحديث (5071)، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وكان يعلم أبوبكر أن الحكم بحاجة لشدة مع حِكْمَة، فأراد (ﷺ) أن يُظهر شدته حتى يعلم العرب أنه قادرٌ على هذا الأمر، وقد وفقه الله لذلك مما جعل الصحابة يقولوا: ((لولا أبو بكر لهلك المسلمون))[1].

ومن أمثلة شدته، قوله لمن أراد أن يحتج بالقدر على معاصيه: "لو كان أمامي غيرك لأمرت أن يجدع أنفك"، وحين سرق أحدُ الناس وقد كانت أطرافه قد قُطعت بسبب سرقات سابقة من عهد رسول الله (ﷺ)، أمر به أن يُقتل لسماع ذلك من رسول الله (ﷺ).

أما الفاروق فشدته كانت ظاهرةً على شخصيته بين الناس، ولذلك خشي بعض الناس من هذه الشدة عندما سمعوا أن الأمر آل إليه بعد وفاة أبي بكر، وجاء في بعض الروايات أنه دعا الله أن يُلين قلبه للمسلمين وأن يحبب قلوبهم له، فكان له ذلك[2] .

فأراد بلينه أن يطمئن الناس كي لا ينفروا، منه فأصبح من أحب الناس للمسلمين، فاشتهر أسلوب الحوار والمناقشة بينه وبين الرعية في معظم الأمور فكان من أكثر الخلفاء مشورة لمن حوله وعلى رأسهم عليّ وعثمان وعبد الرحمن بن عوف، وكان من أكثر الخلفاء اعتذاراً عن قراراته بحق عزل بعض الولاة كسعد بن أبي وقاص[3] وأمراء الجند كخالد بن الوليد [4]، واشتهر بالعدل، مع أن أبا بكر كان أكثر منه عدلاً، ولكن عمر استطاع أن يوظف هيبته في نفوس المسلمين والعرب لتصبح مدخلاً لنيل حقوقهم والمجاهرة بها[5] .

أما عثمان (ﷺ) فمشهور بلينه كصفة بارزة لديه، وكان يُقدّم اللين على الشدة حتى إنه في أول ست سنوات من خلافته كان قد أحبه الناس كحبهم للفاروق من قبل، ولكن هذا اللين

---

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق، حديث رقم (46153)، رواه متصلاً إلى أبي رجاء العطاردي، بتصرف.

(2) ذكر ابن الجوزية أن عمر (ﷺ) قال في أول خطبةٍ له: " اللهم إني شديد فليني، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسخني" (مناقب أمير المؤمنين (ص ص170–171)).

(3) فقد جعل سعداً من الستة المرشحين للخلافة، وقال في حقه: "فإن أصابت الإمرة سعدا، فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة" (البخاري: صحيح البخاري، كتاب: أصحاب النبي/ قصة البيعة، (ج15/5): رقم الحديث(3700)).

(4) وقد قال عند عزله لخالد: "إني لم أعزل خالداً عن سخطة أو خيانة، ولكن الناس فُتنوا به"، أنظر: هذا البحث (ص 86)، وحين تُوفي خالد، قال عمر: "على مثل أبي سليمان تبكي البواكي"، أنظر: هذا البحث (ص 87).

(5) فقد لقي رجلٌ من قريش عمر (ﷺ) فقال: لِن لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة، فقال: أفي ذلك ظلم، قال: لا، قال: فزادني الله في صدوركم مهابة. (ابن الجوزي، مناقب عمر (ص134)).

كان بحاجة لشدة أحياناً حين يتعلق الأمر بانتهاك أمور الدين، فها هو يأمر بتكسير الجلاهق وذبح الحمام حين ظهر ذلك بين الناس، وكانا سبباً للالتهاء عن الفرائض، ومنع المعتدة من السفر للعمرة والحج أثناء فترة عدتها.

ولعل سمة اللين قد برزت عند عثمان (ﷺ) في جانبين مهمين، **الأول:** حين أراد أن يُعلّم الناس أن لا يأخذوا أحاديث عن رسول الله (ﷺ) إلا بعد التوثق من نسبتها له (ﷺ)، فكان يُحدّث الحديث ثم يأتي بالصحابة ليشهدوا أمام الناس على صحة ذلك، بينما كان أبوبكر وعمر وعليّ يطلبون من الذين يحدثون عن رسول الله (ﷺ) أن يأتوا بشهودٍ معهم سمعوه عن رسول الله (ﷺ)؛ **والموقف الثاني:** في تعامله مع الغوغاء ممن نالوا منه، حيث لان لهم لحدودٍ لا يتحملها صاحب سلطان حتى قتلوه (لعنهم الله)، ولعل صفة الحياء التي عُرف بها عثمان كانت غالبة عليه حتى عند قتله (ﷺ).

وأما الخليفة الراشد الرابع (ﷺ) فبالرغم من معرفة شدته وطغيانها على صفة الليونة لديه نراه حين أصبح خليفةً لا يستخدم الشدة إلا في موطنها حيث لا ينفع عندها إلا هي، فمعاملته للبغاة اختلفت عن معاملته للخوارج، فالبغاة لان معهم حتى أثناء المعركة وتصرف معهم بتصرفات الأخوة الإيمانية سواء في الجمل أو صفين، بينما مع الخوارج كانت الشدة حيث أمر رسول الله (ﷺ) بقتالهم عند ظهورهم.

المطلب الثالث: التباين الثالث: بين التقديم والتأخير

لقد تباينت مناهجهم (ﷺ) فيما يُقدّم وما يُؤخر، وهذا التقديم والتأخير يخضع بطبيعة الحال لتقدير الإمام وعمق إدراكه لمآلات الأمور، واتضح ذلك جلياً في بداية خلافة أبي بكر، فقدم الاستمرار بالجهاد وعلى جبهاتٍ مختلفة على تأخير ذلك وكان رأيه الأصوب والحمد لله، فقد أخر الجهاد لنشر الإسلام وقدم الجهاد لتثبيت العقيدة وحماية الدولة المسلمة وردع أعدائها. كما أنه لم يُجلِ أهل الكتاب من جزيرة العرب كما أوصى النبي (ﷺ)، وذلك يعود لقصر مدة خلافته، وثم لِما كان عليه حال المسلمين مما أوجب عليه أولوياتٍ أخرى قدمها على ذلك. حتى عمر (ﷺ) فقد أخر إجلاء أهل الكتاب عن الجزيرة العربية حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية واستقر حالها، وتثبت سلطانها، وأصبحت مهابة بين الأمم، وبعدما تثبت لديه مكر اليهود في خيبر ضد المسلمين هناك.

وعثمان (رضي الله عنه) قدم أسلوب الحوار على أسلوب السيف في التعامل مع البغاة حتى لا يقع في دماء المسلمين. وعليّ (رضي الله عنه) قدم الجهاد من أجل تثبيت عقيدة المسلمين وتثبيت أركان الدولة الإسلامية على الجهاد لنشر الدعوة، وقدم التصدي للبدع التي ظهرت في عصره كبدعتيّ الخوارج والتشيع على التصدي لغيرها مع عدم إهماله لأي بدعة تظهر.

المبحث الثالث:

منهج الخلفاء الراشدين (ﷺ) في تقرير العقيدة الصحيحة وواقعنا المعاصر

مناهج الخلفاء الراشدين وطُرُقهم وجهودهم في سياسة أمور المسلمين وأخصها حفظ عقيدتهم، نحن مطالبون باتباعها بأمر من رسول الله (ﷺ)، وعليه فإن ذلك يوُجبُ علينا كمسلمين الاستفادة من مجهوداتهم المباركة واتباعها.

وأمةُ الإسلام اليوم ممزقة ومتفرقة، وأسوأ تفرق هو تفرقها في عقيدتها، حيث انحرف العديد من أبناء الدين عن العقيدة الصحيحة وزاغوا عنها، ولم يكتفوا بذلك بل شنعوا على مخالفيهم، ونشب خلافٌ غيرُ محمود بين أصحاب العقيدة الصحيحة المتوارثة عن رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدين والصحابة، وبين أصحاب من زاغ بهم الفهم وضلت بهم السبل.

وسيعمل الباحث على الاستفادة من مناهج الخلفاء الراشدين وطرقهم في حفظ العقيدة الإسلامية الصحيحة، بحيث يقدم بعض الحلول بما يناسب حالنا اليوم، والله يهدي إلى سواء السبيل.

المطلب الأول: وجوب ربط المسلمين بالعقيدة الصحيحة والعبادة السليمة:-

تميزت مناهج الخلفاء الراشدين أنهم كانوا يربطون المسلمين بعقيدتهم ويوجهونهم من خلالها، وهذا يتطلب أن يكون صاحب الولاية الأقوى عقائدياً والأحرص على دين الله ليأخذ الناس إلى ذلك، لأن الأصل أن ((المجتمع الإسلامي يقوم على عقيدة وفكرة "أيدلوجية" خاصة، منها تنبثق نظمه أو أحكامه وآدابه وأخلاقه))[1].

لقد تجلت عظمة الفهم للعقيدة وقوتها عند أبي بكر (ﷺ) حين أصر على فتح جبهات ثلاث في آنٍ واحد بالرغم من شدة تألم المسلمين بوفاة رسول الله (ﷺ)، فأنفذ جيش أسامة لعلمه أن الاستجابة لأمر رسول الله (ﷺ) أمرٌ عقائدي، وأكمل محاربة المرتدين فاستمر على ما كان عليه رسول الله (ﷺ)، وقاتل مانعي الزكاة فرفض أن يُنقص الدين وهو حي، وكان بذلك أكثر

(1) القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (ص5).

الصحابة تشرباً لمعاني التوحيد، وأكثر أهل الأرض رجاحة بالإيمان بعد رسول الله (ﷺ)، وصدق فيه قول عمر (رضي الله عنه): ((لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِإِيمَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ لَرَجَحَهُمْ))(1).

وقد سطرتُ في هذا البحث العديد من النماذج والأمثلة للخلفاء الثلاثة الآخرين في ربطهم بعقيدتهم وبتوجيههم للمسلمين أن يقوموا بالعبادة على الوجه الصحيح كما تعلموه عن رسول الله (ﷺ).

ومنه نستخلص أن سبيل رشاد الأمة هو بالرجوع لما كان عليه رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدون والصحابة (رضوان الله عليهم)، فإنه ((لن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها))(2).

إذاً لا بد لكل مسلم اليوم له ولاية على مجموعة من المسلمين فأكثر أن يجتهد لهم – كما فعل الخلفاء الراشدون استرشاداً بقول رسول الله (ﷺ): ((ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة))(3)، وأن يربطهم بعقيدتهم وأن يعينهم على عبادة الله كما تم نقله عن رسول الله (ﷺ) بطريق ثابت صحيح.

والبدء يكون بالولاية الأبوية حتى ينتهي بالولاية العامة والإمامة، مروراً بإمامة الصلاة وإمامة الجماعات والحركات الإسلامية العاملة في الساحة الإسلامية والتي تهدف جميعها لنشر الدين ونصرته.

العقيدة الإسلامية موحِدة لا مفرقة:

طالما أن المذاهب الإسلامية في العقيدة (السلفية والأشاعرة والماتريدية) ولا المذاهب العقائدية المنتسبة للإسلام كالمعتزلة لا يكفر بعضها بعضاً، وتتهم كل فرقة أن الأخرى جانبت الصواب، وكلٌ له حجته وبرهانه – مع إقرارنا أن عقيدتنا الصحيحة هي عقيدة الرسول وصحابته في كل الأمور – فلماذا لا يتعاون الجميع لتثبيت الناس على الحق، والانطلاق من العقيدة للدعوة إلى الله، ويتأسوا بالإمام أحمد، حيث نقل ابن تيمية أنّ: ((الإمام أحمد (رضي الله عنه) ترحم

---

(1) ابن راهويه: مسند إسحاق بن راهويه (ج3/671-672)، قال السخاوي في "المقاصد الحسنة": إسناده صحيح، (ج1/ 555)، وقال السخاوي أيضاً: أما الحديث المرفوع الذي رواه ابن عمر (رضي الله عنهما) عن رسول الله (ﷺ): "لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها" فهو ضعيف.

(2) الألباني، حجة النبي (ص103)، عن الإمام مالك.

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، (ج126/1): رقم الحديث (142).

عليهم "يعني الخلفاء الذين تأثروا بمقالة الجهمية الذين زعموا القول بخلق القرآن، ونصروه"، واستغفر لهم، لعلمه بأنه لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطأوا، وقلدوا من قال ذلك لهم))[1].

المطلب الثاني: الرجوع للفهم السليم لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية (وحسن الاستدلال بها):-

لقد تبين في الفصول السابقة كيف أن الخلفاء الراشدين كانوا يحمون عقيدة المسلمين من التبديل، بحفظهم لمصدريها وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الثابتة عن رسول الله(ﷺ).

وحفظُ القرآن الكريم والسنة النبوية اتخذا مساراتٍ عديدة وأوجه مختلفة، وعليه فلا بد لمن وليَ أمراً من أمور المسلمين، وكان هذا الأمر ثانوياً أو أصيلاً، صغيراً أو كبيراً، أن يعمل على حفظ هذين المصدرين مما قد يُنال منهما، فيجب حفظهما من الاندثار وذلك بحفظهما في الصدور والسطور، وكذلك بحفظ تفسيرهما من الزلل الذي هو مدار اجتماع المسلمين أو تفرقهم!

وحفظُ القرآن والسنة في الصدور والسطور قائم بفضل الله تعالى، وتنقيح السنة مما شابها من موضوعات قائمٌ -أيضاً- والحمد لله، لكن الإشكالية في فهم النصوص وفهم مدلولاتها ومن ثم إنزالها على الحال الذي نحن به، ويتعلق بذلك -أيضاً- الالتزام بالآداب عند الاختلاف في فهمٍ أو تفسيرٍ لنص وعند إنزاله على واقع المسلمين اليوم.

وهذا الإشكال قد يطال أهل العلم والدراية أيضاً، فقد ظهر لنا كيف أن مفهوم كلمة التوحيد كان الأكمل عند أبي بكر (رضي الله عنه)، بينما غاب هذا الفهم الشامل عند الكثير من الصحابة (رضي الله عنهم) في لحظة حرجة من تاريخ دولة الإسلام، ولذلك قال عمر والصحابة بعدما كانت نتائج قرارات أبي بكر صائبة وسديدة لأنها ناتجة عن مفهوم أشمل وأكمل للنصوص، قالوا: لولا أبوبكر لهلكنا[2].

وفي عهد الفاروق عمر (رضي الله عنه) حين أراد أن يُبقي أرض العراق عندما فتحها كما هي ولا يُقسّمها بين الجند، وذلك خلافاً لظاهر ما كان معمولٌ به في عهد رسول الله(ﷺ) وأبي بكر (رضي الله عنه)،

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج349/23).
(2) سبق تخريجه (ص 52).

وكان فعله ذلك مستنبطاً من ثلاث آيات من سورة الحشر[1] ، فأيده في ذلك عثمان وعليّ ومعاذ وطلحة وعمرو بن العاص وخالفه بلالٌ وفئة معه[2] ، فلم يُخطِّئ فريقٌ منهم الفريق الآخر، وأنفذ عمر (ﷺ) هذا الرأي وعمل به المسلمون بعد ذلك حين فتحوا الشام ومصر.

ولننظر كذلك حين أراد الغوغائيون الباغون على عثمان أن يستدلوا بالآية (59) من سورة يونس بما لا يصح الاستدلال بها، فقال عثمان لكبيرهم: ((امضه، نزلت في كذا وكذا))[3].

بل إن أعظم خطر حلَّ بالمسلمين هو حينما حاول الخارجون على عليّ (ﷺ) أن يستندوا بنصوص القرآن لتبرئة فعلهم، فأنزلوا النصوص على غير رُشدٍ وبيّنة[4] .

فخفظُ مصدريّ الإسلام من التفسير الخاطئ والاستدلال غير الصحيح يتطلب بذل جهودٍ ممن ولي من أمر المسلمين شيئاً، لأن عدم التصدي لهذه الرؤى الشاذة والتنزيل غير السوي للنصوص سينتج عنه كوارث تصيب الأمة، بل إن ما أصاب الأمة من كوارث كان بسبب ذلك في المقام الأول.

المطلب الثالث: العمل على وجود إمامٍ واحد (الخليفة) تجتمع عليه الأمة:-

لقد تبين في المبحث الأول من هذا الفصل حرص الخلفاء الراشدين على وحدة الأمة تحت إمامٍ (خليفةٍ) واحد قوي في عقيدته وشوكته، مُهابٍ في سلطانه.

وما أصاب المسلمين من نقصٍ في دينهم إلا بعد تفرقهم، فلم تعد لهم جماعة تجمعهم ولم يعد لهم إمامٌ يلتفون حوله، ولقد ذكرنا الله بما وصى به أولي العزم من الرُسل، وهو إقامة الدين وعدم الفُرقة، فقال جلّ شأنه: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ**﴾[الشورى: 13]، قال الطبري: ((﴿**وَلَا**

---

(1) هي: الآيات الثامنة والتاسعة والعاشرة من سورة الحشر، وانظر: القرضاوي، السياسة الشرعية (ص 196).

(2) انظر: القرضاوي، السياسة الشرعية (ص ص 188-201).

(3) "يقصد أنها نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يُحلّون ويُحرمون من البحائر والسوائب والوصايل"، انظر: قلعه جي، موسوعة فقه عثمان (ص 151).

(4) انظر: هذا البحث (ص 225).

تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ ولا تختلفوا في الدين الذي أُمرتم بالقيام به كما اختلف الأحزاب من قبلكم، فعن قتادة في قوله تعالى :﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ تعلموا أن الفُرقة هلكة وأن الجماعة ثقة))(1).

وكذلك حذر رسول الله (ﷺ) المسلمين من الفُرقة، فعن عبد الله بن عمرو (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا) قال: إن النبي (ﷺ) قال: ((ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل: تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين تزيد عليهم، كلها في النار إلا ملة واحدة فقالوا: مَن هذه الملة الواحدة؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي))(2)، ومما كان عليه رسول الله (ﷺ) وصحابته أنهم جماعة واحدة بإمامٍ واحد حتى بداية خلافة عليّ بن أبي طالب، ومن المهم في هذا المقام استحضار قول الخليفة الراشد الثالث المظلوم عثمان (رضي الله عنه) حين قال لمن يُحاصرونه وللأمة من خلفهم: ((...وأما أن تقتلوني فوالله لئن قتلتموني لا تحابّون بعدي أبداً، ولا تصلون بعدي جميعاً أبداً، ولا تقاتلون بعدي عدواً جميعاً أبداً))(3)، وهذا من شفافية فهمه للقرآن ودقة تدبره إياه (رضي الله عنه) (4).

وما أجمل رأي الإمام أحمد (رضي الله عنه) حين سُئل عن حديث رسول الله (ﷺ): ((مَن مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية"؟ فقال: تدري ما الإمام؟ الإمام الذي يُجمعُ عليه المسلمون كلهم بقولِ هذا إمام))(5).

وقد بحث الدكتور يحيى إسماعيل في كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) وقول الصحابة والعلماء، فوجد أن الجماعة بحاجة (لستة) أمور لتقوم وتستمر، وهي: عقيدة تجتمع عليها، وأمام ينتظم به أمرها ويقوم ببعض تكاليفها، وعِلمٌ تحيى به، وعملٌ صالح تقوم به، وأهل رأي يصدرون حكمهم ويرجع إليهم في المشورة، وأرضٌ تقيم عليها ويظهر بها سلطانها(6) ، وقد

---

(1) الطبري، جامع البيان (ج11/ 134).

(2) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الإيمان/ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، (ج5/ 26): رقم الحديث (2641)، وقال هذا حديث حسن مفسرٌ غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وبنحوه في المعجم الأوسط (ج5/ 137): رقم الحديث (4886)، وقال الألباني: حسن، انظر: الجامع الصغير وزيادته: (ج1/ 948): رقم الحديث (9474).

(3) ابن كثير، البداية والنهاية (ج305/10).

(4) وعدم ذكر الجهود التي بذلها الراشدون الأربعة في الحفاظ على جماعة المسلمين ووحدتها تحت إمامٍ واحد في هذا الموضع يعود لذكر ذلك وبتوسع في الفصول السابقة.

(5) ابن الخلال: السُّنة، أَوَّلُ كِتَابِ الْمُسْنَدِ/ باب مَا يُبْتَدَأُ بِهِ مِنْ طَاعَةِ الْإِمَامِ، (ج80/1): رقم الحديث (10).

(6) انظر: إسماعيل، منهج السنة (ص ص 58-64).

استنبط –أيضاً– ثلاثاً وعشرين فائدة للجماعة[1] ، ثم قال: ((نستطيع بعد هذا أن نقول: بما أن الجهاد فريضة واجبة ماضية إلى قيام الساعة كما وأن الدين مجتمع لا يقوم إلا بها وذلك واجبٌ ومفترض وأنه لا يقوم أمره إلا بالجماعة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب لذا فإن الحكم الشرعي لها –أي وجود الجماعة– أنها من الواجبات والفروض الدينية))[2].

وما ذهب إليه د. يحيى إسماعيل، أشار إلى مثله ابن تيمية من قبل، حين تحدث عن موالاة المؤمنين بعضهم ببعض، فقال: ((موالاة الله ورسوله لا تتم إلا بطاعة أمره وكذلك المؤمنون لا تتم موالاتهم إلا بإطاعة أمرهم وهذا لا يكون إلا إذا كان أمرهم أمراً متفقاً))[3].

من المهم أن نُدرك أنه لن يتحقق دين الله في النفوس وعلى أرض الواقع إلا إذا كان المسلمون متحدين في جماعة واحدة، ويجمعهم إمامٌ قويٌ واحد، فإن ما خسره المسلمون من قتلى في محاربة بعضهم بعضاً أكثر مما خسروه في مقارعة أعداء الدين والعقيدة، فبعض المؤرخين ذكر أن عدد قتلى المسلمين في الجمل وصفين أضعاف ما قُتل في غزوات المسلمين مع الفرس والروم وغيرهم[4] .

وكذلك فإن وجود إمامٍ ضعيف وحوله سلاطين أقوياء يُطلب من الناس طاعتهم، ويُفتي بعض العلماء بوجوب هذه الطاعة جعلت التناحر بين المسلمين قائماً، بل وعمل على إضعاف المسلمين واستعانة بعضهم بالنصارى والتتار على البعض الآخر[5] ، يقول الصلابي عن سياسة الصليبيين في حقبة ما قبل انتصار صلاح الدين: ((لجأت القوى الصليبية إلى سياسة عقد الهُدن وتقديم بعض التنازلات لبعض الأطراف الإسلامية في سبيل التفرغ لقوى إسلامية أخرى... وقادها ذلك إلى حد التدخل إلى جانب طرف ضد آخر إما بعرض صليبي على هذا الطرف أو باستدعاء وطلب بعض الأطراف الإسلامية))[6].

---

(1) انظر: إسماعيل، منهج السنة (ص ص 65–93).

(2) إسماعيل، منهاج السنة (ص98).

(3) ابن تيمية، منهاج السنة (ج 235/4).

(4) انظر: ابن خياط، تاريخ خليفة (ص186)، وانظر: المسعودي، مروج الذهب (ج367/2).

(5) انظر: الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين (ص ص 84–93).

(6) الصلابي، صلاح الدين (ص53).

وحالُ المسلمين بعد ذلك لم يتغير كثيراً عن هذا الحال إلا في فترات محدودة، حتى وصلنا إلى شطب الخلافة الإسلامية وإلغائها كلياً في عام (1924م)، وكتب شوقي أبياتاً من الشعر ينعى الخلافة الإسلامية بأبيات[1] تُدمي القلب:

ضجت عليك مآذنٌ ومنابـــر *** وبكت عليـك ممــالك ونــواح

الهند والهةٌ ومصـر حـزينــةٌ *** تبـكي عليـك بمـدمعٍ سحّــاح

والشام تسأل، والعراق، وفارسٌ *** أمحا من الأرض الخلافة ماح؟

ثم لا يخفى على أحدٍ ما حدث في أرض المسلمين من تشتت وضياع، حتى أصبحت دولة الإسلام مقسمة إلى أكثر من ستين دولة، وعلى رأس كل دولة زعيم ينادى له بأنه ولي الأمر، وأصبحت معظم بلاد المسلمين تبعاً لأعدائها، بل حالها اليوم أسوأ من الحال التي كان عليه المسلمون قُبيل الحروب الصليبية والتترية، فأصبحت أخوة الوطن مقدمة على أخوة الدين، وأصبحت مفاهيم الوطنية والقومية تغزو عقول الكثير من المسلمين، فنشأت الأنانية بين شعوب المسلمين، وقاتل بعضم بعضاً بحجة هيبة الدولة ونظامها، ولم يفكر أحدٌ منهم في هيبة الإسلام وهيبة المسلمين.

إن الولوج في تاريخ المسلمين بشيء مقتضب هدفه الإثبات العقلي والفطري (بجانب النصوص من القرآن والسُنة) بوجوب العمل على أن يكون للمسلمين جماعةٌ واحدةٌ وخليفةٌ واحد له شوكة وقوة يتوحد المسلمون تحت رايته، يحفظ دماء المسلمين وديارهم وعزهم، ويحرر أرضهم، ويجاهد في سبيل ذلك وسبيل نشر دين الله في الأرض، وأن هذا الأمر من أعظم واجبات الدين، يقول ابن تيمية: ((ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس))[2].

وعليه فإن واجب علماء المسلمين أن يشرحوا للناس وجوب تحقيق الوحدة الإسلامية ليصبح المسلمون جماعة واحدة ودولة واحدة يربطهم ميثاق الإسلام، ويكون على رأسهم إمامٌ واحد[3] ، فالحكم أعلى عُرى الإسلام، وبانتقاضها تُهددُ بقية العرى، كما هو حاصل اليوم

(1) شوقي، الشوقيات (مج1/ج90/1).

(2) ابن تيمية، السياسة الشرعية (ص 81).

(3) يقول الدكتور يحيى إسماعيل: "على أن إقامة الخلافة وتعزيز أمرها فرض واجب وحق مستحق على المسلمين"، منهج السنة (ص ص260-261).

للأسف، فعن أبي أمامة الباهلي (ﷺ) عن النبي (ﷺ) أنه قال: ((لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة))[1]، ولنحقق أمر الله تعالى ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران:103].

المطلب الرابع: إحياء فريضة الجهاد في نفوس المؤمنين ليحفظ الله به العقيدة والدين

اتسمت حياة الراشدين بديمومة الجهاد في سبيل الله، وكان ذلك على صعيدين اثنين: صعيد تمكين دولة الإسلام من داخلها وتخومها، وصعيد فتح بلاد جديدة لنشر دعوة الإسلام وعقيدة التوحيد، وكما قال الصحابي الجليل ربعي بن عامر (ﷺ) لرستم قائد جيش الفرس: ((إنّ الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة))[2].

فقد أكرم الله تعالى أبا بكر (ﷺ) بالجهاد لتحقيق هذين الأمرين، أما عمر وعثمان فكان الجهاد في عصريهما من أجل نشر دعوة الإسلام بعدما أصبحت دولة الإسلام آمنة في داخلها وزال الخطر عنها بعزيمة أبي بكر (ﷺ) وإصراره، ولكنّ عليّ (ﷺ) وَرِثَ وضعاً صعباً، فقد أمضى فترة خلافته في الجهاد لإعادة التمكين للدولة المسلمة من داخلها بعد مقتل عثمان (ﷺ) وظهور فتنة البغي وفتنة الخوارج.

ومما لا شك فيه أن تشتت الأمة لدويلات متناحرة على إثر فرقتها واختلافها عقائدياً ومذهبياً أدى إلى ضعفها وانشغال بعضها ببعض[3]، فغزى بعضُها بعضاً، وقاتل بعضها بعضاً، وتعاهد بعضها مع أعداء الإسلام ضد بعضهم الآخر، فسهّل ذلك غزو أعدائها لها، بل أصيبت الأمة بمقتل في قضيتي الولاء والبراء[4]، وهما من أعمدة تمام كلمة التوحيد، فذل

---

(1) سبق تخريجه (ص 108).

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج3/520).

(3) انظر: الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين (ص 39-65)، ونود هنا أن نذكر حادثة ذكرها ابن كثير عن محمد بن موسى بن عبد الله البلاساعوني (توفي 506 هـ) ويعرف بالدمشقي. ولي قضاء بيت المقدس ثم قضاء دمشق، وكان غالياً في مذهب أبي حنيفة وكان يقول: لو كانت لي الولاية لأخذت من أصحاب الشافعي الجزية، وكان مبغضاً لأصحاب مالك أيضاً. (ابن كثير، البداية والنهاية، (ج16/217)).

(4) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج9/ 313-314)، وانظر: السرجاني، قصة الحروب الصليبية (ص 486- 489)، وانظر: الصلابي، الدولة العثمانية (ص 352- 360).

المسلمون حين تركوا الجهاد في سبيل الله، ونسوا قول رسولهم الكريم (ﷺ): ((مَا تَرَكَ قَوْمٌ الْجِهَادَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ))[1] ، فعاش المسلمون أذلاء في فترات تركهم للجهاد ضد الشرك والكفر، وازداد الأمر سوءاً حين سقطت الخلافة العثمانية، وقسم أعداء المسلمين أمة الإسلام لدويلات تتصارع فيما بينها، واحتل اليهود أرض فلسطين، واستعمر الغربيون بلاد المسلمين وأراقوا بها الدماء وانتهكوا الأعراض، ولم يخرجهم سوى الجهاد في سبيل الله، وما زال جرح فلسطين ينزف على إثر ذلك.

وعليه فلا بد للأمة المسلمة أن تجاهد في سبيل الله، وأن يتربى الأجيال على الجهاد بمفهومه النقي الذي ورثناه عن رسول الله (ﷺ) وخلفائه الراشدين والصحابة الكرام، وهو يكون لتثبيت ملك المسلمين ودولتهم ولحماية سلطانهم وحفظ هيبتهم وتأمين حدودهم، ومن ثم لنشر دعوة الله في الأرض حين تجدُ صداً من أعداء الله ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:193].

والجهاد في الإسلام نوعان: جهاد الدفع وجهاد الطلب، وجهاد الدفع أكثر ضراوة وشراسة من جهاد الطلب، حيث إن جهاد الدفع يكون حين يُهاجمُ أعداء الإسلام أرضاً للمسلمين فيجب على أهل هذه الأرض أن يُدافعوا عنها على أي حالٍ كانوا، وهذا مقررٌ ومعروفٌ عند فقهاء المسلمين، يقول ابن تيمية: ((إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليها بلا إذن والد ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا))[2]، وقال ابن عطيَّة (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): ((واستمرَّ الإجماع على أنَّ الجهاد على أمَّة محمَّد (ﷺ) فرضُ كفايةٍ، فإذا قام به مَن قام مِن المسلمين سقط عن الباقين، إلَّا أنْ ينزل العدوُّ بساحةٍ للإسلام، فهو حينئذٍ فرضُ عينٍ))[3]، بل إن جهاد الدفع أوجب الأمور بعد الإيمان، يقول ابن تيمية: ((وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم))[4].

إن سبب الفتنة التي يعيشها المسلمون اليوم هي لنكوصهم عن الجهاد في سبيل الله، وصدق الله حين قال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾[الأنفال: 39]،

---

(1) الطبراني: المعجم الأوسط، باب العين/ من اسمه علي، (ج148/4): رقم الحديث (3839)، قال الألباني: والحديث صحيح، انظر: الألباني، الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث (2663).

(2) ابن تيمية، الفتاوي الكبرى (ج608/4).

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز (ص 289).

(4) ابن تيمية، الفتاوي الكبرى (ج520/4).

أي ((فقاتلوهم حتى لا يكون شرك، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض، وهو: الفتنة، وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصةً دون غيره))[1].

تشويه معنى الجهاد وقيمته:-

الجهاد في سبيل الله هو السبيل الأمثل لحفظ الدين والعقيدة ولنشر الإسلام، وهذا ما أدركه أعداء الإسلام عبر التاريخ وعبر دراساتهم لدين الإسلام، فهو ذروة سنام الإسلام، ولذلك أدرك أعداءُ الإسلام أنه لا سيطرة لهم على بلاد المسلمين وإذلالهم إلا إذا أبعدوهم عن الجهاد بأي طريقةٍ كانت، واتخذوا في ذلك مسارات عديدة:

❖ فأنشأوا فرقاً[2] تنتسب للإسلام تنفي أن يكون الجهاد من الإسلام كالأحمدية[3] والبهائية[4] .

---

(1) الطبري، تفسير الطبري (ج537/13).

(2) انظر: مراد، مذهب الزنادقة (ص ص 156-174).

(3) الأحمدية أو القاديانية: ((حركة نشأت سنة 1900م بتخطيط من الاستعمار الانجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الانجليزية، مؤسسها: مرزا غلام أحمد القادياني 1839-1908م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية، من معتقداتهم الضالة: بإلغاء عقيدة الجهاد، الطاعة العمياء للحكومة الانجليزية لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن!، يعتقد القادياني بأن إلهه انجليزي لأنه يخاطبه بالانجليزية، يعتقدون أن الميرزا أحمد خاتم الأنبياء وأفضلهم وكان ينزل عليه جبريل، ويعتقدون أن كتابهم اسمه الكتاب المبين لا القرآن الكريم)) (انظر: الموسوعة الميسرة (ج416/1-420)).

(4) البابية أو البهائية: ((حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة 1260هـ/1844م، تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الانجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، مؤسسها: الميرزا علي محمد رضا الشيرازي (1819-1850م)، في ليلة الخميس 23 مارس 1844م أعلن أنه الباب نسبة إلى ما يعتقده الشيعة الشيخية من ظهوره بعد وفاة الرشتي المتوفى 1259 هـ، وأنه رسول كموسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) بل وعياذاً بالله أفضل منهم شأناً، ومن زعمائهم الأساسيين: عباس أفندي: الملقب بـ عبد البهاء ولد في 23 مايو 1844 م، أوصى له والده البهاء بخلافته فكان ذا شخصية جادة لدرجة أن معظم المؤرخين يقولون بأنه: لولا العباس لما قامت للبابية والبهائية قائمة، ويعتقد البهائيون أنه معصوم غير مشرع، وكان يضفي على والده صفة الربوبية القادرة على الخلق، . زار سويسرا وحضر مؤتمرات الصهيونية ومنها مؤتمر بال 1911 م وحاول تكوين طابور خامس وسط العرب لتأييد الصهيونية، كما استقبل الجنرال اللنبي لما أتى إلى فلسطين بالترحاب لدرجة أن كرمته بريطانيا بمنحه لقب سير فضلاً عن أرفع الأوسمة الأخرى، ولهم معتقدات ضالة كثيرة منها: يعتقدون أن الله حلَّ بالبهاء، يعتقدون حرمة الجهاد وحمل السلاح وإشهاره ضد الأعداء خدمة للمصالح الاستعمارية، يبطلون الحج إلى مكة وحجهم حيث دفن بهاء الله في البهجة بعكا بفلسطين)) (انظر: الموسوعة الميسرة (ج409/1-415).

❖ ثم عمدوا إلى مسارٍ آخر حيث عملوا على زرع الشقاق بين المجاهدين والدس بينهم ليقتتلوا فيما بينهم فينفض الناس من حولهم، بعدما يبالغ فيما يقع بينهم من وسائل إعلام حاقدة فيتم المبالغة في تشويه صورة الجهاد والمجاهدين، ونعتهم باقتتالهم من أجل النفوذ والمصالح لا من أجل الإسلام كما حدث بين الجماعات الجهادية في أفغانستان والشيشان وغيرها(1) .

❖ كما عمدوا إلى مسارٍ ثالث وهو إنشاء جماعات تتبنى الجهاد لكن بطرق تُنفر الناس منه، لعلمهم أن الجهاد سيمضي ولن يتوقف فيجعلون حماس الشباب المسلم يذهب في مسار يهدم دينهم لا يقويه ويحميه(2) .

❖ والمسار الرابع اعتمدوا فيه على وأد الجهاد الأصيل واحتوائه كما حدث بعد حركات مقاومة الاستعمار في الدول العربية والإسلامية، فجعلوا ثمرة الجهاد تصب في صالحهم، حيث جعلوا بلاد المسلمين تنقاد لقادة وزعماء صُنعوا على عين الغرب الصليبي أو الشرق الملحد الروسي.

❖ والمسار الخامس اعتمدوا فيه على جعل الناس يقتنعون أن الجهاد في سبيل الله سببُ دمارهم وفاقتهم وذلك بمحاصرتهم للجهاد الراشد والمجاهدين الراشدين ومحاصرتهم لكل من يساندهم كما هو الحال اليوم في فلسطين، حيث يُحاصَرُ قطاع غزة لاحتضانه الجهاد والمقاومة ولصموده في ثلاثة حروب عدوانية شنها العدو الصهيوني(3) ، وكذلك ما يحدث في الضفة الغربية للجهاد والمجاهدين من مطاردة وحصار ووأد.

(1) انظر: زايدة، جهاد الإخوان المسلمين (ص ص36-37)، (ص 53)، (ص58).

(2) انظر: عبد الفتاح، هل داعش حقاً صنيعة أمريكية؟ دراسة تحليلية، (موقع إلكتروني).

(3) وهذه الحروب العدوانية أطلق عليها المجاهدون أسماءً تتناسب مع فهمهم العقائدي للصراع مع العدو الصهيوني، حيث أطلقوا على العدوان الأول: (الفرقان) واستمر من (2008/12/27- 2009/01/18م)، وعلى العدوان الثاني: (حجارة السجيل) وكان بين (14 - 21 نوفمبر 2012م)، وعلى العدوان الثالث: (العصف المأكول)، واستمر واحداً وخمسين يوماً (09 /07 - 27 /08/ 2014م).

جماعة الإخوان المسلمين[1] رائدة الجهاد الراشد:

تُعتبر جماعة الإخوان المسلمين رائدة الجهاد الراشد القويم، حيث يشهد لها التاريخ بذلك؛ لأن الجماعة أخذت على عاتقها تربية أفرادها بمفهوم شمولية الإسلام ومنه الجهاد كما جاء في الأصل الأول من أصول الفهم لدى الجماعة[2] ، وعليه فالجهاد لدى الجماعة ((لم يكن مجرد تنظير أو خطاب لإلهاب المشاعر وجذب قلوب الشباب المتحمس...وإنما كان فعلاً ملموساً على الأرض صاحَب تاريخ الجماعة في جميع مراحلها))[3].

وهذا الرُشدُ الجهادي لدى الجماعة جعلها تتواجد في كل مكان يجب فيه الجهاد، فتجاهد وتقاتل أعداء الإسلامين المعتدين، ولكنها كانت تنسحب من ساحات الميدان إذا تحول لنزاع وخلاف بين القوى المقاتلة فيما بينها، فبرأ الله ساحتها من دماء الأبرياء، يقول الدكتور أبو زايدة وهو يتحدث عن جهاد الإخوان في العالم، ويرصد تضحياتهم وبسالتهم: ((فأينما كان الغزو الأجنبي والاحتلال في الأراضي العربية والإسلامية كان أبناء جماعة الإخوان الأوائل في الدفاع عن هذه البلدان والذود عن حياضها))[4]، كما أنّ من علامات جهاد الجماعة الراشد أنها ((ميزت بين الجهاد المسلح ضد الاحتلال وبين جهاد الصبر والثبات، وتحمل الظلم وآلام السجون لدى الأنظمة الدكتاتورية الظالمة))[5].

وما بقاء جماعة الإخوان المسلمين وتجذرها في نفوس معظم المسلمين إلا بفضل رعاية الله لها، وحفظه لها ببركة الدماء الزكية التي تناثرت من أبنائها المخلصين في ساحات الجهاد أو تحت سياط الجلادين في زنازين الظالمين.

---

(1) الإخوان المسلمون إحدى الحركات الإسلامية المعاصرة التي نادت بالرجوع إلى الإسلام، وإلى تطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة، وقد وقفت متصدية لسياسة فصل الدين عن الدولة ومنابذة موجة المد العلماني في المنطقة العربية والعالم الإسلامي، مؤسسها: الشيخ حسن البنا (1324 . 1368هـ) في الإسماعيلية بمصر، ثم انتشرت لمعظم بلدان العالم، شارك الإخوان في حرب فلسطين 1948م، قال البنا واصفاً دعوة الإخوان المسلمين: (إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية، وطريقة سنّية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية وثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية). (انظر: كتاب الموسوعة الميسرة، ومجموعة رسائل البنا، ومذكرات الدعوة والداعية للبنا، وأحداث صنعت التاريخ لعبد الحليم محمود).

(2) انظر: رسائل حسن البنا / رسالة التعاليم (ص356).

(3) زايدة، صفحات من جهاد الإخوان المسلمين (ص11).

(4) المرجع السابق، (ص11).

(5) المرجع نفسه (ص11).

الجهاد الراشد طريق الأمة لحفظ عقيدتها واستعادة وحدتها:

لا يمكن لأمة التوحيد أن تحافظ على دينها وعقيدتها، وأن تستعيد وحدتها إلا بجهادٍ راشدٍ يسود في الأمة، كما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام، جهادٌ خالصٌ لله سبحانه، لأن ((الأمة التى تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب الله لها الحياة العزيزة فى الدنيا والنعيم الخالد فى الآخرة، وما الوَهَنُ الذى اذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة واعلموا أن الموت لابدَّ منه، وأنه لا يكون إلا مرةً واحدةً، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربحَ الدنيا وثوابَ الآخرة))(1).

وطبيعة العالم اليوم المبنية على الظلم والاستبداد ونهب خيرات الأمة المسلمة والنيل من ثوابتها وعقيدتها والطعن في رسولها وتدنيس مقدساتها، تفرض على المسلمين أن يسارعوا للانضمام لقوافل الجهاد الراشد ومساندته، فمن سُنن البشر أن ((الأمم الناهضة تحتاج إلى القوة، وطبع أبنائها بطابع الجندية، ولا سيما في العصور التي لا يُضمن فيها السلم إلا بالاستعداد للحرب، والتي صار شعار أبنائها جميعاً: القوة أضمن طريق لإحقاق الحق))(2).

المطلب الخامس: العقيدة الإسلامية تُثبت بالحوار والمناقشة:-

معلومٌ أن مصادر العقيدة خمسة، القرآن الكريم والسنة الثابتة وإجماع السلف، والعقل والفطرة السليمة، ولذلك فإن أسلوب المناقشة والحوار كأسلوب لإثبات العقيدة الإسلامية كان واضحاً في زمن الخلفاء الراشدين ومِن قبل في زمن رسول الله (ﷺ)، وما كانت المرحلة المكية التي امتدت إلى ثلاثة عشر عاماً إلا جهاداً بالحوار والمناقشة مع قريش وغيرها، ولم يكن هذا الحوار إلا في أمور العقيدة المتمثلة بإثبات وحدانية الله وأحقيته وحده فقط بالعبادة، وهو ما يُطلِق عليه علماء التوحيد بتوحيد الألوهية، ثم استمر الحوار في المدينة ولكن مع أهل الكتاب حيث الفارق كبير بين أهل قريش الوثنيين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، بل زاد عليه الحوار مع المنافقين كشريحة جديدة ظهرت في مجتمع المدينة.

والقرآن الكريم مليىء بحوارات بين الأنبياء وأقوامهم وكلها كانت تهدف لنشر عقيدة التوحيد بين الناس وعلى هذا سار الخلفاء الراشدون، حيث لا يوجد أسمى من قضية التوحيد ليبذل المسلم وقته وجهده في الدفاع عنها وصولاً لبذل الروح والدم.

---

(1) حسن البنا، مجموعة الرسائل، رسالة الجهاد (ص437).

(2) المرجع السابق، رسالة نحو النور (ص279).

والحوار غير الجدال لأن الأول يكون غالباً محموداً، بل وأحياناً أمراً لا مفر منه، أما الجدال فهي صفة مذمومة في الغالب وتأخذ الصفة المحمودة أحياناً.

بين الحوار والجدال:-

الحوار يُقصد به: ((مراجعة الكلام بين طرفين وتداوله والأخذ والرد، وتراجع الكلام والمخاطبة والمجاوبة فيه))[1]، وهو نوعٌ من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب[2] .

والحوار من أبرز أساليب القرآن الكريم في محاججة الخصوم، وكذلك كانت بالنسبة لسيرة النبي (ﷺ)، وقد ذكر د. أحمد عوض ثمانية وعشرين نموذجاً متنوعاً من نماذج الحوار النبوي[3].

أما الجدال فيُقصد به: ((دفع المرء خصمه قصد إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة))[4]، والجدل هو اللدد في الخصومة، والقدرة عليها[5]، ويأتي بمعنى ((المخاصمة، والجدل تعني شدة الخصومة، وقيل مشتقٌ من الجدل وهو القتل، وتطلق على محاججة الخصمين بعضهما لبعض حتى يغلب أحدهما الآخر))[6]، والمجادلة قد تكون في الحق وهي عندئذ مذمومة[7] ، وحين لم ينفع الحوار مع الخوارج كان لا بد من مقارعتهم بالسنان ليتم اجتثاث الرؤس التي لا تبتغي إلا الفتن، وإلا ضلّ المسلمون جميعاً وهلكوا.

واستعمل القرآن لفظ الجدل تسعاً وعشرين مرة، كلها جاءت بصيغ مذمومة إلا في ثلاثة مواضع فقط استعمله بمعناه المحمود [8]، وفي الثلاثة المواضع المحمودة جاء الجدال إما بمعنى

(1) عوض، فقه الحوار (ص 19)، بتصرف.

(2) انظر: المرجع السابق، (ص 19)، نقلاً عن الندوة العالمية للشباب.

(3) انظر: المرجع السابق (ص ص 127-207).

(4) الجرجاني، التعريفات (ص78).

(5) انظر: عوض، فقه الحوار (ص 20).

(6) المصدر السابق (ص 54)، بتصرف.

(7) انظر: زمزمي، الحوار في ضوء الكتاب والسنة (ص25-26).

(8) جاء الجدل في القرآن الكريم بمعناه المحمود في سورة النحل آية (125)، وسورة العنكبوت آية (46)، وسورة المجادلة آية (1).

الحوار كما في فاتحة سورة المجادلة، أو جاء مُقيداً بالحُسن، كما في سورتي النحل والعنكبوت[1]، أما في السنة فجاء الجدال بالمعنى المذموم، والذي يعني فن الخصومة والشدة[2]، ومن أمثلة ذلك قوله (ﷺ): ((ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ رسول الله (ﷺ) هذه الآية: مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ))[3]، وكان صحابة رسول الله وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون يكرهون الجدال، لذلك ضرب عمر (ﷺ) ابن صبيغ على رأسه حين أيقن أن هدفه الجدال لا معرفة الحق، ولذلك قال بعدها الآن عرفت، بل كان ابن عباس إذا ألح عليه رجل فى مسألة من من المتشابهات بغية الجدل لا الفهم والعلم، يقول: ما أحوجك أن يُصنع بك كما صنع عمر بصبيغ[4].

وحديث الجارية معروف حين سألها الرسول أين الله؟، والحوار بين الصحابة بقيادة عمر من جهة وأبي بكر من جهة أخرى حين هم بإنفاذ جيش أسامة وهمّ بقتال مَن فرّق بين الصلاة والزكاة، وكذلك حوار عمر لصبيغ في القدر، وحوار عثمان للبغاة والرد عليهم وخاصة أنهم ذهبوا لتأويل بعض النصوص تأويلاً فاسداً، وحوار عليّ (ﷺ) (مباشرة أو بإرساله عبد الله بن عباس) للخوارج معروف وواضح، وكذلك محاورته لمن أراد أن يُعامِلَ البغاة كالمرتدين.

الجدال آفة المسلمين قديماً وحديثاً:

الإنسان لا يمكن له أن يعيش دون أن يحاور غيره، لأن كل إنسان محتاج لأخيه الإنسان، وهذا الاحتياج يتطلب منهما التحاور الذي به تتضح الأمور والمسائل وتستقيم الأشياء، لكن الحوار إذا تحول إلى جدال انقلب التفاهم الإنساني إلى عداوة وخصومة شديدة، كما حدث فيما يُعرف بفتنة مذهب الاعتزال ومسالة خلق القرآن!

لقد كان الجدل – وما زال– آفة المسلمين الكبرى للضلال، حيث أضلّ الكثير منهم بالرغم من تحذير رسول الله (ﷺ) منه، وظهر هذا الضلال حين أخذ بعض المسلمين بعلم الكلام والفلسفة، قال الإمام مالك: ((كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما نزل به جبريل على محمد (ﷺ) لجدله))[5]، ولذلك ((اتفق العلماء على تحريم هذا العلم كالشافعي، ومالك،

(1) انظر: عوض، فقه الحوار (ص 22).

(2) انظر: المرجع السابق (ص21).

(3) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن/ باب من سورة الزخرف، (ج378/5): رقم الحديث (3253)، قال: حديث حسن صحيح.

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج311/13)، بتصرف.

(5) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ج163/1).

وأحمد بن حنبل، وسفيان، وجميع أئمة الحديث من السلف.. وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا، لا ينحصر ما نقل عنهم من التشديد فيه))[1].

وتفرقت الأمة وحقد بعضها على بعض، ونتج عن هذا غِلٌ في النفوس، وحقدٌ ما زالت الأمة تكتوي بنيرانه على الصعيد الفقهي والعقائدي[2] .

ضرورة إتقان فن الحوار في عصرنا الحاضر:

إن فن الحوار وامتلاك أدواته من الأمور الواجب اتقانها لدى أهل الاختصاص، دون الولوج في الجدال وتداعياته، وهي تأتي من باب قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[التوبة: 122].

إن انتشار علم الفلسفة وعلم الكلام بين المسلمين[3] أدى لضرورة تصدي فئة من أهل العلم من المسلمين لهذه العلوم وإتقان فن الحوار للرد على الأباطيل والأفكار المذمومة، وبرع في ذلك العديد من أهل العلم وعلى رأسهم الإمام الشافعي (ت 204هـ) والإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ) والإمام علي بن الحسن المعروف بأبي الحسن الأشعري (ت 324هـ) وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت 726هـ) وتلميذه ابن القيم (ت 751) رحمهم الله تعالى.

وموجة الإلحاد[4] التي طالت العالم في القرن العشرين وتبنتها الإمبراطورية الثانية في العالم آنذاك وهي الاتحاد السوفيتي حيث تبنت الفكر الشيوعي في تصوره للحياة والاقتصاد، كان لا بد من وجود فئة من العلماء ليتصدوا لها بالحوار الهادف والمنطق السليم حتى اندثرت قبل نهاية القرن العشرين والحمد لله، واضطر علماء العقيدة في هذه الحقبة عند شرحها باستخدام أدلة وبراهين على وجود الله وحُسنِ صنع الله[5] وهو ما لم يكن مألوفاً في كتب العقائد من قبل بهذه الكثرة بالرغم من أن الإلحاد كفكر له جذوره في أطناب البشرية، وهو كالموج يعلو تارة ويخمد تارةً أخرى.

---

(1) الغزالي، الرد على الجهمية (ص22)، تحقيق بدر البدر، بتصرف.

(2) انظر: الكيلاني، هكذا ظهر صلاح الدين، الباب الأول، الفصل الأول بأكمله.

(3) انظر: الرقب والشوبكي، دراسات في التصوف (ص3)، (المقدمة).

(4) لقد طال الإلحاد معظم شرائح الناس ومنهم الشعراء، ومثال على ذلك ممكن الرجوع لقصيدة "الطلاسم" للشاعر إيلياء أبو ماضي من ديوانه "الجداول" (ص 106).

(5) انظر: الأشقر، العقيدة في الله، المبحث الخامس/ الفصل الأول بكامله (ص ص69-97).

إن إتقان فن الحوار وامتلاك أدواته ووسائله الصحيحة الواجبة هي من فرائض الوقت في عصرنا الحاضر، حيث انتشرت الآراء والمقولات بشكل غير مسبوق بسبب التقدم التكنولوجي الهائل في وسائل الاتصالات، فأصبحت وسائل الإعلام مفتوحة لكل إنسان يضع فيها ما يشاء، ويعرض أفكاره ويجادل بعلم وبدون علم، وانتشرت الفوضى المعرفية في شتى جوانب الحياة ولذلك لا بد من جهد من أهل العقيدة لسد هذه الثغرات الكبرى ليحافظ المسلمون على عقيدتهم ودينهم.

ولقد أحسنت كلية (أصول الدين) في الجامعة الإسلامية حين بدأت في تخصص مميز يساهم في سد هذه الثغرات حيث افتتح قسم (الدعوة والإعلام) برنامجاً جديداً لطلبة البكالوريوس بعنوان: (الدعوة والإعلام) وذلك مطلع الفصل الثاني من العام الدراسي 2017/2016م[1] .

المطلب السادس: تلمس مواطن الخطأ عند المسلمين ومعالجتها بالحسنى وبالوسائل المناسبة:-

لا يختلف اثنان أن الأمة اليوم تعيش في أصعب أوقات ضعفها عبر التاريخ، وضعفها هذا مبنيٌ على ضعفها العقائدي والإيماني، ولذلك وجب على أهل العلم أن يترفقوا وهم يدعون الناس للعودة للدين، وهذا الترفق كان سمة بارزة في الخلفاء الراشدين الأربعة ومِن قبلهم رسول الله (ﷺ).

وعليه فإنه يجب على كل من ولي من أمر المسلمين شيئاً أن يرفق بهم وينصحهم، ويردهم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وأن يبتكر لهم من الوسائل المناسبة التي تعينهم على القيام بالطاعات على الوجه المأثور عن رسول الله (ﷺ).

ولقد حبا الله تعالى الإنسانية اليوم بوسائل عديدة مريحة يمكن من خلالها توضيح مسائل الدين للناس، فواجب أهل الأمر اليوم من الحكام والعلماء أن يسخروا هذه الوسائل لتذليل العقبات التي تعيق عبادة الناس أحياناً، كسهولة تعبيد الطرق للمساجد، وحسن إنارتها واستخدام وسائل الإعلام الحديثة في تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وإنشاء المدارس الشرعية التخصصية، وكتسخير هذه الوسائل لتسهيل أمر الحج والعمرة لبيت الله الحرام وغيرها.

---

(1) موقع كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية (موقع إلكتروني).

وفي الجانب الآخر لا بد من الأخذ بالرخص ما أمكن وذلك للتخفيف عن الناس في العبادات وغيرها، فإذا كان الخلفاء الراشدون يأخذون بالرخص حين كان الأمر يخص جمهور الناس فما بالنا اليوم بعد أربعة عشر قرناً من الزمن، حيث لا خليفة للمسلمين ولا إمام ولاحامٍ يحمي أمة الإسلام!

ولا بد من أهل الأمر أن يتذكروا دائماً قول رسول الله (ﷺ) الذي روته عنه عائشة: ((اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))[1]، يقول الشيخ ابن عثيمين (رَحِمَهُ ٱللَّهُ): ((وهذا دعاء من النبي (ﷺ) على مَن تولى أمور المسلمين الخاصة والعامة؛ حتى الإنسان يتولى أمر بيته، وحتى مدير المدرسة يتولى أمر المدرسة، وحتى المدرس يتولى أمر الفصل، وحتى الإمام يتولى أمر المسجد. ولهذا قال: "من ولي من أمر أمتي شيئاً"، و"شيئا" نكرة في سياق الشرط، وقد ذكر علماء الأصول أن النكرة في سياق الشرط تفيد العموم؛ أي شيء يكون))[2].

المطلب السابع: التصدي لثقافة تكفير أهل القبلة واستباحة دمائهم دون حق:-

علمتنا مناهج الخلفاء الراشدين أن تكفير المسلم من أخطر الأمور في دين الله، ولذلك لم نلحظ في كلامهم ما يوحي بتكفير المسلم أو حتى تفسيقه ناهيك عن استباحة دمه دون حجة ظاهرة متفقٍ عليها!

فإخراج المسلم من الإسلام تُعتبر أخطر القضايا على الإطلاق، حيث يترتب عليها سلبُ حقوق، وأحكامٌ صارمة، لذلك غلّظ النبي (ﷺ) في ذلك حين قال: ((أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه))[3].

وفي زماننا هذا كثر الهرج والمرج وسفك الدماء لأتفه الأسباب وتكفير الناس بغير دليل أو بشبهات ناقصة، مما يوجب على أصحاب الشأن من المسؤولين والعلماء أن يتصدوا بحزم لذلك، وأن يوضحوا للناس خطر ذلك مسترشدين بفعل الراشدين (ﷺ).

---

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة/ باب فضيلة الإمام العادل، (ج1458/3): رقم الحديث (1828).

(2) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (ج 633/3).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب حال إيمان مَن قال لأخيه يا كافر، (ج79/1): رقم الحديث (60).

ولقد تجلى ذلك واضحاً في موقف عثمان (رضي الله عنه) من الغوغائيين البغاة، وموقف عليّ (رضي الله عنه) من البغاة والخوارج بل ومن ثم الذين ألهوه، فما كان منه إلا أن زجرهم وأمهلهم ثلاثة أيام كي يعودوا لرشدهم، وحين أيقن أنهم متمسكون بقناعاتهم أقام عليهم حكم الله سبحانه.

وعلى نهج الراشدين سار علماء الأمة، فها هو الإمام أحمد يعاني من ثلاثة من الخلفاء العباسيين حين تبنوا عقائد المعتزلة، وأجبروا الناس عليها، وآذوا العلماء وعلى رأسهم الإمام أحمد (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، إلا أنه لم يكفرهم بل قال ابن تيمية: ((فالإمام أحمد (رضي الله عنه) ترحم عليهم "يعني الخلفاء الذين تأثروا بمقالة الجهمية الذين زعموا القول بخلق القرآن، ونصروه"، واستغفر لهم؛ لعلمه بأنه لم يتبين لهم أنهم مُكذبون للرسول (ﷺ)، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطأوا، وقلدوا من قال ذلك لهم))[1].

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج349/23).

الخاتمة

الحمدُ لله حيث انتهيتُ بفضله ومنته من بحثي، حيث يستشعر المرءُ جمالَ قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس:58]، فالسعادة والفرح التي تغمر المسلم حين الانتهاء مما يخدم الدين والمسلمين هي السعادة الحقيقية، والفرح الممدوح، والذي ينفع المسلم في الدنيا والآخرة.

وقبل أن أودع هذه الدوحة الراشدة المُسقاة من غيث النبوة، والمُستظِلة بظل الوحي، أضع بين يدي أهل العلم وطلبته والمهتمين نتائج هذا العمل، ومِن ثَم التوصيات، سائلاً المولى سبحانه أن يتقبله وأن يُشفع فينا رسوله (ﷺ) وأن يحشرنا مع الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، وأن يهدينا لنسير على رشدهم.

أولاً: النتائج: -

1. إن إبداعات الراشدين الأربعة في حفظ العقيدة الإسلامية أظهرت مدى عظمة الإرشاد النبوي للمسلمين باتباع سنتهم.
2. إنَّ المجتمع في زمن الراشدين أقرب في التغيرات والمُحدثات لواقعنا المعاصر من زمن النبي (ﷺ).
3. إنَّ أسوأ البدع العقائدية تنبع من التأويل الفاسد للقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وتنبع كذلك من الإفتراء على النبي (ﷺ).
4. إنَّ الراشدين الأربعة كانوا يُبدعون في الوسائل للمحافظة على العقيدة والتصدي للبدع، بما لا يتعارض مع أصول الدين وثوابته.
5. إنَّ معالجة الراشدين لأمور البدع العقائدية المُستحدثة في زمنهم والتصدي لها (ولا سيما بدع البغي والخوارج والتشيع) كانت مؤلمة لهم، وكلفتهم الكثير، لكنها رحمة للأمة من بعدهم حيث أسسوا لقواعدَ التعامل معهم، لأنها لم تظهر في زمن رسول الله (ﷺ).
6. إنَّ الخلفاء الراشدين الأربعة أنتج اجتهادهم الراشد قواعد كُلية عديدة اتفقوا عليها للحفاظ على عقيدة المسلمين ودينهم.

7. إنَّ المجتمع المسلم ستظهر فيه بدعٌ عقائدية وغير عقائدية، وأنّ هذا من طبيعة البشر وميولهم للهوى، مما يوجب على ولاة الأمر ألا يضطربوا لذلك، بل أن يتصدوا لها ويعالجوها برشدٍ، مُستلهمين فعل الراشدين من قبل.

8. إنَّ كلَّ صاحب ولايةٍ في الأمة (كبيرةٍ كانت أم صغيرة) يجب عليه العمل على المحافظة على عقيدة المسلمين كما تركها لنا رسول الله (ﷺ)، وأن يعمل على وحدة المسلمين تحت إمامٍ واحد، بغض النظر عن التضحيات، لأنه بدون ذلك تبقى الأمة المسلمة مهددة في عقيدتها ودينها ووحدتها.

9. إنّ سلامة المجتمع المسسلم وثباته واستقراره يساهم بالشكل الأكبر في تثبيت عقيدة المسلمين وحمايتها، ومنع الزيغ والانحراف.

10. إنّ الجهاد في سبيل الله ركنٌ ركين لا مناص منه لحماية عقيدة المسلمين وشريعتهم، ولتثبيتهم على الطريق القويم، وكذلك لردع أهل الأهواء والبدع والشرك، أي لا يمكن حماية العقيدة الصحيحة بدونه.

ثانياً: التوصيات: -

1. الإيعاز للباحثين وطلبة العلم والمؤسسات الأكاديمية والجمعيات الشرعية البحث أكثر في حياة الراشدين الأربعة بشكل مستفيض ما أمكن ذلك.

2. إنشاء موسوعة عقائدية خاصة بحقبة الخلفاء الراشدين، تُظهِرُ تقريراتهم العقائدية.

3. الإكثار من الاستشهاد بتصرفات الخلفاء الراشدين في كتب العلم والخطب والمواعظ، لترسخ مكانتهم في نفوس المسلمين بمستوياتهم كافة.

4. التركيز على القواسم الكلية المشتركة للخلفاء الراشدين لما فيها من إجماع.

5. أن يُفردَ لكل خليفة راشد مساقٌ خاصٌ به في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، تتناول معظم ما ثبت عنه من أفعال وأقوال فترة خلافته، مع التركيز على الجوانب العقائدية.

6. أن يُقر مساقٌ لجميع التخصصات في الجامعات تتناول حياة الخلفاء الراشدين بشكل مقتضب لكن دون إخلال، يتم التركيز من خلاله على تصرفاتهم في فترة حكمهم ولا سيما العقائدية منها.

7. توجيه الخطباء والوعاظ وولاة الأمر لمراعاة حالة الضعف الإيماني والعقائدي للمسلمين اليوم، والتأسي بالخلفاء الراشدين بتذليل الصعوبات وتجاوز العوائق التي تحول بين الناس والقيام بالعبادات وخاصة الأركان، كحسن ترتيب المساجد وصيانتها، وتذليل الطُرق للحجيج، والمساعدة في تعرف الناس على ما يجب دفعه من الزكاة، وغير ذلك.

8. زيادة استنباط السُنن الجامعة للخلفاء الراشدين من خلال البحث العلمي وتقعيدها للاسترشاد بها في مختلف التخصصات الشرعية وغيرها.

9. العمل على تخريج الأحاديث والآثار والأخبار التي جاءت عن الخلفاء الراشدين، ليستقيم الاستشهاد بها، وللرد على كل مَنْ حاول النيل منهم بما نُسبَ إليهم زوراً وبهتانا، حيث إن سُّنتهم واجبة الاتباع، والدفاع عنهم فيه حماية للدين ودفاعٌ عن رسول الله (ﷺ).

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

إبراهيم، حافظ. (1987). *ديوان حافظ إبراهيم بك*. ضبط: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري. ط3. مطابع الهيئة المصرية العامة للكتب.

ابن أبي قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله المقدسي. (1402هـ). *التبيين في أنساب القرشيين*. تحقيق: محمد نايف الدليمي. ط1. العراق: منشورات المجمع العلمي العراقي.

ابن أبي الدنيا، عبد الله محمد عبيد البغدادي أبو بكر. (2000م). *كتاب القبور*. تحقيق: طارق محمد العمودي. ط1. (د.م): مكتبة الغرباء الأثرية.

ابن أبي داوود، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني. (2002م). كتاب المصاحف. تحقيق: محمد بن عبده. ط1. القاهرة: الفاروق الحديثة.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم. (1409هـ). *المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشيد.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات الشيباني. (1979م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. (د.ط). بيروت: المكتبة العلمية.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات الشيباني. (1994م). *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود. ط.1. بيروت: المكتبة العلمية.

أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. (1983م). *فضائل الصحابة*. تحقيق: وصي الله محمد عباس. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. (2001م). مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الأزهري، حسن أبو الأشبال. (د.ت). *محاضرة شرح أصول اعتقاد أهل السنة – بداية ظهور البدع*. الرابط: http://audio.islamweb.net/audio/Fulltxt.php?audioid=214135

أسد، محمد. (1987). *منهاج الحكم في الإسلام*. ط1. باكستان: (د.ن)

الإسفراييني، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي. (1977م). *الَفرق بين الِفرق*. ط1. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

الإسفراييني، طاهر بن محمد أبو المظفر. (1983م). *التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. لبنان: عالم الكتب.

إسماعيل، يحيى. (1986م). *منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم*. ط1. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

الاشعري، أبو الحسن. (1389هـ). *مقالات الإسلاميين واختلاف المُصلين*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط2. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الأشقر، عمر سليمان. (1991م). *اليوم الآخر: القيامة الصغرى*. ط3. الأردن- العبدلي: دار النفائس.

الأشقر، عمر سليمان. (1995م). *العقيدة في الله*. ط10. الأردن-العبدلي: دار النفائس للنشر والتوزيع.

الأشقر، عمر سليمان. (2005م). *القضاء والقدر*. ط13. الأردن: دار النفائس.

الأشقر، عمر سليمان. (2005م). *نحو ثقافة إسلامية أصيلة*. ط18، الأردن - العبدلي: درا النفائس.

الأشقر، عمر سليمان. (2016م). *تاريخ الفقه الإسلامي*. ط1. القاهرة: مكتبة الفلاح.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (1412هـ). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1. بيروت: دار القلم، دمشق: الدار الشامية.

آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم. (2002م). *التمهيد لشرح كتاب التوحيد*. ط1. (د.م): دار التوحيد.

آل عيسى، عبد السلام بن محسن. (2002م). *دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه*. ط1. المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

الألباني، محمد ناصر الدين. (1414هـ). *تخريج العقيدة الطحاوية*. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي.

الألباني، محمد ناصر الدين. (1985م). *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*. إشراف: زهير الشاويش. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي.

الألباني، محمد ناصر الدين. (2001م). *التوسل أنواعه وأحكامه*. تنسيق: محمد عيد العباسي. ط1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

الألباني، محمد ناصر الدين. (1420هـ). *صحيح وضعيف سنن ابي داوود*. قام بإعادة فهرسته وتنسيقه: أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث. مرقم آلياً. الإسكندرية: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

الألباني، محمد ناصر الدين. (2010م). *موسوعة الألباني في العقيدة*. صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان. ط1. صنعاء: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية.

أيوب، حسن محمد. (1983م). *تبسيط العقائد الإسلامية*. ط5، بيروت: دار الندوة الجديدة.

باشميل، محمد أحمد. (1980م). حروب *الإسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين*. ط1. (د.م): (د.ن).

الباقلاني، أبو بكر. (د.ت). الرسالة مع شرحها *الثمر الداني في تقريب المعاني*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. (1418هـ–1997م). *الأدب المفرد*. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. (د.م): دار الصديق للنشر والتوزيع.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله. (1422هـ). *صحيح البخاري*. تحقيق: محمد بن زهير ابن ناصر الناصر. شرح وتعليق: د. مصطفى ديب. ط1. دار طوق النجاة.

بخيت، محمد حسن. (2006م). *الفرق القديمة والمعاصرة*. ط1. غزة: مكتبة آفاق.

البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. (2003م). *كتاب العين*. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي. ط1. بيروت: دار ومكتبة الهلال

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. (1988م). *فتوح البلدان*. ط1. بيروت: دار الهلال.

البنا، حسن. (1992م). مجموعة *رسائل الإمام الشهيد حسن البنا*. مصر: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني. (1401 هـ). *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث*. تحقيق: أحمد عصام الكاتب. ط1. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني. (2003م). *السنن الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية.

التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري. (1985م). *مشكاة المصابيح*. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. (1975م). *سنن الترمذي*. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر. ط2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. (د.ت). مختصر *الشمائل المحمدية*. تحقيق وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني. (د.ط.). الأردن، عمّان: المكتبة الإسلامية.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. (1982م). *الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان*. (د. ط). الرياض: مكتبة المعارف الرياض.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. (1992م). *الخلفاء الراشدون*. ط1. طنطا: دار الصحابة للتراث.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. (1999م). *اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم*. تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل. ط7. بيروت: دار عالم الكتب.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. (2001م). *جامع الرسائل المجموعة الثانية*. تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم. ط1. الرياض: دار العطاء.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. (2008م). مجموع *فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية*. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط2. الأوقاف السعودية، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. (د. ت). *السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية*. تحقيق: بشير محمد عيون. (د. ط). دمشق: مكتبة دار البيان.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس. (د.ت). *الصارم المسلول على شاتم الرسول*. تحقيق: محمد عبد الحميد. ط1. المملكة العربية السعودية: الحرس الوطني السعودي.

آل تيمية، مجد الدين عبد السلام وعبد الحليم وأحمد. (د. ت). *المسودة في أصول الفقه*. المحقق: محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (1983م). *كتاب التعريفات*. تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. لبنان: دار الكتب العلمية.

الجصاص الحنفي، أحمد بن علي أبو بكر الرازي. (1405هـ). *أحكام القرآن*. تحقيق: محمد صادق القمحاوي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن جماعة، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم. (1988م). *تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام*. تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد. ط3. قطر: دار الثقافة.

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (2000م). *صفة الصفوة*. تحقيق: أحمد ابن علي، القاهرة: دار الحديث.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. (2000م). *مناقب عمر*. ط1. القاهرة: الدار المصرية للكتاب.

الجوهري، أَبُو القَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ المالكي. (1997م). *مسند الموطأ*. تحقيق: لطفي ابن محمد الصغير وطه بن علي بُو سريح. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي

الجويني، أبو المعالي. (د.ت). *الإرشاد* إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد. ط3. القاهرة: مطبعة السعادة.

ابن حجر، أحمد بن علي. (1998م). *الإصابة في تمييز الصحابة*، تحقيق: عادل معوض، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حجر، أحمد بن علي. (1405هـ). *تغليق التعليق على صحيح البخاري*. تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي. ط1. بيروت: دار عمار – المكتب الإسلامي.

ابن حجر، أحمد بن علي. (1379هـ). *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. تحقيق: محب الدين الخطيب. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد. (2005م). *الفصل في الملل والأهواء والنحل*. ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد. (د.ت.). *المحلى بالآثار*. (د.ط.). بيروت: دار الفكر.

الحميداني، نمر. (1994م). *ولاية الشرطة في الإسلام*. ط1. الرياض: عالم الكتب.

الحميدي، عبد الله. (1998م). *التاريخ الإسلامي مواقف وعبر*. ط1. القاهرة: دار الرسالة.

الحنفي، ابن أبي العز صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد. (1997م). *شرح العقيدة الطحاوية*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي. ط 10، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الحنفي، ابن أبي العز. (1399هـ). *شرح الطحاوية في العقيدة السلفية*. تحقيق: جماعة من العلماء. ط5. (د.م): المكتب الإسلامي.

الحوالي، سفر. (د.ت). *منهج الأشاعرة في العقيدة*. ط1. (د.م): دار منابر الفكر.

حوى، سعيد. (1408هـ – 1988م). *في آفاق التعاليم*. (د.ط). بيروت – عمان: دار عمّار.

الخالدي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (2004م). *تاريخ الخلفاء*. تحقيق: حمدي الدمرداش. ط1. مكة: مكتبة نزار مصطفى الباز.

الخفاجي، أحمد بن محمد. (1996م). *شرح درة الغواص في أوهام الخواص*. تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني. ط1. بيروت: دار الجيل.

الخطابي، حمد بن محمد. (1982م). *غريب الحديث*. تحقيق: عبد الكريم الغرباوي. (د.ط). دمشق: دار الفكر.

ابن الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد. (1994م). أحكام أهل الملل *من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: سيد كسروي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد. (1989م). *السنة*. تحقيق: د. عطية الزهراني. ط1. الرياض: دار الراية.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد. (1988م). *تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)*. تحقيق: خليل شحادة. ط2. بيروت: دار الفكر.

الخماش، نبال تيسير. (د..). *شعراء الخلافة*. ط1. (د.م): (د.ن).

الخميني، روح الله. (1987م). *الحكومة الإسلامية*. تقديم: محمد الخطيب. ط1. عمان: دار عمار.

ابن خياط، أبو عمرو خليفة الشيباني. (1397هـ). *تاريخ خليفة بن خياط*. تحقيق: د. أكرم ضياء العمري. ط1، دمشق: دار القلم، بيروت: مؤسسة الرسالة.

الداني، عثمان بن سعيد بن أبو عمرو. (1416هـ). *السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها*. تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري. ط1. الرياض: دار العاصمة.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (1960م). *الأخبار الطوال*. تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال. ط1. القاهرة: دار إحياء الكتب العربي.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد. (2003م). *تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام*. تحقيق: بشار عوّاد معروف. ط1. دار الغرب الإسلامي.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد. (1985م). *سير أعلام النبلاء*، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد. (1413 هـ). *كتاب الأربعين في صفات رب العالمين*. تحقيق وتخليج: عبد القادر بن محمد عطا صوفي. ط3. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. (1407هـ - 187م). *شرح علل الترمذي*. تحقيق: همام سعيد. ط1. الزرقاء: مكتبة المنار.

ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. (1996م). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تحقيق: مجموعة من المحققين. ط1. المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية.

الرازي، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد. (1419 هـ). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط3. السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز.

الرقب، صالح، والشوبكي، محمود. (2006م). *دراسات في التصوف*. ط1. غزة: (د.ن).

أبو زايدة، حاتم. (2009م). *جهاد الإخوان في فلسطين*. ط1. (د.م): (د.ن).

الزبيري، مصعب بن عبد الله . (د.ت). *نسب قريش*. تحقيق: ليفي بروفنسال. ط3. القاهرة: دار المعارف.

الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق. (1987م). *الأمالي*. تحقيق: عبد السلام هارون. ط2. بيروت: دار الجيل.

الزركلي، خير الدين بن محمود. (2002م). الأعلام. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. ط5. بيروت: دار العلم للملايين.

زمزمي، يحي بن محمد حسن بن أحمد. (1992م). *الحوار في ضوء الكتاب والسنة*. (د.ط). السعودية: جامعة أم القرى.

سابق، سيد. (1977م). *فقه السنة*. ط3. بيروت : دار الكتاب العربي.

السبت، عثمان بن خالد. (د.ت). *دروس شرح كتاب رياض الصالحين*، الرابط: http://khaledalsabt.com/ cnt/dros/2408

السجستاني، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي. (1998م). *نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد*. تحقيق: رشيد ابن حسن الألمعي. ط1. (د.م). مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (2006م). *وجوب التعاون بين المسلمين*. ط1. الرياض: المكتب التعاوني للدعوة وتوعية الجاليات بالربوة.

السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي. (1982م). *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*. ط2. دمشق: مؤسسة الخافقين ومكتبتها.

السلمي، يوسف بن يحيى السلمي. (1418هـ - 1997م). *عقد الدرر في أخبار المنتظر*. تحقيق: محمد علي بيضون. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد. (1990م). *الطبقات الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن. (2000م). *الروض الأنف في شرح سيرة بن هشام*. تحقيق: عمر عبد السلام السلامي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السيد، مجدي فتحي. (د.ت). *صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين*. (د.ط). القاهرة: دار الصحابة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1974م). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (2004م). *تاريخ الخلفاء*. تحقيق: حمدي الدمرداش. ط1. مكة: مكتبة نزار مصطفى الباز

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د. ت). *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. (د. ط). بيروت: دار الفكر.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). *الحكميات من كلام علي بن أبي طالب*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1970م). *صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام*. تحقيق: علي سامي النشار والسيدة سعاد علي عبد الرازق. ط1. (د.م): دار إحياء التراث الإسلامي.

شاكر، محمود. (2000م). *التاريخ الإسلامي*. ط1. (د.م): المكتب الإسلامي.

ابن شبة، عمر بن شبة البصري. (1399هـ). *تاريخ المدينة*. تحقيق: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة. (د.ن).

الشنقيطي، محمد بن محمد المختار. (د.ت.). *شرح زاد المستقنع*. دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. http://www.islamweb.net

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد. (1425هـ). *نهاية الإقدام في علم الكلام*. (د.ط). بغداد: مكتبة المثنى.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد. (1992م). *الملل والنحل*. تصحيح وتعليق: أحمد فهمي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشوبكي، محمد يوسف محمد. (2011م). *خطر الروايات الواهية على الإسلام*. ورقة مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي الخامس. غزة: الجامعة الإسلامية.

شوقي، أحمد شوقي. (1994م). *الشوقيات*. (د.ط). بيروت: مكتبة التربية.

الشيخ، عبد الستار. (2011م). *أبو بكر الصديق (ﷺ) خليفة رسول الله*. ط1. دمشق: دار القلم.

الشيخ، عبد الستار. (2012م). *الخليفة الراشدي العظيم*. ط1. دمشق: دار القلم.

الشيخ، عبد الستار. (1991م). *عثمان بن عفان...الخليفة الشاكر الصابر*. ط1، دمشق: دار القلم.

الصبحى، محمد بن عبد الله بن عبد القادر غبان. (2003م). *فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه*. ط1. المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

الصلابي، علي. (2006م). *أسمى المطالب في سيرة عليّ ابن أبي طالب*. ط1. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الصلابي، علي. (2008م). *الانشراح ورفع الضيق في سيرة ابو بكر الصديق رضى الله عنه (شخصيته وعصره)*. ط1، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الصلابي، علي محمد. (2010م). *الإيمان بالقدر*. ط1. بيروت: دار المعرفة.

الصلابي، علي. (2002م). *تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان (شخصيته وعصره)*. ط1، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الصلابي، عليّ محمد. (2001م). *السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث*. ط12. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الصلابي، عليّ محمد. (2008م). صلاح الدين *الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس*. ط1. دمشق: دار المعرفة.

الصلابي، علي محمد محمد. (2007م). *فتنة مقتل عثمان بن عفان*. ط 1. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الصلابي، علي. (2002م). *فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (شخصيته وعصره)*. ط1، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الصلابي، عليّ محمد. (2008م). *فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة*. ط1. القاهرة: دار ابن حزم.

الصمادي. فاطمة. (2014م). مركز *الجزيرة للدراسات*. الرابط: http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2014/6/14

الصمد. واضح. (1994م). *أدب صدر الإسلام*. (د. ط). (د.م): الموسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

ضميرية، عثمان جمعة. (1999م). *مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية*. ط3. جدة: مكتبة السوادي للتوزيع.

الطبراني، سليمان بن أحمد. (1994م). *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط2. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطبري، محمد بن جرير. (1387هـ). *تاريخ الرسل والملوك*. تحقيق: ،ط 2، بيروت: دار التراث.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (2000 م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن سلامة. (د.ت). *أصول العقيدة الإسلامية*. ط1. (د.م): (د.ن).

عاشور و سعد عبد الله والسميري، وجابر زايد. (2012م). *دراسات في توحيد الأسماء والصفات الإلهية*. (د.ط). غزة – فلسطين: مطبعة الجامعة الإسلامية.

عاشور، قاسم. (1419هـ–1998م). *فرائد الكلام للخلفاء الكرام*. ط1. القاهرة: دار نيل وفرات.

العباد البدر، عبد المحسن (1969م). *عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر*. المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية. السنة الأولىز العدد الثالث.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984م). *التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*. (د. ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. (1992م). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل.

عبد الجبار، المعتزلي. (د.ت). *شرح الأصول الخمسة*. تحقيق: عبد الكريم عثمان. ط1. (د.م): (د.ن).

عبد العزيز، أمير. (1983م). *دراسات في علوم القرآن*. ط1. بيروت: دار الفرقان.

عبد الخالق، عبد الرحمن. (1996م). *موقف أهل السنة والجماعة من البدع والمبتدعة*، الرابط:http://www.moslim.se/maktaba/kotob/beda_a-beda_a-khaliq.htm،

عبد الفتاح، بشير.(2015م). *هل داعش حقاً صنيعة أمريكية؟ دراسة تحليلية*. موقع الجزيرة نت، الرابط: http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2015/5/4

عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله. (2002م). *تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد*. تحقيق: زهير الشاويش. ط1. بيروت: المكتب الإسلامي.

العبدلي، ابن مقصد. (2007م). *أصحاب التأويلات الفاسدة*. ط1. (د.م): دار عثمان للتراث.

ابن عثيمين، محمد بن صالح. (1426هـ). *شرح العقيدة السفارينية الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية*. ط1. االرياض: مدار الوطن للنشر.

ابن عثيمين، محمد بن صالح. (1413هـ). مجموع *فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين*. (د.ط).السعودية: دار الثريا.

العجلى، أحمد بن عبد الله. (1984م). *تاريخ الثقات*. ط1. السعودية: دار الباز.

ابن العربي، القاضي أبوبكر محمد بن عبد الله. (1987م). *العواصم من القواصم*. تحقيق: محب الدين الخطيب – ومحمود مهدي الاستانبولي. ط1، بيروت: دار الجيل.

عرجون، صادق. (1990م). *عثمان بن عفان*. ط1. الرياض: الدار السعودية.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. (1995م). *تاريخ دمشق*. تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي. (د.ط). دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير. (1415هـ). *عون المعبود شرح سنن أبي داود*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

العقاد، عباس محمود. (2012م). *عبقرية الصديق*. (د.ط). القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

العقاد، عباس محمود. (2012م). *عبقرية عمر*. (د.ط). القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

عقل، ناصر بن عبد الكريم. (1997م). *الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها*. ط1. بيروت: دار الوطن.

العقل، ناصر بن عبد الكريم . (1417هـ). *الخوارج مناهجهم وأصولهم وسماتهم* قديما وحديثا وموقف السلف منهم. ط3. (د.م): دار القاسم.

العمران، أحمد محمد. (1428هـ). *الردود البازية في بعض المسائل العقدية*. ط1. الرياض: دار ابن الأثير.

العمري، عبد العزيز إبراهيم. (1406هـ). *الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

العمصي، أحمد جابر محمود. (2014م). *اليوم الآخر من الموت إلى الخلود في الجنة أو النار*. ط3. غزة: مكتبة ومطبعة دار المنارة.

العودة، سليمان بن فهد. (1412هـ). *عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة*. ط3. السعودية: دار طيبة.

عوض، أحمد عبده. (2008م). *فقه الحوار في ضوء الكتاب والسنة*. ط1. مصر، الهرم: شركة ألفا للنشر والإنتاج الفني

العيد، سليمان بن القاسم بن محمد . (2002م). *منهج علي بن أبي طالب في* الدعوة إلى *الله والاستفادة منه في العصر الحاضر*. ط1. (د.م): (د.ن).

الغامدي، أحمد بن سعد حمدان. (2011م). *التشيع.نشأته ومراحل تكوينه*. ط3. مكة المكرمة: دار بن رجب.

غانم، د. عبد الحميد. (2010م). *الإسلام وفقه عصر الرشد*. ط1. (د.م): جنا للتوزيع والترجمة

الغزالي، أبو حامد. (د.ت). *إحياء علوم الدين*. ط1. بيروت: دار المعرفة.

أبو فارس، محمد عبد القادر. (1998م). *الصراع مع اليهود*. ط1. الأردن: دار الفرقان.

أبو فارس، محمد عبد القادر. (1986م). *النظام السياسي في الإسلام*. ط2. الأردن: دار الفرقان.

ابن الفراء، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين (1990م). *العدة في أصول الفقه*. تحقيق: أحمد بن علي بن سير المباركي. ط1، الرياض: جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية

الفسوي، يعقوب بن سفيان. (1981م). *المعرفة والتاريخ*. تحقيق: أكرم ضياء العمري. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الفيصل. (1980م). حركة *الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري*. بيروت: دار العلم للملايين.

قاسم، محمد عبد الرحمن. (د.س). *أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة*. (د.ط). (د.ن)

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1999م). *تأويل مختلف الحديث*. (د.ت). ط1، بيروت: المكتب الإسلامي.

القحطاني، الإمام الأندلسي. (1418هـ). *النونية القحطانية*. ط 1، القاهرة: طبعة دار الحرمين.

ابن قدامة الجماعيلي المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد. (1968م). *المغني لابن قدامة*. (د.ط). القاهرة: مكتبة القاهرة.

القرضاوي، يوسف. (2014م). فقه الجهاد – *دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء الكتاب والسنة*. ط5. القاهرة: مكتبة وهبة.

القرضاوي، يوسف. (2005م). *السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها*. ط3. مصر: مكتبة وهبة.

القرضاوي، يوسف. (2017م). غير *المسلمين في المجتمع الإسلامي*. (د.ط). غزة: طبعة وزارة الأوقاف والشئون الدينية.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. (1964م). *الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي*. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط1، القاهرة: دار الكتب المصرية.

القرطبي، أبو عمر أحمد بن محمد. (1968م). *العقد الفريد*. تحقيق: محمد بن سعيد العريان. ط3. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمر. (1387هـ). *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري. (د.ط). المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون.

القطان، مناع. (1996م). *تاريخ التشريع الإسلامي*. ط1، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

القطان، مناع. (2000م). *مباحث في علوم القرآن*. ط3. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

قطب، إبراهيم محمد. (1986م). *السياسة المالية لعثمان بن عفان*. ط1. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

قلعه جي، محمد رواس. (1404هـ – 1983م). *موسوعة فقه عثمان بن عفان*. ط1. القاهرة: مطبعة الخانجي.

قلعه جي، محمد رواس. (1403هـ–1983م). *موسوعة فقه عليّ بن أبي طالب*. ط1. دمشق: دار الفكر.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن. (2001م). *مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب*. ط4. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. (1991م). *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. (1994م). *تهذيب مدارج السالكين*. تهذيب: عبد المنعم العزي. ط 5. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. (2000م). *جامع الفقه*، جمعه ووثق *نصوصه وخرج أحاديثه يسري السيد محمد، موسوعة الأعمال الكاملة لابن القيم الجوزية*. ط1. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر.

ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. (2005م). *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*. تحقيق: السيد محمد السيد وسيد عمران. (د.ط). القاهرة: دار الحديث.

ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. (1970م). *المنار المنيف في الصحيح والضعيف*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط1. حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري. (1408هـ - 1988م). *النهاية في الفتن والملاحم*. (د.ط). تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، بيروت: دار الجيل.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. (2003م). *البداية والنهاية*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. الجيزة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. (1994م). *تفسير القرآن العظيم*. (د.ط). قدم له: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق: مكتبة دار الفيحاء.

كمال، أحمد عادل (1986م). *الطريق إلى المدائن*. ط1. بيروت: دار النفائس.

الكيلاني، ماجد عرسان. (د.س). *هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس*. (د.ط). رام الله: مركز بيت المقدس للأدب والترجمة.

لاشين، موسى شاهين. (2002 م). *فتح المنعم شرح صحيح مسلم*. ط1. القاهرة: دار الشروق.

اللالكائي، أبو القاسم هبة الله. (2003م). *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*. تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي. ط8. السعودية: دار طيبة.

اللالكائي، أبو القاسم هبة الله. (1992م). *كرامات أولياء الله*. تحقيق: أحمد سعيد حمدان. ط1. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

لماضة، عاطف. (د.ت). *ذو النورين مع النبي صلى الله عليه وسلم*. ط1. (د.م): (د.ن).

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (د. ت). *سنن ابن ماجة*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الماوردي، أبو الحسن علي البغدادي. (1966م). *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*. ط2. سوريا: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

الماوردي، أبو الحسن علي البغدادي. (1986م). *أدب الدنيا والدين*. (د.ط). (د.م): دار مكتبة الحياة

ابن المبرد، عبد العزيز محمد الحنبلي. (2000م). *محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب*. تحقيق: عبد العزيز محمد عبد المحسن. ط1. المدينة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

مالك، مالك بن أنس المدني. (1985م). *موطأ الإمام مالك*. (د.ط.). صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

مدوخ، بدر الدين حمدي. (2014م). *من التدبر السياسي للقرآن الكريم*. ط1. غزة: (د.ن).

مدوخ، حمدي سعيد. (1974م). *المختصر المفيد في علم التجويد*. ط1. غزة: (د.ن).

مراد، بركات محمد. (1992م). *مذاهب الزنادقة* وعقائد الباطنية في الفكر الإسلامي. ط1. القاهرة: الصدر لخدمات الطباعة.

مراد، عبد الكريم. (1405هـ). *البدع وآثارها السيئة*. ط17. السعودية: الجامعة الإسلامية.

المستغفري النسفي، أَبُو العَبَّاسِ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ. (2008م). *فضائل القرآن*. تحقق: أحمد بن فارس السلوم. ط1. الناشر: دار ابن حزم.

مسلم، مصطفى. (د.ت). *معالم قرآنية في الصراع مع اليهود*. (د.ط). دمشق: دار القلم.

مسلم، مسلم بن الحجاج. (2005م). *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المسعودي، علي بن الحسين. (2005م). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. تحقيق: كمال مرعي، ط1. بيروت: المكتبة العصرية.

مصلح، خالد. (1421هـ). *شرح العقيدة الطحاوية*. ط1. السعودية: دار ابن الجوزي.

معروف، محمد. (1397 هـ). *الخوارج في العصر الأموي*. (د.ط). بيروت: دار الطليعة.

المغلوث، سامي بن عبد الله. (1427هـ). *أطلس الخليفة عثمان*. ط1. الرياض: مطبعة العبيكان.

المقريّ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي. (2000م). *المصباح المنير*. ط1. القاهرة: دار الحديث.

المناوي، زين الدين محمد الحدادي. (1356هـ). *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، تعليقات: ماجد الحموي. (د.ط). مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي. (1987م). *مختصر صحيح مسلم*، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ماجد الحموي. ط6. لبنان – بيروت: المكتب الإسلامي.

موقع الدرر السنية. (د.ت). *الموسوعة التاريخية*. الرابط: http://www.dorar.net/history/.

موقع الدرر السنية. (د.ت). *موسوعة الأخلاق الإسلامية*، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر الرابط: https://dorar.net/akhlaq .

الموقع الرسمي لسماحة الإمام بن باز، (د.ت). *كرامات الأولياء*. http://www.binbaz.org.sa/noor/11529

موقع الشيخ القرضاوي. (د.ت). *فتوى نتعاون فيما اتفقنا عليه*. الرابط: https://www.al-qaradawi.net/node/3794

موقع قصة الإسلام. (2008م). *أبو بكر الصديق ونعمة الثبات*. الرابط: https://islamstory.com/ar/

موقع: جامع السنة وشروحها، http://hadithportal.com/hadith-4481&book=1

موقع ويكيبيديا (د.ت). *ويكيبيديا الموسوعة الحرة*. الرابط: https://ar.wikipedia.org/

النجار، عبد الوهاب. (1960م). *الخلفاء الراشدون* . ط1. القاهرة: المكتبة التوفيقية.

الندوي، أبو الحسن علي. (1989م). *المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب* . ط1. الكويت: دار القلم.

النراقي، المولى أحمد بن محمد مهدي. (1419 هـ). *مستند الشيعة في أحكام الشريعة*، ط1. قم: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث.

النهرواني، المعافى بن زكريا. (2005م). *الجليس الصالح الكافي والأنيس الصالح الشافي*. ط1. تحقيق: عبد الكريم الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية.

النووي، أبو زكريا محيي الدين. (1392 هـ). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. شرح محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النووي، محيي الدين. (1998م) *رياض الصالحين*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط3. لبنان: مؤسسة الرسالة .

نويهض، عادل. (1988م). *معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر*. ط3. بيروت: مؤسسة نويهض للثقافة.

هارون، عبد السلام. (1988م). *تهذيب سيرة بن هشام*. ط 17. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري. (1995م). *السيرة النبوية لابن هشام*. تحقيق: محمد بيومي. ط1. المنصورة: مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع.

الهيثمي، أحمد بن حجر. (1385 هـ). *الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة*. ط1، مصر: مكتبة القاهرة.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي، أبو عبد الله. (1989م). *مغازي الواقدي*. تحقيق: مارسدن جونس. ط3. بيروت: دار الأعلمي

الوصيفي، علي. (1997م). *القضاء والقدر عند السلف*. ط1. دمشق: دار الإيمان للنشر والتوزيع.

ابن وضاح، أبو عبد الله محمد بن وضاح القرطبي. (1416هـ). *البدع والنهي عنها*. تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم. ط1. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، وجدة: مكتبة العلم.

الوكيل، أحمد السيد. (1986م). *جولة تاريخية في حياة الخلفاء الراشدين*. ط1. جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع.

ياسين، نسيم (2011). *شرح أصول العقيدة الإسلامية*. ط6. غزة: مكتبة ومطبعة دار المنارة.

يعقوب، طاهر محمود محمد. (1425هـ). *أسباب الخطأ في التفسير-دراسة تأصيلية*. ط1. الدمام: دار ابن الجوزي.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. (1980م). (د.ط). *تاريخ اليعقوبي*. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد الأنصاري. (د.س). *كتاب الخراج*. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. (د.ط). القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
البقرة		
﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾	106	111
﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	137	164
﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾	191	94
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا ...﴾	193	138، 272
﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾	233	208
﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾	247	43 ، 65
﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾	266	116
آل عمران		
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ... ﴾	7	135
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ... ﴾	14	112
﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ... ﴾	37	103
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ ...﴾	59	93
﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ ...﴾	137	163
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾	186	41
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ ... ﴾	200	113

الصفحة	رقمها	طرف الآية
41	32	﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾
		الحديد
113	20	﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ ... ﴾
		المجادلة
123	1	﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ...﴾
		الحشر
59	7	﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ ...﴾
25	8	﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ ... ﴾
26	9	﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ ... ﴾
37	13	﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾
		نوح
42	23	﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ ...﴾
		الليل
13	7-5	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾
27	21-17	﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى * ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ ... ﴾

ثانياً- فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
(لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ)	أحمد	صحيح	د
(مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ)	الترمذي	صحيح	د
(إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ – أي نسله – هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا)	البخاري		1
(عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاء المهديِّين الراشِدين)	الترمذي	حسن صحيح	3
(قلت: أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً)	البخاري		14
(فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي (ﷺ))	البخاري		15
(فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟)	البخاري		16
(أبقيت لهم الله ورسوله)	أبو داود	حسن	16
(اللهم أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك)	الترمذي	حسن صحيح	17
(وكان أبو تراب أحبّ الأسماء إليه لتسمية)	البخاري		21
(الْخِلاَفَةُ فِي أُمّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ)	أحمد	إسناده حسن	24
(تكونُ النُّبُوَّةُ فيكُم ما شاءَ اللَّهُ أنْ تَكونَ)	أحمد	إسناده حسن	25
(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)	البخاري		26

طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
(لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم	البخاري		26
(النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد)	مسلم		26
(لو كنتُ متخذًا خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر)	مسلم		27
(لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت)	البخاري		27
(بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ)	البخاري		28
(بينا أنا نائم شربت – يعني اللبن – حتى أنظر)	البخاري		28
(لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يكُ)	البخاري		28
(ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)	مسلم		29
(أَتخَلفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ قَال: أَلاَ تَرْضى)	البخاري		30
(غَزَوْتُ مَعَ عَلِيٍّ الْيَمَنَ فَرَأَيْتُ مِنْهُ جَفْوَةً، فَلَمَّا)	أحمد	صحيح	30
(قلت لأبيّ أي الناس خير بعد رسول الله (ﷺ)؟)	البخاري		31
(كنا نخير بين الناس في زمن النبي (ﷺ) فنخير أبا بكر)	البخاري		31
(أن النبي (ﷺ): صَعَد أُحُدَا، وأبو بكر، وعمر)	البخاري		32
(بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله)	البخاري		38
(إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ)	الترمذي	حسن غريب	38
(يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان)	أحمد	صحيح	42

طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
(لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ	أحمد	صحيح	43
(سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: "لاَ نُورَثُ)	البخاري		48
(تذوق عُسيلته ويذوق عُسيلتها)	البخاري		49
(خُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، وَأَهْلُ بَيْتِي)	مسلم		52
(وْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ قَدْ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا)	مسلم		53
(لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا المَالِ)	البخاري		58
(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)	مسلم		61
("إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه، يوشك)	أحمد	صحيح	65
(أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)	البخاري		74
(اللهمّ اشف عبدك، يشهد لك الصلاة)	أبو داود	صحيح	76
(لا تُقطع الأيدي في الغزو)	التبريزي	صحيح	84
(سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: الأجدع شيطان ولكنك مسروق)	أحمد	حسن	84
(لأقصنه منه وقد رأيت رسول الله (ﷺ) يقص من نفسه)	أحمد	حسن	87
(إنّ الدعاء هو العبادة)	البخاري		93
(لئِنْ عِشْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ، لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ	مسلم		95
(أخرجوا يهودَ أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب)	أحمد	صحيح	95
("نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمُ اللَّهُ)	البخاري		96

طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
(إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ)	مسلم		97
(أمرنا رسول الله (ﷺ) ببناء المساجد في الدور (أي القبائل))	الترمذي	حسن	97
(أَنَّهُ نَهَى عَنْ تَنَاشُدِ الأَشْعَارِ فِي المَسْجِدِ،)	الترمذي	حسن	97
(كُنْتُ أُنْشِدُ فِيهِ (أي: المسجد)، وَفِيهِ مَنْ)	البخاري		97
(أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي)	البخاري		99
(يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ"، فَرَضِيَ القَوْمُ وَعَفَوْا)	البخاري		103
(رُبّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم)	مسلم		103
(يأتي عليكم أويس بن عامر، مع أمداد أهل اليمن،)	مسلم		104
(قَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ)	مسلم		105
(لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة)	أحمد	إسناده جيد	108
(أما إن نبيكم (ﷺ) قال إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً)	مسلم		111
(تظهر الفتن ويكثر الهرج ويرفع العلم)	أحمد	صحيح	118
(أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)	البخاري		119
(أَخْبَرَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) أَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ)	الترمذي	حسن صحيح	119
(نهانا عنهما رسول الله(ﷺ))	أحمد	حسن	120
(فحين خرج إلى الشام وعلم بوباء الطاعون)	البخاري		121
(لماذا استأذنت ثلاثاً وانصرفت فقال له: هكذا)	مسلم		121

طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
(مَن كذب عليَّ فهو في النار)	أحمد	صحيح لغيره	122
(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي)	مسلم		125
(كان إذا حزبه أمرٌ قال: يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث)	الترمذي	حسن	126
(لعن الله اليهود؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)	البخاري		128
(لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها)	أحمد	صحيح	130
(إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلرَّجُلِ إِلَّا ثَوْبٌ وَاحِدٌ، فَلْيَأْتَزِرْ بِهِ ثُمَّ)	أحمد	حسن	130
(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)	مسلم		131
(ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب)	البخاري		131
(إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ)	البخاري		133
(فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه)	البخاري		135
("الدِّينُ النَّصِيحَةُ"، قُلْنَا لِمَنْ ؟، قال: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ)	مسلم		142
(أُبَايِعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ: "وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)	البخاري		142
(ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)	البخاري		148
(إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى)	أحمد	حسن لغيره	148
(تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا)	مالك	صحيح	150
(اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ)	الترمذي	حسن صحيح	150

طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
(أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ)	مسلم		151
(إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا بعدي)	الترمذي	حسن غريب	151
("والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم)	الترمذي	حسن صحيح	152
(إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ)	البخاري		153
(مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةَ بِسُوءٍ، أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ)	مسلم		153
(وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ، إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ)	مسلم		153
(مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ظُلْمًا أَخَافَهُ اللهُ)	أحمد	صحيح	154
(لَا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لَأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا)	مسلم		155
(يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ:)	مسلم		155
(اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا)	مسلم		156
(من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي)	أحمد	صحيح	156
(المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يُقطع شجرها ولا)	البخاري		156
(إن النبي (ﷺ) عهد إليَّ عهدًا فأنا صابر عليه، قال قيس)	أحمد	حسن	157
(يا عثمان، إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصا)	أحمد	صحيح	157
("إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً، أو)	أحمد	حسن	157
(يا عثمان، إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصا)	الترمذي	حسن غريب	157

طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
(من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)	أحمد	صحيح	161
(خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)	البخاري		165
(قال: رأيت رسول الله (ﷺ) يتوضأ وضوئي هذا، ثم قال: ومَن)	أحمد	صحيح	169
(كان يصلي الْعِشَاءَ أَحْيَانًا يُؤَخِّرُهَا، وَأَحْيَانًا)	مسلم		170
(اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا)	البخاري		171
(إن العبد إذا دعا بوضوء فغسل وجهه حط الله عنه كل خطيئة	أحمد	صحيح لغيره	171
(إنَّ النبي (ﷺ) عهد إليَّ عهداً فأنا صابر)	أحمد	حسن	171
(من تطهر كما أمر، وصلى كما أمر كفرت عنه ذنوبه)	أحمد	حسن لغيره	172
(مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا، فَلْيَتَبَوَّأْ بَيْتًا فِي النَّارِ)	أحمد	صحيح	172
(إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده)	أحمد	صحيح	174
(كان النبي (ﷺ) إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه)	التبريزي	صحيح	174
(مَن بدل دينه فاقتلوه)	البخاري		175
((رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً)	البخاري		176
(أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا)	البخاري		176
(الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان)	البخاري		176
(هل رأى أحدٌ منكم البارحةَ رُؤْيا؟)	مسلم		176
(من رآني في المنام فقد رآني ؛ فإن الشيطان لا يتمثّل)	البخاري		176

طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
(مَن بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة مثله)	أحمد	صحيح	177
(لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته، ولا تمثالاً إلا طمسته)	الترمذي	حسن	178
(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ)	البخاري		179
(قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ)	مسلم		179
(مَن عَمِل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)	مسلم		179
(إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد)	النسائي	صحيح	179
(فقال ألم تطف مع رسول الله (ﷺ) ؟ فقلت بلى! قال: أرأيت)	أحمد	صحيح لغيره	180
(فدخل عليها رسول الله (ﷺ) فأطعمته وجعلت تفلي رأسه)	البخاري		184
(سمعت رسول الله (ﷺ) يقول من توضأ فأسبغ الوضوء ثم)	أحمد	صحيح	189
(لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله)	الترمذي	صحيح	192
(المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة)	أحمد	صحيح	194
(لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله رجلاً من)	أحمد	رجاله ثقات	194
(إنَّ من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)	الترمذي	حسن غريب	196
(مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا»؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه):أَنَا)	مسلم		197
(إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، قَالُوا:)	أحمد	حسن	198

طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
(أَفَضْتُ مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْمَعُهُ يُلَبِّي)	أحمد	حسن	200
(كُنْتُ أَرَى أَنَّ بَاطِنَ الْقَدَمَيْنِ أَحَقُّ بِالْمَسْحِ مِنْ ظَاهِرِهِمَا،)	أحمد	صحيح لغيره	201
(وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ)	مسلم		206
(لا تكذبوا عليَّ؛ فإنه من كذب عليَّ فليلج النار)	البخاري		212
(من حدث عني حديثًا وهو يَرَى أنه كذب فهو أحد الكاذِبَيْنِ)	أحمد	صحيح	212
(أَنْشُدُ اللهَ كُلَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَوْمَ)	أحمد	صحيح	217
(تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)	مسلم		222
(سيخرج في آخر الزمان قومٌ أحداث الأسنان، سفهاء)	مسلم		224
(آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ)	البخاري		224
(كنا مع رسول الله (ﷺ) فانقطعت نعله فتخلف عليّ)	الحاكم	صحيح	225
(يَخْرُجُ قَوْمٌ في آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ،)	مسلم		226
(يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم)	مسلم		226
(سَيَكُونُ في أُمَّتِي اخْتِلاَفٌ وفُرْقَةٌ قَوْمٌ يُحْسِنُونَ القَوْل)	ابن ماجة	صحيح	225
(تكون أمتي فرقتين، فتخرج من بينهما مارقة)	أحمد	صحيح	226
(سمعته وأشار بيده نحو المشرق قوم يقرؤون القرآن)	مسلم		227
(إن بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي)	مسلم		227
(يتيه قوم قِبل المشرق محلقة رؤوسهم)	مسلم		227

طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
(الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ)	ابن ماجة	صحيح	227
(خَرَجَ النَّبِيُّ (ﷺ) غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ()، مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ)	مسلم		302
(لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ)	البخاري		228
(مَن لعن مؤمناً فهو كقتله)	البخاري		234
(لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة)	مسلم		234
(بينما رسول الله (ﷺ) في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار)	مسلم		234
(لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله)	مسلم		235
(ليس المؤمن بطعّان ولا لعّان)	الترمذي	صحيح	234
(يا أبا الهياج ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ﷺ)	مسلم		236
(مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ)	مسلم		237
(أُتي عليّ (ﷺ) بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس)	البخاري		237
(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت)	أبو داود	صحيح	252
(لتنتقضن عُرى الإسلام عُروة عروة فكلما انتقضت)	أحمد	إسناده جيد	256
(اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ)	مسلم		258
(لا يُصَلِين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة)	البخاري		258
(ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح)	مسلم		265
(ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل: تفرق)	الترمذي	حسن	268

طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
(َا تَرَكَ قَوْمٌ الْجِهَادَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ)	الطبراني	صحيح	272
(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)	الترمذي	حسن صحيح	278
(اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ)	مسلم		281
(أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء)	مسلم		281

ثالثاً: فهرس الأعلام